

المقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإننا نحمد الله ﷻ ونشكره، أن وفقنا لشرح هذا الكتاب المبارك، ونسأله ﷻ أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، ونسأله ﷻ أن يتوفانا على الإسلام، غير مغيرين ولا مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إن كتاب «الشرح والإبانة، على أصول السنة والديانة، ومجانبة المخالفين، ومباينة أهل الأهواء المارقين» ألفه العالم الجليل الإمام عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن عتبة بن فرقد^(١) فنسبه ينتهي إلى الصحابي الجليل: عتبة

(١) انظر: ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣٧١/١٠)، «تاريخ دمشق» (١٠٥/٣٨)، «ميزان الاعتدال» (٢٠/٥)، «السير» (٥٢٩/١٦)، «اللباب» (١٦٠/١)، (٣٩٥)، «لسان الميزان» (١١٢/٤).

بن فرقد رحمته الله.

وكنيته: أبو عبدالله، ولقبه ابن بطة، وبطة يقال: إنه اسم أو لقب لأحد أجداده وهو عمر، وأبوه عبدالله بن بطة العكبري؛ نسبة إلى عكبر وهي بلدة في العراق قريبة من نهر دجلة على مسافة من بغداد^(١)، ينتسب إليها كثير من العلماء.

والإمام ابن بطة رحمته الله من علماء القرن الرابع الهجري؛ ولد في سنة أربع وثلاثمائة من الهجرة، وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة من الهجرة النبوية.

وقد اشتهر المؤلف رحمته الله بالعلم والفقه والحديث، فهو سلفي المعتقد، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - وغيره من أئمة أهل السنة.

وله رحمته الله مؤلفات في العقيدة، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة وبيان المذاهب المخالفة لها؛ منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وله أيضاً كتاب أكبر من هذا؛ وهو «الإبانة الكبرى» توسع فيه رحمته الله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وبيان المذاهب المخالفة لهم، وذكر فيه الأسانيد.

أما كتابنا هذا، فإنه ذكر في المقدمة أنه حذف الأسانيد لأجل الاختصار حتى لا يمل القارئ.

وابن بطة أيضاً محدث من المحدثين، رحل في طلب العلم، وهو يروي الأحاديث بالسند، وينقل عنه الأئمة والعلماء، ينقل عنه

(١) «عُكْبَرَا» بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد يمد ويقصر، وهو اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ والنسبة إليها عكبري وعكبراوي، انظر: «معجم البلدان» (١٤٢/٤)، «المغرب في ترتيب المعرب» (٧٦/٢).

شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) وابن القيم^(٢) في مسائل الاعتقاد، ويعززون إلى كتابه الإبانة، وهذا مما يدل على أنه من الأئمة العلماء، الذين يرجع إليهم وإلى مؤلفاتهم.

إلا أنَّ عنده بعض الضعف في الحديث^(٣)؛ حيث ضعفه الأئمة والنُّقاد لا من جهة الديانة والأمانة فهو من جهتهما ثقة وإمام، بل من جهة الحفظ فله أوهام و أغلاط بيَّنهما النقاد في الحديث؛ ولهذا يروي أحياناً أحاديث ضعيفة، كما في هذا الكتاب، وقد يروي أحاديث لا يوجد لها أصل - وإن كانت قليلة - لكنه محدث، يروي الأحاديث بالسند.

وهو أيضاً فقيه من الفقهاء الحنابلة؛ تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، وله مسائل ورسائل فقهية في المناسك، وفي الصلاة وفي النكاح وفي الطلاق، وينقل عنه المرداوي الحنبلي صاحب «الإنصاف»^(٤)؛ فهو إمام فقيه محدث سلفي معتقد، وله عناية عظيمة في بيان مذهب أهل السنة والجماعة وفي بيان المذاهب المخالفة؛ لا سيما في «الإبانة الكبرى»، فإنه قد توسع فيها وأطال.

وكذلك في «الإبانة الصغرى»^(٥) - التي بين أيدينا - ساق كثيراً من البدع والمحدثات في الدين، بيَّن معتقد أهل السنة والجماعة

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧٥/١٧)، (١٨٧/٢٧).

(٢) انظر: «شفاء العليل» (٢٨٣)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٨١).

(٣) انظر: «ميزان الاعتدال» (٢٠/٥)، «لسان الميزان» (١١٢/٤).

(٤) انظر: «الإنصاف» (٤٧/٢، ٥٦٦، ٥٦٨).

(٥) كتاب «الشرح والإبانة» حققه الدكتور رضا بن عفان المعطي، في رسالة ماجستير، فترجم للمؤلف رحمته الله ترجمة واسعة، وذكر نسبه ومولده، وتحدث عن زمانه وتأثير ذلك عليه، وعن شيوخه، وعن تلاميذه، وكذلك خرَّج الأحاديث والآثار، فخدم الكتاب خدمة كبرى، أسأل الله تعالى أن يتقبل ذلك منه.

ومن خالفها، وله كتاب في السنن مفقود، مما يدل على أنه مُحدث، وله أيضًا كتاب «إبطال الحيل».

□ قسم المؤلف رحمته الله هذا الكتاب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول:

ساق النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في الحث على لزوم السنة والجماعة، والتحذير من البدع والمحدثات في الدين، والحث على موالاة الصحابة ومحبتهم، والتحذير من مخالفتهم، وساق في هذا القسم نصوصًا كثيرة تزيد على ثلاثمائة حديث وأثر. وهذا القسم يحوي على نصف الكتاب تقريبًا.

القسم الثاني:

ساق فيه أغلب مسائل الاعتقاد؛ التوحيد، والإيمان، وإثبات الربوبية والوحدانية والألوهية لله ﷻ، والإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والحوض والشفاعة والصراف والميزان.

وساق أيضًا (نصوصًا) في إثبات الصفات لله ﷻ والرد على المخالفين، وإثبات الكلام لله ﷻ، والرد على من قال: إن القرآن مخلوق.

وهي مسائل عظيمة ونافعة، تشمل أغلب مسائل الاعتقاد.

القسم الثالث:

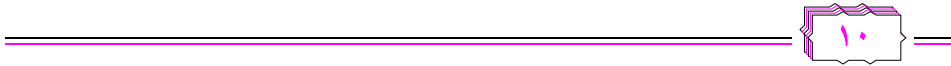
ساق فيه المسائل الفقهية في العبادات والعادات، وهذا القسم يلي القسم الثاني في الطول؛ فهو قسم قصير.

القسم الرابع :

ساق فيه كثيراً من البدع والمحدثات في الدين، وحذر منها،
وساق الآثار في هذا، وهذا القسم أيضاً قسم قصير.
فالكتاب على هذه الأقسام الأربعة، ونسأل الله أن يرزقنا
الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأن يرزقنا علماً نافعاً
وعملاً صالحاً، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، اللهم يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال
والإكرام؛ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، إنك أنت العزيز
الحكيم.

✍ كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



حمد الله والثناء عليه

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ وَلَكَ الْحَمْدُ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ، وَظَاهَرَ لَدَيْنَا مَنَنَهُ، وَجَعَلَ مِنْ أَجَلِهَا قَدْرًا، وَأَعْظَمَ خَطَرًا، أَنْ هَدَانَا لِمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِ دِينِ الْحَقِّ، وَأَشْيَاعِ مِلَّةِ الصِّدْقِ).

الشَّيْخُ

القاعدة: أن لفظ الجلالة إذا كان ما قبله مضموم أو مفتوح فإنه يُفخِّمُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَمَّا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠]، - بتفخيم لفظ الجلالة -، وإذا كان ما قبله مكسور فإنه يرقق؛ كما في قوله تعالى: ﴿الرَّ كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

○ قوله: «عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:»

اسمه: عبيد الله، واسم أبيه: محمد، وكنيته: أبو عبد الله، وجده محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن عتبة بن فرقد الصحابي الجليل. وابن بطّة: لقبه، والعكبري: نسبه إلى بلدة عكبرا.

○ قوله: «الحمدُ لله»: افتتح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هذه الرسالة بالحمد لله، والحمد هو: الشناء على المحمود، بالصفات الاختيارية، أي: التي للعبد فيها القدرة على اختيار الاتصاف بها، فإذا أثبت على محمود بالصفات الاختيارية، فإنه يسمى حمداً، سواء كانت الصفات لازمة أو متعدية، أما إذا أثبت عليه بالصفات اللازمة التي ليس للإنسان فيها اختيار، فإنه يسمى مدحاً، كما لو أثبت على الأسد فقلت: الأسد قوي مفتول الساعدين، فهذا يسمى مدحاً، ولا يسمى حمداً؛ لأن هذه الصفات كلها لازمة وثابتة. أما إذا أثبت على الإنسان بالكرم والشجاعة والجود؛ فهذا يسمى حمداً.

وجميع المحامد بأنواعها ملك لله، وهو مستحق لها، فهو محمود عليها رَحِمَهُ اللهُ، لما له من الصفات العظيمة، ولما له من النعم المتعدية إلى عباده.

والحمد أكمل من المدح؛ لذا قال: الحمد لله، ولم يقل أمدح الله.

○ قوله: «الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ»: الله - تعالى - أسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال - سبحانه -: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

فالله رَحِمَهُ اللهُ خلقنا وأوجدنا من العدم، وربانا بالنعم، وأعطانا السمع والبصر والعقل، ثم هدانا للإسلام، ووفقنا للإيمان، وأعظم نعمة يقسمها الله ويقدرها على عبده؛ هي: الهداية للإسلام.

وأعظم وأعلى وأشد مصيبة يقدرها الله على العبد: هي الكفر - والعياذ بالله -، فالكفر مقدر والإسلام مقدر، والإيمان مقدر، والمعاصي مقدرة، والله الحكمة البالغة، فهو يهدي من يشاء بفضله

ونعمته ومنته، فضلاً منه وإحساناً، ويضل من يشاء بعدله وحكمته. نسأله ﷻ أن يثبتنا على دينه حتى الممات.

أسبغ الله - تعالى - علينا من النعم الكثير؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن ذلك: نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة السمع والبصر والعقل، ونعمة الإيمان والإسلام، ونعمة النفس الذي يتردد بين جنبي الإنسان، ونعمة المال والولد، ونعمة الرزق ورغد العيش؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فلا يستطيع الإنسان عدّ هذه النعم؛ ولهذا قال المؤلف: «وظاهر لدينا منته»، أردف علينا نعمه، وظاهر لدينا منته.

ثم قال المؤلف: «وَجَعَلَ مِنْ أَجْلِهَا قَدْرًا، وَأَعْظَمَهَا خَطَرًا، أَنْ هَدَانَا لِمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ»:

بَيَّنَ ﷻ أَنْ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ قَدْرًا وَأَعْظَمَهَا خَطَرًا، أَنْ هَدَانَا لِمَعْرِفَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ؛ فَقَدْ تَعَرَّفَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَأَقْرَعَ الْعِبَادَ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْبُدُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَيُوحِدُهُ، وَيَخْلُصُ لَهُ الْعِبَادَةُ، فَنَحْنُ أَوَّلًا نَتَعَرَّفُ رَبَّنَا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، بِمَا لَهُ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الَّتِي أَثْبَتَهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا عَرَفْتَ اللَّهَ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ وَتُوحِدُهُ؛ وَلِهَذَا فَإِنْ تُوْحِدَ الرُّبُوبِيَّةَ، وَتُوْحِدَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتَ، كِلَاهُمَا وَسِيلَةً إِلَى تُوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ.

والغاية المحبوبة لله والمرضية له هي: توحيد العبادة، والتي من أجلها خلق الله الخلق؛ قال - سبحانه -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل

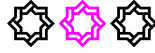
الكتب، قال - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والعبادة هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، فكل نبي يدعو قومه إلى التوحيد فيقول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال أيضاً: ﴿وَالِإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال أيضاً: ﴿وَالِإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال أيضاً: ﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالغاية المحبوبة لله والمرضية له هي: توحيده سبحانه؛ وذلك بإفراده بالعبادة بجميع أنواعها، أما توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية، فوسيلة إلى توحيد العبادة، فالله تعالى تعرف إلى عباده، بأسمائه وصفاته وأفعاله، فلما عرفه العباد وجب عليهم توحيده وطاعته، وإفراده بالعبادة؛ ولهذا قال المؤلف رحمته الله: «وَجَعَلَ مِنْ أَجْلِهَا قَدْرًا، وَأَعْظَمَهَا خَطَرًا، أَنْ هَدَانَا لِمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ» هذا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قال رحمته الله: «وَجَعَلْنَا مِنْ أَتْبَاعِ دِينِ الْحَقِّ»: هذا هو توحيد العبادة، فإن المتبع لدين الحق هو الذي يخلص لله العبادة؛ فيوحده بالدعاء، وبالخوف، وبالرجاء، وبالصلاة وبالزكاة، وبالصوم،

وبالحج، وببر الوالدين، وبصلة الرحم، وبالجهاد في سبيله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا قال: «وَجَعَلْنَا مِنْ أَتْبَاعِ دِينِ الْحَقِّ»، وهو دين الإسلام الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

○ قوله: «وَأَشْيَاعِ مِلَّةِ الصِّدْقِ» أشياع: أي: المؤمنين المؤيدين أتباع ملة الصدق، وهي: ملة الإسلام.



﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(فَلَهُ الْحَمْدُ نَحْمَدُهُ وَنُثْنِي عَلَيْهِ، بِمَا اصْطَنَعَ عِنْدَنَا أَنْ هَدَانَا
لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَنَا وَوَفَّقَنَا لِلْسُنَّةِ وَالْهَمَانَا، وَعَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ،
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا كَبِيرًا).

الشَّيْخُ

○ قوله: «فَلَهُ الْحَمْدُ نَحْمَدُهُ وَنُثْنِي عَلَيْهِ»: كرر رَحِمَهُ اللَّهُ الحمد
لأهميته وعظم شأنه؛ فإن الله تعالى هو الذي يستحق الحمد، فله
الحمد نحمده ونثني عليه.

والثناء هو: التكرار للحمد مرة بعد أخرى، كما قال - سبحانه -
في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ثم قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] تكرر للثناء، ثم
قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] توسّع في المحامد؛ ولهذا
قال المؤلف: «بِمَا اصْطَنَعَ عِنْدَنَا أَنْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ»، أي: اصطنع
المعروف بما أعطانا ووهبنا من النعم، يقال: فلان صنع إليك
معروفًا؛ أي: أسدى إليك معروفًا، فالله تعالى أسدى علينا النعم،
ووهبنا إياها، وأعظمها أن هدانا للإسلام، فله الحمد، نحمده -
سبحانه - ونثني عليه، ثناء بعد ثناء، ولهذا قال: «وَعَلَّمَنَا وَوَفَّقَنَا
لِلْسُنَّةِ وَالْهَمَانَا، وَعَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا
كَبِيرًا»: كل هذا من فضله وإحسانه، فلو شاء - سبحانه - لم يهدنا
لِلْإِسْلَامِ، ولو شاء لم يعلمنا، ولم يوفقنا للسنة، ولكننا من أهل
البدع، ولكنه - سبحانه - بفضله وعظيم منته وإحسانه، هدانا للإسلام
وعلمنا ووفقنا للسنة، وألهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل
الله علينا كبيرًا، فنحمد الله على ذلك.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُرْتَضَى، وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى،
أَرْسَلَهُ لِإِقَامَةِ حُجَّتِهِ، وَإِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَالِدُّعَاءِ إِلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

الْتِمَاحُ

○ قوله: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُرْتَضَى» بعد أن حمد
الله تعالى، صلى على نبيه؛ وصلاة الله على عبده أصح ما قيل فيها:
ما رواه البخاري في «صحيحه» معلقاً، عن أبي العالية - رَحِمَهُ اللَّهُ - قال:
«صلاة الله على عبده، ثناءؤه عليه في الملاء الأعلى»^(١)، فنحن نسأل
الله أن يشني على عبده محمد ﷺ في الملاء الأعلى، وقيل: إن
الصلاة إذا أطلقت تشمل الثناء والرحمة، وإذا اجتمعا صارت الصلاة
هي الثناء، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]؛ فلما عطف الرحمة على الصلاة، صارت
الصلاة هي: الثناء وخرجت الرحمة منها، وإذا أطلقت الصلاة
وحدها دخلت فيها الرحمة، فكأنك تسأل الله أن يشني على عبده ﷺ
في الملاء الأعلى، وأن يرحمه، وفي الحديث القدسي يقول الله
ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي

(١) علقه البخاري في «الصحيح» قبيل (٤٧٩٧) بصيغة الجزم، ووصله إسماعيل القاضي
في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٨٢ ح ٩٥) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع
بن أنس، عن أبي العالية، به. وكذا وصله ابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» لابن
حجر (٥٣٣/٨) من طريق أبي جعفر، به.

نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (١).

محمد ﷺ؛ هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي العربي، المكي ثم المدني، من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - فهو عبد الله ورسوله المصطفى، يعني اصطفاه الله ﷻ من بين خلقه، فهو - عليه الصلاة والسلام - نبيُّ الله ورسوله المجتبي، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين - عليهم أفضل الصلاة والسلام -.

ورسالته عامة - شاملة للعرب والعجم، وللتقلين - الجن والإنس -، فمن أنكر نبوته - عليه الصلاة والسلام - فهو كافر بإجماع المسلمين قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (٢) ومن قال: إنه رسول إلى العرب خاصة فهو كافر بإجماع المسلمين. ومن أنكر نبوته إلى الجن فهو كافر. ومن قال: إنه بعده نبي، فهو كافر بإجماع المسلمين.

فلا بد أن يؤمن الإنسان، بأن محمداً عبد الله ورسوله، ولا بد أن يؤمن بأن رسالته - عليه الصلاة والسلام - عامة للعرب والعجم والجن والإنس، ولا بد أن يؤمن بأنه خاتم النبيين.

(١) البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ويحذركم الله نفسه، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

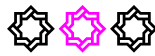
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ على جميع الناس ونسخ الملل بملته.

وشريعته عليه الصلاة والسلام ناسخة لجميع الشرائع، فليس بعده نبي، وليس بعده رسول، وليس بعده شريعة، فشريعته هي الشريعة الخاتمة؛ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

○ قوله: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُرْتَضَى»؛ أي: الذي ارتضاه الله ﷻ.

○ قوله: «وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى» أي: اصطفاه وأرسله لإقامة الحجة على عباده، فالرسل أرسلهم الله لإقامة الحجة على العباد؛ قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] أرسله الله لإقامة حجته، وإثبات وحدانيته في الربوبية، وفي الأسماء والصفات، وفي الألوهية.

والدعوة إلى توحيد الله مبنية على العلم والحكمة، والموعظة الحسنة لمن عنده شبهة، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندة.



(١) أخرجه البخاري في كتاب المنافب، باب خاتم النبيين ﷺ، رقم (٣٥٣٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم (٢٢٨٦) لفظ البخاري.



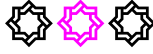
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ، وَالسُّنَنِ الزَّائِكَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا).

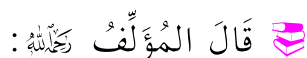
الْتِمِيزُ

- قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»: كرر المؤلف الحمد لبيان متعلقه.
- قوله: «عَلَى الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ» أي: الشرائع التي شرعها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وقد جمع الشرائع بالنسبة إلى الأحكام؛ لأنها متعددة، فالأحكام والأخلاق والأعمال هي الشرائع الظاهرة لكل أحد، لظهورها في الكتاب والسنة.
- قوله: «وَالسُّنَنِ الزَّائِكَةِ» أي: التي تزكي النفوس، وتطهرها من أدرانها.
- قوله: «وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ» أي: التي جاء بها - عليه الصلاة والسلام -؛ من الإحسان، والبر، والإيثار، والشجاعة، والكرم، والعدل، إلى غير ذلك.
- قوله: «وَسَلَّم تَسْلِيمًا»: بعد أن صلى على النبي ﷺ، سلم عليه، ونحن قد أمرنا أن نصلي ونسلم عليه ﷺ في كل صلاة في التشهد، ولهذا قال الصحابة رضوان الله عليهم - كما في الحديث -: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ،

إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(١)؛ أي: قد علمنا كيف
نسلم عليك في التشهد، فكيف نصلي عليك؟



(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٦٣٥٧)،
ومسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٠٦) من حديث كعب
بن عجرة رضي الله عنه.



الشرح

○ قوله: «لِصَوَابِ الْقَوْلِ، وَصَالِحِ الْعَمَلِ»: هذا دعاء؛ فبعد أن ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الشَّاءَ على الله رَضِيَ، ثم ثَنَّى بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ، سأل الله رَضِيَ وتضرع إليه لصواب القول وصالح العمل، وهذا هو طريق السعادة، فمن وفقه الله لصواب القول وصالح العمل، فهو السعيد.

والعمل الصالح المقبول عند الله - تعالى - هو: ما كان خالصًا لوجهه، موافقًا لشرعه ودينه، وإذا فُقِدَ الإخلاص جاء الشرك، وإذا فقدت المتابعة جاءت البدعة.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ عَرْضَنَا فِيْمَا نَتَكَلَّفُهُ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَهُ، وَإِثَارَ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، لِيَكُونَ سَعِينًا عِنْدَهُ مَشْكُورًا، وَثَوَابِنَا لَدَيْهِ مُؤَفُّورًا).

الشَّيْخُ

○ قوله: «وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ عَرْضَنَا فِيْمَا نَتَكَلَّفُهُ...»: بعد أن سأل الله التوفيق لصواب القول، وصالح العمل، سأل الله الإخلاص، فالعمل الصالح إذا أطلق يراد به أن يكون موافقاً للشرع، والخالص المراد به أن يكون لوجه الله، في العمل الصالح لا يصح إلا بهما:

الشرط الأول: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، أي أن تكون نيته في العمل ابتغاء وجه الله وثوابه.

الشرط الثاني: أن يكون العمل موافقاً للشرع، والدين والسنة؛ قال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٢٢] [لقمان: ٢٢]، فإسلام الوجه، هو: إخلاص العمل لله، والإحسان هو: أن يكون العمل موافقاً للشرع، قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وثبت في «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(١) والعمل بالنية هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

ودل على الشرط الثاني - وهو موافقة العمل للشرع - ما ثبت في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، في لفظ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

فمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله: أن يكون العمل خالصاً لله. ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله: أن يكون العمل موافقاً لشرع الله.

فتبين بهذا أن هذين الشرطين، هما أصل الدين وأساس الملة؛ الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، هما الأصل الذي تركز عليه الأعمال وتبنى عليه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»^(٤)، وإذا

(١) أخرجه البخاري في باب بدء الوحي رقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ، إنما العمل بالنية، رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. رقم (١٧١٨).

(٣) بهذا اللفظ علقه البخاري قبيل (٢١٤٢، ٧٣٥١)، ووصله مسلم في الأقضية (١٧١٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، رقم (٨)، ومسلم في الإيمان باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، رقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أطلقت شهادة أن لا إله إلا الله؛ دخلت فيها شهادة أن محمدًا رسول الله، وإذا أطلقت شهادة أن محمدًا رسول الله؛ دخلت فيها شهادة أن لا إله إلا الله.

والشهادتان لا تصح إحداهما بدون الأخرى؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمدًا رسول، لم تقبل منه، ولم تصح شهادة أن لا إله إلا الله، ومن شهد أن محمدًا رسول الله، ولم يشهد أن لا إله إلا الله، لم تصح منه ولم تقبل.

ولهذا فإن اليهود - وإن كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بالله، ويشهدون أن لا إله إلا الله - لكن الله أبطل إيمانهم؛ لأنهم لم يشهدوا أن محمدًا رسول، ولم يؤمنوا به، قال سبحانه عنهم في سورة التوبة: ﴿قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فنفى عنهم الإيمان؛ لأنهم لم يشهدوا أن محمدًا رسول الله، فلم يؤمنوا بمحمد - عليه الصلاة والسلام -، ولم يقبلوا شرعه ودينه، فبطلت دعواهم الإيمان بالله.

○ قوله: «وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ غَرَضَنَا فِيْمَا نَتَكَلَّفُهُ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ، وَإِثَارَ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ» ونحن أيضًا نسأل الله أن يجعل غرضنا فيما نتكلف؛ فيما نقول ونعمل ونكتب ونؤلف ابتغاء وجه الله، وأن يكون مرادًا به إثارة رضا الله ومحبته، فمن وفقه الله لصالح القول، وصواب القول، وصالح العمل، وجعل عمله خالصًا، صار سعيه - من صلاة وصوم، وزكاة وحج، وبر للوالدين وصلة الرحم، ودعوة الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس

وكف الأذى، والبعد عن المحرمات، والبعد عن العدوان على الناس في الدماء والأموال والأعراض - عند الله: «مَشْكُورًا» وثوابه «لَدَيْهِ» سبحانه «مَوْفُورًا»، فمن كان عمله خالصًا لله، وموافقًا لشرع الله، فسعيه مشكور؛ يشكر الله ﷻ لصاحبه كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] فهو ﷻ يثيب على العمل القليل ثوابًا كثيرًا، فثوابه موفور عظيم، نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأن يوفقنا للصواب في القول والعمل.





قال المؤلف رحمه الله:

(أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْضِرَنَا وَإِيَّاكَ تَوْفِيقًا، يَفْتَحَ لَنَا وَلَكَ بِهِ أَبْوَابَ الصَّدَقِ، وَيُقَيِّضَ لَنَا بِهِ الْعِصْمَةَ مِنْ هَفَوَاتِ الْخَطَا، وَفَلَكَاتِ الْأَرَاءِ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ).

الشَّيْخُ

○ قوله: «أَمَّا بَعْدُ»: هذه كلمة يؤتى بها للانتقال من شيء إلى شيء؛ انتقل المؤلف رحمه الله من الخطبة - خطبة الكتاب -؛ للدخول في الموضوع، ويسن وينبغي للإنسان أن يبدأ إذا انتقل من شيء إلى شيء؛ سواء في الكتابة، أو في التأليف، أو في الرسائل، أو في الخطب والمواعظ، أن يقول: أما بعد، لأن النبي ﷺ كان يقولها في خطبه ^(١) كما جاء في الحديث - «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ...» ^(٢).

واختلف في أول من قالها؛ فقليل: أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الشاء أما بعد، رقم (٩٢٥)، ومسلم في الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، رقم (١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قام عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

(٣) ذكره ابن جرير في «التاريخ» (٥٣٣/٣) عن الهيثم بن عدي أن أول من قالها هو قس بن ساعدة، وذكره أيضًا الصفدي في «الوافي» (٣٢٤٣/١)، وأبو الفرج في «الأغاني» (٢٣٦/١٥)، وذكر العجلوني في «كشف الخفا» (٥٨٧) أن أقرب الأقوال أن أول من قالها هو داود رضي الله عنه، وانظر: «فتح الباري» (٤٠٤/٢).

وقيل: أول من قالها نبيُّ الله داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام^(١)؛ حيث قيل: إنها داخله في قوله: ﴿وَأَيَّنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠] ويسن أيضاً أن تكتب في الرسائل، وهي أحسن من قول: وبعد.

○ قوله: «فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْضِرَنَا وَإِيَّاكَ تَوْفِيقًا»: هذا دعاء أيضاً، وهو من نصح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، فالمؤلف عالم ناصح؛ ينصح ويعلم طالب العلم ويدعو له، فقوله: «أَسْأَلُ اللَّهَ»: السؤال لا يكون إلا لله، فالله تعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو الذي بيده كل شيء، لا يُسأل إلا الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فمن سأل غير الله تفريج الكربات، أو إجابة الدعوات، أو ما أشبه ذلك؛ فإنه يكون مشركاً.

أما إذا سأل الإنسان مخلوقاً حياً حاضراً فيما يقدر عليه فلا بأس، كأن يطلب منه أن يقرضه مالاً، أو يساعده في إصلاح سيارته، أو في إصلاح مزرعته، أو في إصلاح بيته؛ فهذا لا بأس به. أما الغائب أو الميت، فإنه إن طلب ذلك منه كان مشركاً.

وقد سأل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ التوفيق مرتين:

الأولى: في قوله: «نَسْتَوْفِقُ اللَّهَ».

والثانية: في هذا الموضع.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «التفسير» لابن كثير (٣١/٤) من طريق عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن بلال بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى رَحِمَهُ اللهُ قال: «أول من قال أما بعد: داود رَحِمَهُ اللهُ»، وهو فصل الخطاب. وفي إسناده عبد العزيز بن أبي ثابت، وهو متروك، انظر: ترجمته «تهذيب الكمال» (١٧٨/١٨)، «تهذيب التهذيب» (٣١٢/٦).

○ قوله: «يَفْتَحْ لَنَا وَلَكَ بِهِ أَبْوَابَ الصَّدَقِ»: المؤلف رَحِمَهُ اللهُ سأل ربه التوفيق، والتوفيق يفتح الله به: أبواب الصدق في القول والعمل، ومن وفقه الله للصدق، فقد حصل على السعادة الأبدية.

الصدق يكون في: الاعتقاد، وفي القول، وفي العمل.

والصادق في الاعتقاد هو: الموحّد لله؛ بأن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله عن صدق وإخلاص، بخلاف المنافقين فإنهم لا يشهدون عن صدق ولا إخلاص، بل عن كذب ونفاق، فهم وإن أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله بالسنتهم؛ إلا أن قلوبهم مكذبة؛ قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْلِفُوكَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] إذن المنافقون كاذبون في الشهادة لله بالوحدانية، وللنبي بالرسالة؛ فهم في الدرك الأسفل من النار - والعياذ بالله -؛ لأن الألسن مصدقة والقلوب مكذبة - نسأل الله السلامة والعافية -.

والصادق في القول هو: من يكون صادقًا في أقواله، وفي حديثه، ومن صفات المنافقين العملية، أنه «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»^(١).

والصادق في العمل هو: الذي تصدّق أعماله أقواله، فيكون منقادًا لله في شرعه ودينه، فتنقاد الجوارح بالأعمال.

والصادقون هم: السعداء، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْصَادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب آية المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ.

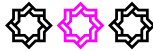
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال - سبحانه - : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١١٩] فالصدق منجاة.

ومن اتصف بالصدق في اعتقاده في قوله وعمله فهو السعيد، ومن اتصف بالكذب في عقيدته أو في عمله أو في قوله فهو من الهالكين، نسأل الله السلامة والعافية؛ ولهذا فإن من نُصح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سأل لنفسه ولك التوفيق.

○ قوله: «وَيُقَيِّضُ لَنَا بِهِ الْعِصْمَةَ مِنْ هَفَوَاتِ الْخَطَأِ» المراد: يقيض بالصدق العصمة، فإذا وفق الله الإنسان لهذا الصدق، عصمه الله به من الزلل والخطأ.

○ قوله: «وَفَلَتَاتِ الْأَرَاءِ» أي: المضلة.

ثم توسل المؤلف إلى الله في قبول هذا الدعاء بأسمائه وصفاته، فقال: «إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ»؛ فإن الله سبحانه: «رَحِيمٌ»، ومن رحمته أن يوفق العبد لهذا الصدق، «وَدُودٌ»؛ يتودد إلى عبادته بنعمه، «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» ﷻ بيده كل شيء.



سبب تأليف هذا الكتاب

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ مَا قَدْ عَمَّ النَّاسَ وَأَظْهَرُوهُ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ فَاسْتَحْسَنُوهُ مِنْ فَظَائِعِ الْأَهْوَاءِ وَقَذَائِعِ الْأَرَائِ، وَتَحْرِيفِ سُنَنِهِمْ، وَتَبْدِيلِ دِينِهِمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِفُرْقَتِهِمْ، وَفَتْحِ بَابِ الْبَلِيَّةِ وَالْعَمَى عَلَى أَفْعِدَتِهِمْ، وَتَشْتِيتِ أَلْفَتِهِمْ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ، فَنَبَذُوا الْكِتَابَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاتَّخَذُوا الْجُهَالَ وَالضَّلَالَ أَرْبَابًا فِي أُمُورِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ مِنْ رَبِّهِمْ، وَاسْتَعْمَلُوا الْخُصُومَاتِ فِيَمَا يَدْعُونَ، وَقَطَعُوا الشَّهَادَاتِ عَلَيْهَا بِالظُّنُونِ، وَاحْتَجُّوا بِالْبُهْتَانِ فِيَمَا يَنْتَحِلُونَ، وَقَلَّدُوا فِي دِينِهِمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فِيَمَا لَا بُرْهَانَ لَهُمْ بِهِ فِي الْكِتَابِ، وَلَا حُجَّةَ عِنْدَهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِجْمَاعِ.

وَإِنَّمَا اللَّهُ لَكَثِيرٌ مِمَّا أَلْقَتِ الشَّيَاطِينُ، عَلَى أَفْوَاهِ إِخْوَانِهِمُ الْمُلْحِدِينَ، مِنْ أَقَاوِيلِ الضَّلَالِ وَزُخُرِفِ الْمَقَالِ، مِنْ مُحَدَّثَاتِ الْبِدْعِ بِالْقَوْلِ الْمُخْتَرَعِ - بِدْعٌ تَشْتَبِهُ عَلَى الْعُقُولِ، وَفِتْنٌ تَتَلَجَّلُجُ فِي الصُّدُورِ، فَلَا يَقُومُ لِتَعَرُّضِهَا بِشَرٍّ، وَلَا يَنْبُتُ لِتَلَجَّلُجِهَا قَدَمٌ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ بِالْعِلْمِ، وَأَيَّدَهُ بِالتَّشْيِيتِ وَالْحِلْمِ، جَمَعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ طَرَفًا مِمَّا سَمِعْنَاهُ).

الشیخ

هذا سبب تأليف الكتاب، والمسافة طويلة بين «لَمَّا» وجوابها الفعل «جَمَعْتُ».

قدم المؤلف ﷺ بين يدي الكتاب: بيان السنة، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة، وبيان السنن في العبادات والعمل مقدمة طويلة، وقد ساق ﷺ فيها النصوص من كتاب الله وسنة رسوله، وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، جعلها مقدمة - وهي القسم الأول - قدمها لـ:

«التَّحْذِيرُ مِنَ الشُّذُودِ»؛ وهو مخالفة الكتاب والسنة، وما عليه الصحابة والتابعين.

و«التَّخْوِيفُ مِنَ النُّدُودِ»؛ جمع نَدٍّ، يقال: نَدَّ الجملُ إذا شرد وهرب؛ ولهذا يقول العلماء: (إذا ند جمل فلا يصح بيعه)^(١)؛ لأنه لا يقدر على تسليمه، فالجمل الشارد، والطير في الهواء، والعبد الآبق، لا يصح بيعه؛ لأن من شرط البيع القدرة على التسليم، فالمعنى: أن يند الإنسان، ويشذَّ عن أهل السنة والجماعة، ويخالف ما عليه الصحابة والتابعون، وما أمر الله ﷻ به رسوله بلزوم الجماعة^(٢) قال: ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تُلْغِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] جاء بعدها قوله - سبحانه - : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [١٠٦] وكيف تكفرون

(١) انظر: البدائع (٤٣/٥)، والتاج والإكليل (٧١/٦)، ومغني المحتاج (١٠٨/٨)، والمغني لابن قدامة (٥٦٦-٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٧) من حديث حذيفة الطويل وفيه: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم».

وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فالنصوص كلها جاءت بـ «لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَمُبَايَنَةِ أَهْلِ الرَّيْغِ وَالتَّفَرُّقِ وَالشَّنَاعَةِ» والمراد: مخالفتهم، والبعد عنهم، والتشنيع عليهم.

○ قوله: «وَمَا يَلْزَمُ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ الْمُجَانِبَةِ وَالْمُبَايَنَةِ، لِمَنْ خَالَفَ عِقْدَهُمْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُمْ، وَقَدَحَ فِي دِينِهِمْ، وَقَصَدَ لِتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ»:

الذي يلزم أهل السنة والجماعة أن يجانبوا ويباينوا من خالف عقدهم - أي: اعتقادهم -، من أهل البدع؛ كالجهمية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والكرامية والأشاعرة وغيرهم ممن خالف السنة.

فأهل هذه الفرق نكثوا عهدهم، أما المؤمن فله عهد مع الله ﷻ وهو أن يلتزم بشرع الله ودينه، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٢﴾ [المائدة: ١٢].

هذا عهد وعقد لبني إسرائيل، وهو مأخوذ على هذه الأمة
أيضاً، فمن أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وآمن بالرسول، وآمن بمحمد
ﷺ وعزّره ونصره، ونصر سنته، واستقام على دينه - كفر الله سيئاته،
أما من كفر فهو هالك وله العذاب العظيم.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(ثُمَّ عَلَى إثرِ ذَلِكَ شَرَحَ السُّنَّةَ؛ مِنْ إِجْمَاعِ الْأُئِمَّةِ، وَاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ، وَتَطَابُقِ أَهْلِ الْمِلَّةِ، فَجَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَسَعُ الْمُسْلِمِينَ جَهْلُهُ، وَلَا يَعْذُرُ اللَّهُ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - مَنْ أَضَاعَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ، مِمَّنْ دُحِضَتْ حُجَّتُهُ لَمَّا اسْتَهْزَأَ بِالَّذِينَ، وَزَلَّتْ قَدَمُهُ لَمَّا ثَلَبَ أُئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَعَمِيَ عَنْ رُشْدِهِ حِينَ خَالَفَ سُنَّةَ الْمُصْطَفَى وَالرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّيِّبِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُتَخَبِّينَ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى تَابِعِي التَّابِعِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ).

الشَّيْخُ

هذا هو القسم الثاني؛ وسيذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة والنصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأمر بلزوم الجماعة، والبعد عن البدع والمحدثات في الدين، والأدلة والنصوص في تولي الصحابة والترضي عنهم، والبعد عن خالف منهمجهم.

○ قوله: «فَجَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَسَعُ الْمُسْلِمِينَ جَهْلُهُ» وهي مسائل الاعتقاد التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها؛ وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومسائل الصفات والشفاعة والميزان والصراط والحوض والجنة والنار.

فلا بد للمسلم أن يؤمن بهذا، ولا يصح الإيمان إلا به، ولا

يعذر فيه أحد؛ ولهذا قال المؤلف: «وَلَا يَعْذُرُ اللَّهُ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - مَنْ أَضَاعَهُ»؛ يعني: أن أصول الدين وأصول الإيمان، لا يعذر فيها أحد، فمن أنكر شيئاً منها فقد خرج عن دائرة الإسلام وصار من الكافرين بإجماع المسلمين. ولا ينظر إلى من خالف ذلك، وطعن على أهل السنة والجماعة.

○ قوله: «مِمَّنْ دُحِضَتْ حُجَّتُهُ لَمَّا اسْتَهْزَأَ بِالَّذِينَ» أي: من استهزأ بالدين فهذه ردة عن الإسلام بنص القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

○ قوله: «وَزَلَّتْ قَدَمُهُ لَمَّا ثَلَبَ أَيْمَةَ الْمُسْلِمِينَ» أي: أن الذي يثلب أئمة المسلمين ويعيبهم ويتقصصهم؛ لا شك أن قدمه قد زلت.

○ قوله: «وَعَمِيَ عَنْ رُشْدِهِ حِينَ خَالَفَ سُنَّةَ الْمُصْطَفَى وَالرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»: لا شك أن من خالف سنة رسول الله الذي اصطفاه الله، والراشدين المهديين - وهم الخلفاء الأربعة -؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، لا شك أنه ممن أعمى الله بصيرته وإن كان يبصر بعينه - نسأل الله السلامة والعافية -.

○ قوله: «وَأَلَّهُ»: أصح ما قيل في الآل أنها تشمل أتباعه على دينه، ويدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً، وألّه - وهم أهل البيت - تشمل أتباعه على دينه من أهل البيت ومن الصحابة.

○ قوله: «وَأَلِّهِ الظَّاهِرِينَ الطَّيِّبِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنتَخِبِينَ»: عطفُ الأصحاب على الآل تخصيص بعد تعميم؛ لأن أصحابه داخلون في آلّه، فبذلك صلى عليهم مرتين؛ المرة الأولى: في قوله: بالعموم، والمرة الثانية: بالخصوص.

المراد بـ«الْمُتَّخِضِينَ»: الذين انتخبهم الله واجتباهم واصطفاهم بصحبة نبيه، لا كان قبلهم ولا يكون بعدهم من هو أفضل منهم، فهم أفضل الناس، وخير الناس - بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الْقَصَص: ٦٨] ﷻ.

○ قوله: «وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ»: كذلك أزواجه الطاهرات المطهرات، وهن زوجاته في الآخرة - رضى الله عنهن وأرضاهن - . والمعنى: أسأل الله أن يثني على نبيه، وعلى آله، وأتباعه على دينه عموماً، ثم خص أصحابه، و أزواجه.

○ قوله: «وَعَلَى التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ» يخرج به: من تبعهم بإساءة.

○ قوله: «وَعَلَى تَابِعِي التَّابِعِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» يوم الدين هو يوم الحساب والجزاء.

○ ثم قال: «وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ» أي: نطلب منه العون، ونتوكل عليه في أمورنا كلها؛ فيما نقول وفيما نعمل، وفيما نكتب، وفيما نؤلف، فإذا أعانك الله فأنت موفق، وإلا فلا يستطيع العبد أن يعمل. كما قال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده^(١)
والاستعانة هي: التوكل عليه والاعتماد عليه ﷻ؛ ولهذا قال - تعالى - في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]؛ نخص الله بالعبادة، ونخصه بالاستعانة، قال - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرَّعد: ٣٠]، وقال أيضاً: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،

(١) ذكره الثعلبي في «التمثيل والمحاضرة» في الفصل الأول في المدخل والأنموذج مما يجري مجرى الأمثال من ذكر الله تعالى.

وقال كذلك: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]،
فالتوكل شرط في صحة الإيمان، وهو: الاعتماد على الله، وتفويض
الأمر إليه، بعد فعل الأسباب النافعة، فالاستعانة والتوكل يجمعان
أمرين هما:

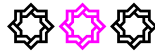
الأول: فعل الأسباب النافعة المشروعة.

الثاني: تفويض الأمر إلى الله في حصول النتيجة بعد ذلك.

فالإنسان يعتمد على الله ويتوكل عليه في أمور دينه ودنياه؛

ففي أمور الدنيا: يبذر ويزرع ويبيع ويشترى - هذه أسباب -، ثم
يتوكل على الله في حصول النتيجة.

وفي أمور الدين: يفعل الأسباب بأن فيؤمن بالله ورسوله،
ويؤدي الواجبات، وينتهي عن المحرمات، ويستقيم على دين الله،
ثم بعد ذلك يفوض الأمر إلى الله ﷻ.





❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ثُمَّ إِنِّي أَثَبْتُ فِي كِتَابِي هَذَا يَا أَخِي؛ - وَفَقَكَ اللَّهُ بِقَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ - مُتُونًا تَرَكْتُ أَسَانِيدَهَا؛ طَلَبًا لِلِاخْتِصَارِ، وَعُدُولًا عَنِ الإِطَالَةِ وَالْإِكْثَارِ؛ لِيَسْهُلَ عَلَى مَنْ قَرَأَهُ، وَلَا يَمَلُّ مَنْ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ وَوَعَاهُ، وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِنَا، وَالْأَخِذُ بِأَيْدِينَا، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

❦ الشَّيْخُ ❦

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه أثبت في كتابه هذا متونًا ترك أسانيدها؛ طلبًا للاختصار.

○ قوله: «ثُمَّ إِنِّي أَثَبْتُ فِي كِتَابِي هَذَا يَا أَخِي»: هذا من تواضع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن القارئ قد يكون ابنًا له، وقد يكون أخًا له، وقد يكون مماثلًا له في العلم، وقد يكون أقل منه.

فالأخوة ثابتة بين جميع المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

○ قوله: «وَفَقَكَ اللَّهُ بِقَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ»: هذا من نصيح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، يعلمك ويدعو لك، وإذا وفق الله المسلم لقبول العلم والعمل به؛ فهو على خير عظيم.

○ قوله: «مُتُونًا تَرَكْتُ أَسَانِيدَهَا»: يعني: أحاديث حذف الأسانيد طلبًا للاختصار، لأنه لو ذكر الأسانيد وسردها لطال الكتاب، ولذلك قال: «وَعُدُولًا عَنِ الإِطَالَةِ وَالْإِكْثَارِ».

○ قوله: «لَيْسَهُلَّ عَلَى مَنْ قَرَأَهُ، وَلَا يَمَلُّ مَنْ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ وَوَعَاهُ»
أي: فتسهل قراءته على القارئ، ولا يمل المستمع إليه؛ لأن
المختصر الكل يقرؤه، بخلاف الطويل؛ فإنه قد يضعف الإنسان عن
قراءته.

○ ثم قال المؤلف: «وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِنَا، وَالْآخِذُ بِأَيْدِينَا»: هذا
دعاء من المؤلف - نسأل الله أن يقبله -، فهو ﷺ الذي يوفقنا للعلم
والعمل، وهو أيضًا الآخذ بأيدينا إلى سبيل الرشاد، «وَهُوَ حَسْبُنَا
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ﷺ.



القسم الأول

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِذِكْرِهِ مِنْ ذَلِكَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهِ وَذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]).

الشَّيْخُ

○ قوله: «فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِذِكْرِهِ مِنْ ذَلِكَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهِ وَذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ»: هذا هو القسم الأول: النصوص التي فيها الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة والاختلاف، والنصوص التي فيها تولي الصحابة والبعد عن مشاقتهم ومخالفتهم.

فذكر النص الأول: قول الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾؛ هذا أمر من الله ﷻ لعباده أن يعتصموا بحبله، أي: دينه ﷻ، ودينه هو ما أنزله الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، والمعنى: اعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ جميعًا، واجتمعوا على ذلك ولا تفرقوا؛ حتى تتألف القلوب، وحتى تكونوا يدًا واحدة على أعدائكم، ولا تفرقوا؛ لأن الفرقة والاختلاف شر.

والتفرق يكون بـ: ترك العمل بالكتاب والسنة، والاجتماع يكون بالعمل بهما.

❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ثُمَّ تَهَدَّدَ بِالْوَعِيدِ مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]).

الشَّيْخُ

هذه الآية فيها: تحذير من الفرقة والاختلاف، وتهديد بالوعيد؛ قال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهؤلاء هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنهم اختلفوا وتفرقوا في دينهم لا عن جهل ولكن بعد العلم؛ قال - سبحانه -: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] وقال - سبحانه -: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤].

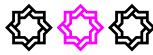
وكونهم يتفرقون بعد العلم، وبعد البينة، وبعد البصيرة - والعياذ بالله - فهذه مصيبة، وهو يدل على أنهم غاوون، وأنهم انحرفوا عن بصيرة، وقد نهانا الله تعالى أن نتشبه بأهل الكتاب فيصيبنا ما أصابهم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

والمعنى: أنكم إذا تفرقتم واختلفتم في كتابكم حل بكم ما حل بهم من العذاب الأليم، فلا حول ولا قوة إلا بالله؛ ليس بين الناس نسب ولا عهد؛ بل من أطاع الله فهو السعيد، ومن عصى الله فهو الشقي.

ومن ذلك: الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واعتقاد ما يعتقده السلف الصالح - من الصحابة والتابعين - في ربهم ونبیهم ودينهم، من الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإيمان بربوبيته ووحدانيته وألوهيته، وأنه لا يستحق العبادة غيره، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بأسماء الله وصفاته، وإثباتها لله كما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات الصفات والأسماء التي يثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير تكيف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

ولهذا قال الله سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وسبيل المؤمنين هو: سبيل الصحابة والتابعين، فمن كان في شقٍّ والله ورسوله في شقٍّ فهو هالك، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

والإيمان بما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات واجب، فمن جحد الأسماء والصفات، أو حرفها، أو نفاه، أو أبطل معناها، أو كيّفها، أو فوض معناها، فقد شاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين، وهو متوعدٌّ بأن يصلية الله الجحيم - نسأل الله السلامة والعافية -.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَأَمَرَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى دِينِهِ وَطَاعَتِهِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]).

الشَّيْخُ

أمرنا الله بالاجتماع على دينه وطاعته في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

○ قوله تعالى: ﴿﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾﴾ أي: مخلصين له العبادة، وهذا هو الذي أمر الله به عباده؛ أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، ولا تكفي العبادة وحدها؛ لأن الإنسان قد يعبد الله ويعبد غيره كما يفعل المشركون، فلا بد من الإخلاص بحيث لا يكون في عبادتهم شرك.

والدين يأتي بمعان: فيأتي بمعنى التوحيد والطاعة، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢) [الزمر: ٢] يعني: العبادة. ويأتي بمعنى الجزاء والحساب كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) [الفاتحة: ٤] يعني: الجزاء والحساب، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) [الأنفطار: ١٧-١٩].

○ قوله تعالى: ﴿﴿حُنَفَاءَ﴾﴾ جمع حنيف، والحنيف هو: المائل عن الشرك والبدع، المستقيم على التوحيد، ومنه سُمِّي إبراهيم عليه السلام

حنيفًا: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]
يعني: مائلًا عن الشرك، مستقيمًا على التوحيد، ولهذا يقال لملة
الإسلام: هي الملة العوجاء؛ لأنها مائلة عن الباطل وعن الأديان
الأخرى مستقيمة في نفسها.

○ قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] هذا الدين المستقيم القيم الذي لا عوج فيه
وهو دين الإسلام، فهو عبادة الله مع الإخلاص، وإقام الصلاة،
وإيتاء الزكاة.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُورٍ﴾ [الصف: ٤]).

الشَّيْخُ

المشروع في الجهاد عند قتال العدو؛ أن يكون صف المسلمين متراصًا، وكذلك في الصلاة؛ يجب أن تكون صفوفهم متراصة ليس فيها خلل.

وفي الآية: إثبات صفة المحبة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته. وفيها: الرد على من أنكر محبة الله من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فكلهم ينكرونها.

فالله يُحِبُّ وَيُحَبُّ، كما قال ﷻ في آية المائدة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] والجهمية يقولون: «إن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ»^(١). فأنكروا المحبة، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق توجب المحبة^(٢). وهذا من أبطل الباطل، وأيُّ مناسبة أعظم من مناسبة بين الرب والعبد، فالرب ﷻ يتولى عباده ويربيهم بنعمه، والعبد يتأله ربه ويعبده، فهذه أعظم مناسبة^(٣).

(١) انظر: «العقيدة الأصفهانية» (ص ٢٧)، و«درء التعارض» (٦/٦٢).

(٢) انظر: «الصواعق المرسل» (٤/١٤٩٠).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/١٨-٢٠).

وإذا وجد الخلل في الصفوف - صفوف المجاهدين أو المصلين - فإنه يؤدي إلى الخلل في القلوب وتنافرها، فإذا اختلف الناس اختلفت قلوبهم؛ ولهذا كان مما ورد في الأمر بالمراسة في الصفوف: «تَرَاضُوا»^(١)، «وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(٢).



-
- (١) أخرجه البخاري في الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة، رقم (٧١٨) - اللفظ له -، ومسلم في الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، رقم (٤٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
- (٢) أخرجه مسلم في الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم (٤٣٢) من حديث أبي مسعود البديري رضي الله عنه.

مباينة من خالف عقد أهل السنة وهَجَرُهم

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَمَا أَمَرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُبَايَنَةِ مَنْ خَالَفَ عَقْدَهُمْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُمْ، وَطَعَنَ فِي دِينِهِمْ، مِنْ مُجَانَبَتِهِمْ، وَتَرَكَ مُجَالَسَتَهُمْ، وَالِاسْتِمَاعَ لِخَطِئِهِمْ وَخَلَطِهِمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسَنَّزُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

الشَّجْحُ

في هذا بيان أن الله ﷻ أمر المؤمنين بمباينة من خالف عَقْدَهُمْ - يعني من خالف اعتقادهم -، فالمؤمن عليه أن يباين من خالف عقيدته كاليهودي والنصراني والوثني، لأن عقيدته تخالف عقيدة المسلم، فلا بد من مباينته والبعد عنه، وعدم اتخاذه صديقاً أو معاشراً.

○ قوله: «وَتَرَكَ مُجَالَسَتَهُمْ»: أي: لا تتخذ الكافر صديقاً تزوره ويزورك، فإن جمعك به مجلس من دون اختيار فهذا شيء آخر، أما كونك تتخذ صديقاً، تفضي إليه بأسرارك، وتثق به، وتزوره ويزورك، فهذا من الموالاة، فعليك بالبعد عنه إلا في حالة دعوته للإسلام فلا بأس أن تزوره وتدعوه للإسلام، كما زار النبي ﷺ

اليهودي الذي دعاه للإسلام فأسلم^(١)، وكما زار عمّه أبا طالب فدعاه للإسلام ولم يقدر الله له الإسلام^(٢).

فالمسلم عليه أن يباين من خالف اعتقاده وعقيدته، ويجانبه ولا يجالسه ولا يستمع لخطئه في أفعاله، وخطئه في أقواله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]؛ فمن شاق الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين - وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من العلماء والأئمة - ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم.

وقال سبحانه في هذه الآية الكريمة التي ساقها المؤلف في سورة النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] فلا يجوز للمسلم أن يجلس في مجلس يعصى الله ورسوله ﷺ فيه.

فمن جلس في مجلس يُستهزأ فيه بالله أو بكتابه أو برسوله فإنه يجب عليه أن ينكر عليهم، فإن زال المنكر فالحمد لله، وإن لم يُزل فيجب عليه مفارقة هذا المجلس فمن جلس معهم فهو كافر مثلهم.

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، رقم (١٣٥٦) من حديث أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، رقم (١٣٦٠)، ومسلم في الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

وكذلك من جلس في مجلس فيه الغيبة والنميمة، فعليه أن ينصحهم، فإن امتثلوا فالحمد لله، وإن لم يمتثلوا فليقم، وإن لم يقم فإن له حكمهم - حكم المغتاب وحكم النمام - ومن جلس في مجلس يُشرب فيه الخمر، فعليه أن ينكر عليهم، فإن زال المنكر فالحمد لله، وإن امتنعوا فليقم عن المجلس، فإن لم يقم فهو شريك لهم، حكمه حكم من شرب الخمر. نسأل الله السلامة والعافية.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ بِهُجْرَانِهِمْ وَمُبَايَنَتِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْتَزِلُوا نِسَاءَهُمْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تَوْبَتَهُمْ^(١)).

الشَّيْخُ

في هذا دليل على أنه ينبغي هجران أهل البدع والمعاصي؛ ولهذا أمر الرسول ﷺ بهجر هؤلاء الثلاثة وهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وصدقوا الرسول - عليه الصلاة والسلام - فأخبروه بأنهم ليس عندهم عذر، والمنافقون الذين تخلفوا كذبوا وحلفوا، فالرسول ﷺ قبل منهم علانيتهم، وأوكل سرائرهم إلى الله.

أما هؤلاء فقد صدقوا وقالوا: ليس لنا عذر، فأمر النبي ﷺ بهجرهم، فهجرهم المسلمون خمسين ليلة لا يكلمونهم، ولا يردون رِجَالَهُمْ، ولا يجيبون دعوتهم، ولما مضت أربعون ليلة أمرهم النبي ﷺ أن يعتزلوا نساءهم أيضاً، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم الدنيا بأسرها.

أما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقعد كل واحد منهم في بيته يبكي ولا يصلي مع الجماعة، وهذا فيه دليل على أنه - في هذه الحالة - قد تسقط عنهم الجماعة.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب حديث كعب بن مالك رقم (٤٤١٨)، ومسلم في كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩) مطولاً من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

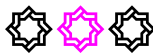
وأما كعب بن مالك رضي الله عنه فكان أشبَّ القوم، كان يطوف في الأسواق ويسلم، ولا أحد يرد عليه، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، حتى جاء إلى ابن عمه أبي قتادة رضي الله عنه الذي هو أحب الناس إليه، فسلم عليه، فلم يرد عليه، فقال: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ وكررها ثلاثاً، فلم يرد عليه، حتى قال في الثالثة: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناه.

فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، حتى جاءهم الفرج، وأنزل الله توبتهم من فوق سبع سموات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

فالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة هجروا هؤلاء الثلاثة خمسين ليلة ولم يهجروا المنافقين؛ فقال المحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وغيره: إن الهجر كالدواء علاج، فإن كان ينفع هجر العاصي والمبتدع، وإن كان الهجر يزيد شراً فلا يُهجر وليستمر على دعوته ^(١).

والشاهد من هذا: أن أهل البدع والعصاة يجب هجرهم.

ومن ذلك: المبتدعة في الأسماء والصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فيجب مباينتهم، والبعد عنهم، وعدم مجالستهم، وعدم السلام عليهم، وعدم إجابة دعوتهم؛ حتى يتوبوا عن بدعتهم.



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠٦/٢٨) و«زاد المعاد» (٥٠٦/٣).



﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ مَا دَخَلَ النَّفْسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى أَخَاهُ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ. ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ». ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١])^(١).

الشيخ

هذا هو النص الثاني^(٢) من النصوص التي ذكرها في القسم الأول، وهو الأمر بلزوم الجماعة والسنة، والتحذير من البدع. وسرد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ آثارًا كثيرة؛ ما بين نص وأثر عن الصحابة والتابعين عددها اثنان وثلاثون ومائتا نص. وهذا الحديث في سنده انقطاع؛ وضعفه الشيخ ناصر الدين

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٤٧). قال الترمذي: «حسن غريب». وأحمد في مسنده (٣٩١/١) رقم ٣٧١٣، وابن جرير في «التفسير» (٣١٨/٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٠٣٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦٦٦١) من طرق عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ. وأخرجه الترمذي (٣٠٤٨)، وابن ماجه (٤٠٠٦) من طريق الثوري، عن علي ابن بزيمة، عن أبي عبيدة، عن النبي ﷺ مرسلًا. قال الدارقطني في «العلل» (٥/٢٥٢ رقم ٨٦٢): «والمرسل أصح من المتصل». (٢) انظر: النص الأول (ص ٤١).

الألباني رحمته الله ^(١)، لكن الحديث له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره، والآية كافية في هذا، وهي قول الله ﷻ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) [المائدة: ٧٨-٧٩].

وهناك نصوص تدل على أنه لا يجوز لمسلم أن يجالس العاصي والمبتدع، أو يكون أكيله وشريبه وهو على معصية، إلا مع الإنكار عليه، فإن ارتدع وإلا فليهجره، ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه، إلا إذا كان الهجر يزيد شراً - كما سبق - فإنه يستمر في نصيحته.

ولهذا جاء في هذا الحديث: «كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى أَخَاهُ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ» يعني: من المعاصي «فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ» ينهاه عن المعصية «ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ» فلا يهجره؛ «فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِبَهُ وَقَعِيدَهُ»؛ أي: أن يأكل ويشرب معه ويجلس إليه كأنه لم يعص الله تعالى.

○ قوله: «فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»: ثم لعنهم على ألسن أنبيائهم، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

(١) فقال في «الضعيفة» (١١٠٥): «وجملة القول: أن الحديث مداره على أبي عبيدة وقد

اضطرب الرواة عليه في إسناده على أربعة وجوه:

الأول: عنه عن أبيه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

الثاني: عنه عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الثالث: عنه مرسلاً.

الرابع: عنه عن أبي موسى رضي الله عنه.

ولقد تبين من تحقيقنا السابق أن الصواب من ذلك: الوجه الأول وأنه منقطع فهو علة الحديث. اهـ.

يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

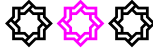
فالله تعالى قص علينا خبرهم لنعبر ولننجزر؛ لثلا نفعل مثل فعلهم فيصينا ما أصابهم؛ كما قال بعض السلف: مضى القوم ولم يعلم بهم سواهم، فالله تعالى حينما قص علينا خبر بني إسرائيل وأنهم لعنوا على ألسن أنبيائهم، بين أن السبب: أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

فالواجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على قدر استطاعته، باللين والرفق والحكمة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

فتنكر باللين والرفق؛ باليد إذا كنت أميرًا أو لك سلطة مثل رجال الحسبة، فإن عجزت تنكر باللسان والبيان والإيضاح، فإن عجزت تنكر بالقلب مع ظهور علامات الإنكار على الوجه والبعد عن مجالستهم، فالإنكار بالقلب يكون مع ظهور علامات الكراهة على وجهك، وأن تفارق المجلس الذي يُعصى الله فيه، فإذا فعل الإنسان ذلك أنكر المنكر وبرئ، لكن من رضي وتابع كما جاء في الحديث الآخر في صحيح مسلم: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»^(٢)؛ أي:

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٤٩).
(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، رقم (١٨٥٤) حديث أم سلمة رضي الله عنها.

فإنه يصيبه ما أصابهم، ويشمله الإثم.
ومن ذلك: أهل البدع، في الأسماء والصفات، مثل الأشاعرة
والمعتزلة والجهمية؛ يجب أن يُنكر عليهم، ويُبين لهم الحق،
وينهاهم عن بدعتهم، فإن استمروا على بدعتهم يهجرهم ولا
يجالسهم، ولا يأكل معهم.





﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدَاهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا وَبَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَخْرُجُونَ وَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، وَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ عَلَى أَعْلَاهَا فَيُؤْذُونَهُمْ، فَقَالُوا: لَا نَدْعُكُمْ تَمُرُّونَ عَلَيْنَا فَتُؤْذِنَانَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: أَمَا إِذَا مَنَعْتُمُونَا فَنَنْقُبُ السَّفِينَةَ مِنْ أَسْفَلِهَا فَنَسْتَقِي». قَالَ: «فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ نَجَوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكَوهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا هو النص الثالث من النصوص التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا الحديث رواه البخاري، والمؤلف روى الحديث بالمعنى. ولفظ البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال: حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُذْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذُّوا بِهِ، فَأَخَذَ قَاسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ. فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم

(٢٤٩٣، ٢٦٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ».

وهذا الحديث ضرب النبي ﷺ فيه مثلاً، والأمثال ينتقل بها الإنسان من الأمر الحسي إلى الأمر المعنوي، قال الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت: ٤٣]، وكان بعض السلف إذا لم يفهم المثل بكى وتلا هذه الآية.

فالنبي ﷺ ضرب مثلاً للعصاة الواقعين في معصية، ومن يقوم عليهم: فقلوه: «مَثَلُ الْمُذْهَبِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا» (١).

والحدود تطلق على المعاصي؛ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني المناهي.

وتطلق الحدود على الواجبات؛ كقوله ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ أي: لا تتجاوزوها.

○ قوله: «وَالْمُذَاهِبِ فِيهَا» يعني: مثل العاصي الذي هو واقع في المعصية، ومن ينهاه ومن يأخذ على يده: مثل سفينة مكونة من طابقين، سكن بعضهم في الطابق الأعلى، وسكن بعضهم في الطابق الأسفل، فكان الذين في الطابق الأسفل إذا احتاجوا إلى الماء صعدوا إلى الطابق الأعلى، وأدلو دلوهم وأخذوا الماء، فمروا به على الطابق الأعلى، فتأذى أهل الطابق الأعلى بالماء الذي يصب عليهم.

فلما رأهم أهل الطابق الأسفل هددوا بنقب من أسفل، حتى يدخل الماء، فأهل الطابق الأعلى بين أمرين: إما أن يسكتوا عنهم، وإذا سكتوا عنهم وتركوهم سينقبون من أسفل، فلو تركوهم دخل الماء فغرقوا جميعاً، وإذا أخذوا على أيديهم ومنعوهم أنجوا أنفسهم

وأنجوا أهل الطابق الأسفل.

وكذلك العصاة؛ هم مثل الذي يخرق السفينة، إذا عصوا الله ﷻ وأظهروا معاصيهم، وسكت الناس عنهم؛ جاءت العقوبات والنكبات وعمت الجميع؛ عمت الصالح والطالح، العاصي وغير العاصي، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(١)؛ فإذا ظهرت المنكرات وسكت الناس جاءت النكبات والعقوبات، فعمت الصالح والطالح، ثم يُبعثون على نياتهم.

وثبت أن النبي ﷺ استيقظ في بعض الليالي فزعاً وهو يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ». فقالت زينب رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفيينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»^(٢)، والخبث: المعاصي.

فإذا كثر الخبث وانتشرت المعاصي ولم يغيرها الناس؛ جاءت العقوبات والمصائب والنكبات، فعمت الصالح والطالح ثم يبعثون

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٨)، والترمذي في ابواب الفتن، باب ماجاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم (٢١٦٨)، (٣٠٥٧)، وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٤٠٠٥) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وصححه ابن حبان (٣٠٥) وهذا لفظه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٦)، (٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥)، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج، رقم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

على نياتهم.

فالواجب على المسلمين أن يتقوا الله ﷻ، وأن يأتَمروا
بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ويأخذوا على أيدي السفهاء،
ويأطروهم على الحق أطراً؛ لئلا تأتي العقوبات فتشمل الجميع.
والمؤلف رحمه الله ذكر هذه النصوص للتحذير من البدع، ولأنه
يجب الإنكار على أهل البدع، والبدعة أشد من المعصية،
فالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والرافضة، والخوارج، والمرجئة
يجب الإنكار عليهم؛ لأنهم عصاة مبتدعة، فإذا سكت الناس عن
الإنكار عليهم وبيان معتقد أهل السنة والجماعة وبيان النصوص،
والرد عليهم ومناقشتهم، وبيان فساد مذاهبهم، وإبطال شبههم؛
عمت العقوبات والمصائب والنكبات.



ذم الاختلاف والحث على السنة والائتلاف

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ ﷺ: «افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ، وَثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ»^(١).

الشَّيْخُ

الحديث في سنده من هو متكلم فيه؛ وهو عبدالرحمن بن زياد الإفريقي^(٢).

ولكن الحديث له طرق متعددة، ولا بأس بمتنه، فقد اعتمده أهل العلم والأئمة وقبلوه^(٣)، وقالوا: إن هذه الفرق الثلاث

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان، باب ماجاء في افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه في الفتن، باب ماجاء في افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحوه. وأخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، والأجري في «الشریعة» (ص ٢١)، من طريق عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وفي آخره: «كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» وقال بعده: «هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه».

(٢) عبدالرحمن بن زياد الإفريقي ضعفه أحمد، وابن معين، والنسائي وغيرهم.

(٣) صححه ابن حبان (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، والحاكم (١٠، ٤٤١، ٤٤٢)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤) بشواهده، وذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «المسائل» (٢/٨٣): «هو حديث صحيح مشهور».

والسبعين هي فرق المبتدعة، وهم عصاة، إلا فرقة واحدة هم أهل السنة والجماعة؛ ولهذا قال العلماء: إن الجهمية، والرافضة، والقدرية الغلاة خارجون من الثنتين والسبعين فرقة لكفرهم وضلالهم. وجاء في الحديث الآخر: أن النبي ﷺ سئل: من هم؟ قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١)، وفي لفظ: «وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(٢)؛ أي: هم أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة ومن تبعهم، من استقام على دين الله وشرعه، وعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتبع سبيل المؤمنين فهو من الناجين، ومن حاد عن سبيل الحق وتنكب الجادة فهو من الهالكين.

وهذا الحديث وأمثاله يفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: فيه عَلمٌ من أعلام النبوة؛ وهو أن هذه الفرق لا بد أن توجد في الأمة، فهو دليل على صدق النبي ﷺ وأنه رسول الله حقًا حيث وقع كما أخبر.

الفائدة الثانية: التحذير من فرق البدع ولزوم السنة والجماعة حتى يكون من الفرقة الناجية؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣].



(١) هي رواية الترمذي (٢٦٤١)، وهذا لفظ الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١١٩/١) رقم (١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه أيضًا (٣٩٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، جميعهم بلفظ: «الجماعة».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي،
عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(١)﴾.

الشَّيْخُ

هذا حديث حسن لا بأس بسنده^(٢)، وهو دليل على الأمر
بلزوم السنة، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده - عليه الصلاة
والسلام -، وإنما يؤخذ من سنة الخلفاء الراشدين وهم: أبو بكر،
وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم إذا لم يوجد في المسألة سنة للنبي،
أما إذا كان في المسألة نص فيجب اتباع النص، أما إن قالوا قولاً
يخالف النص فيجب الأخذ بالنص الذي دل عليه الكتاب والسنة،
ويُحمل قول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على الاجتهاد، وأنهم اجتهدوا،
ويُترضى عنهم.

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم،
باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، (٢٦٧٦)، وابن ماجه في افتتاح
الكتاب بالإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم (٤٢، ٤٣)، وأحمد في
«المسند» (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥) من حديث العرابض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) صححه ابن حبان (٥)، والحاكم (٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢)، وقال: «هذا حديث صحيح
ليس له علة». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ومن ذلك: أن الخلفاء الثلاثة أبا بكر الصديق^(١)، وعمر^(٢)، وعثمان^(٣) كانوا يفتنون الناس بعد وفاة النبي ﷺ بأن يُفردوا بالحج، واجتهدوا وقالوا لمن سألهم: أفرد الحج وائت بالعمرة في وقت آخر، حتى لا يزال هذا البيت يُحج ويُعتمر^(٤).

والنبي ﷺ أمر بالمتعة^(٥)؛ وفي أول الأمر خيّرهم عند الميقات، فلما قُرُب من مكة أمرهم أن يفسخوا إحرامهم بالحج أو بالحج والعمرة إلى عمرة، ويكونوا متمتعين، فلما وصلوا مكة ألزمهم وحثّ عليهم عند المروة حتى تحللوا كلهم إلا من ساق الهدي.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى وجوب التمتع، وهو رواية عن

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٢٥٢/١) رقم (٢٢٧٧) بسنده أن عروة بن الزبير قال لابن عباس: تأمرنا بالعمرة في أشهر الحج وقد نهى أبو بكر وعمر! ... الحديث.

وأشار إلى ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥٠/٢٦) فقال: «كان ابن عباس يأمر بها - أي المتعة - فيقولون: إن أبا بكر وعمر لم يفعلوها فيقول: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال النبي ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»، وانظر: «زاد المعاد» (١٩٠/٢).

(٢) أخرج مسلم في الحج، باب في المتعة بالحج والعمرة، رقم (١٢١٧) من حديث جابر، عن عمر رضي الله عنه: «... فافصلوا حجكم من عمرتكم فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم»، وانظر: الحاشية السابقة.

(٣) أخرجه البخاري في الحج، باب التمتع والقران والإفراد بالحج، رقم (١٥٦٣) - وهذا لفظه -، ومسلم في الحج، باب جواز التمتع رقم (١٢٢٣) من طريق مروان بن الحكم قال: «شهدت عثمان وعلياً، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يُجمع بينهما، فلما رأى علي أهل بهما: لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد».

(٤) أخرج البيهقي في «الكبرى» (٢١/٥) من طريق عبدالله بن عبيد بن عمير، عن أبيه قال: قال علي لعمر: أنهيت عن المتعة؟ قال: لا، ولكنني أردت كثرة زيارة البيت.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التمتع والاقران والافراد، بالحج، رقم (١٥٦٨)، ومسلم كتاب الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج، رقم (١٢٤٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

الإمام أحمد^(١)، واختاره ابن القيم^(٢) قال: أنا أميل إلى هذا القول من قول شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية -، وهو اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله أنها تجب المتعة، والصواب الذي عليه الجمهور: أنها ليست واجبة.

فشيخ الإسلام يرى أن هذا واجب في حق الصحابة^(٣) حتى يزول اعتقاد الجاهلية؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يحرمون المتعة في أشهر الحج ويرون أن المتعة في أشهر الحج من أفجر الفجور، ويقولون: ليس هناك عمرة في وقت الحج إلا إذا انتهت أيام الحج، يقولون: «إذا برأ الدبر - يعني الجروح التي في ظهر البعير -، وعفا الأثر، وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر»^(٤).

فالنبي صلوات الله وسلامه عليه خالفهم، وأمر الصحابة أن يجعلوا إحرامهم بالحج أو بالحج والعمرة متمتعين، وأخذ بهذا ابن عباس^(٥)، وعلي^(٦) وأبو موسى^(٧) رضي الله عنهم وجماعة كانوا يفتون بالمتعة، ولما ناظر بعض الناس

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٦ / ٤٧)، و«بداية المجتهد» (١ / ٤٦٥)، و«زاد المعاد» (١٣١ / ٢، ١٧٦).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢ / ١٩٣).

(٣) «زاد المعاد» (٢ / ١٧٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحج، باب التمتع والاقران والافراد، رقم (١٥٦٤)، ومسلم في الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج، رقم (١٢٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) أخرجه البخاري في الحج، باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج، رقم (١٦٨٨)، ومسلم في الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج، رقم (١٢٤٢) من طريق أبي جمرة قال: «سألت ابن عباس عن المتعة فأمرني بها...».

(٦) أخرجه البخاري في الحج، باب التمتع والاقران والافراد، رقم (١٥٦٣)، ومسلم في الحج، باب جواز التمتع، رقم (١٢٢٣) وتقدم قريباً.

(٧) أخرجه البخاري في الحج، باب الذبح في الحل، رقم (١٧٢٤)، ومسلم في الحج، باب نسخ التحلل من الاحرام والأمر بالتمام، رقم (١٢٢١).

ابن عباس رضي الله عنهما وقالوا: أنت تفتي بالمتعة، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يفتنون الناس بالإنفراد فكيف تخالف؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما - واشتد عليهم -: أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر، يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء^(١)؟! أي: كيف تعارضون السنة بقول أبي بكر وعمر؟

فإذا كان الذي يعارض السنة بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما يخشى أن تنزل عليه حجارة من السماء، فكيف بمن يعارض السنة بقول فلان أو فلان؟

فالمقصود: أن سنة الخلفاء الراشدين إنما يؤخذ بها إذا لم يكن في المسألة سنة، ومن ذلك: زيادة الأذان الأول يوم الجمعة، فريادة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه هذا من سنة الخليفة الراشد، فلم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان يوم الجمعة إلا أذان واحد، فلما كثر الناس في المدينة أمر عثمان رضي الله عنه بالأذان الأول؛ أن يؤذن على الزوراء^(٢) تنبيهاً للناس، وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فهذه سنة خليفة راشد.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الحديث: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ**»^(٣): عضوا: أي تمسكوا بها، والنواجذ: جمع ناجذ، والناجذ هو: السن الذي قبل الأضراس، والإنسان له أربعة نواجذ في فمه، في كل جهة ناجذ قبل الأضراس، اثنان في الفك الأسفل، واثنان في الفك الأعلى، وهذه

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة، رقم (٩١٢) من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه، والزوراء: موضع بالسوق بالمدينة.

(٣) تقدم تخريجه في أول الباب.

كناية عن شدة التمسك بالشيء؛ والمعنى: تمسكوا بها، واهتموا بها، واعتنوا بها كما يعتني الإنسان بالشيء الذي يعرض عليه بنواجذه ولا يتركه.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ **أراد من هذا:** التحذير من البدع في الأسماء والصفات؛ بدعة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فالواجب على الإنسان أن يعرض على سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين بالنواجذ، ويتبعد عن البدع والمحدثات في الدين، سواء كانت بدعاً في الأسماء، أو في الصفات، أو في العبادات، أو في الأعمال.



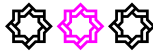


﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَخْتَلِفُوا
بَعْدِي»^(١).

الشَّيْخُ

الحديث فيه أن الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ بيضاء نقية
واضحة ليس فيها لبس، فيجب التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ
والبعد عما خالفهما من البدع.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٢١)، وأحمد في «المسند» (٣/٣٨٧ رقم
١٥١٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧)، والبخاري في «شرح السنة» (١/٢٧٠) من
حديث جابر أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي
ﷺ فغضب فقال: «أمتهكون فيها يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها
بيضاء نقية» الحديث، وليس فيه: «فلا تختلفوا بعدي».

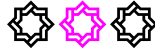


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿ وَقَالَ ﷺ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ فَلَا تَذْهَبُوا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا » ^(١) .

الشَّيْخُ

المعنى: أنكم تَتَنَكَّبُونَ الطريق المستقيم، وتعدلون عن المحجة البيضاء وعن السنة، وهذا فيه تحذير من البدع، والأمر بلزوم السنة والجماعة.



(١) أخرجه أبو نعيم في «المستخرج» (٥) من حديث العرباض بن سارية بلفظ: «تركتكم على الواضحة ليلها كنهارها»، وبنحوه عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨١/٤٠) من وجه آخر عن العرباض، وهو طرف من حديث التمسك بسنة الخلفاء الراشدين، وقد تقدم تخريجه.

وقد أخرجه مالك في «الموطأ» (١٥٠٦)، والحاكم في «المستدرک» (٤٥١٣) من طريق سعيد بن المسيب قال: لما صدر عمر بن الخطاب من منى... فقال: أيها الناس، قد سُنْتُ لكم السنن، وفُرضت لكم الفرائض، وتُركتكم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ بِالسَّنَةِ يَتَمَسَّكُ بِهَا»^(١).

الشَّيْخُ

الحديث معناه له أصل، أما بهذا اللفظ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ بِالسَّنَةِ يَتَمَسَّكُ بِهَا»؛ ففي ثبوته نظر، لكن المعنى صحيح، فالتمسك بالكتاب والسنة لا شك أنه من أهل الجنة والكرامة، وفيه أيضاً التحذير من البدع.



(١) ذكره أحمد في «العقيدة» (ص ٦٠)، وابن بدران في «المدخل» (ص ٥٣)، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» (٢٥/٣) بلاغا عن النبي ﷺ. وعزاه الشاطبي في «الاعتصام» (٥١/١) لابن وهب.

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ ﷺ : «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّانَ لَمَا حَلَّ لَهُمَا إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَانِي»^(١)).

النتيجة

في هذا تكملة للحديث السابق يقول: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ مَا وَسَعَهُمَا إِلَّا اتَّبَاعِي»^(٢) وهذا صحيح، فإن الله تعالى أخذ الميثاق على كل نبي: لئن بُعث محمد وهو نبي لتتبعنه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢].

فالآية فيها دليل على: أن الله قد أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّانَ لَمَا وَسَعَهُمَا إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَانِي»^(٣)، وإذا نزل عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخر الزمان فإنه يكون فردًا من أفراد الأمة

(١) تقدم تخريجه، وهو طرف من حديث: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير (٦٢/٢)، ولم يعزه لأحد، ولم يذكر عنه شيء.

المحمدية^(١)، ويحكم بهذه الشريعة، ومن الحكم بالشريعة: أنه إذا نزل امتنع من أخذ الجزية من اليهود والنصارى فلا تُقبل منهم الجزية، وما يكون لهم إلا الإسلام أو السيف^(٢).

فأخذ الجزية مُغيًا بنزول عيسى ﷺ، وهذا حكم بشرية النبي ﷺ.

فعيسى ﷺ يكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، وهو خير هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها ﷺ، ويُعَايَا بها^(٣)؛ فيقال: مَنْ أفضل أمة محمد؟ من أفضل من أبي بكر بالإجماع، وهو من هذه الأمة؟ عيسى ﷺ أفضل من أبي بكر بالإجماع.

وقد يقال: إنه صحابي؛ لأنه التقى بالنبي ﷺ ليلة المعراج حيًّا^(٤)؛ فهو صحابي، وهو نبي، وهو فرد من أفراد هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها - عليهما الصلاة والسلام -.



(١) أخرج مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ. رقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمركم منكم... قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمركم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ».

(٢) أخرجه البخاري البيوع، باب قتل الخنزير رقم (٢٢٢٢)، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ رقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

(٣) أي: يُلْعَزُّ بها، وانظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١١٥/٩).

(٤) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري رقم (٣٤٩)، ومسلم رقم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه، بطوله.

النهي عن التماري في الدين

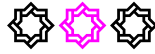
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَخَرَجَ ﷺ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ فَقَالَ: أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوْلَيْسَ عَنْ هَذَا نُهَيْتُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَمَارِيهِمْ فِي دِينِهِمْ^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث فيه: التحذير من أهل البدع ومرائهم وخصامهم ونزاعهم، ومخالفتهم للنصوص، والاختلاف والفرقة. وفيه: الأمر بلزوم السنة والجماعة.

ولهذا لما خرج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر، أنكر عليهم، قال: «أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوْلَيْسَ عَنْ هَذَا نُهَيْتُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَمَارِيهِمْ»؛ يعني: خصامهم ونزاعهم «فِي دِينِهِمْ»، وأهل البدع يمارون، ويخاصمون ويخالفون^(٢).



(١) أخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم (٢١٣٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٠٤٥)، وابن حبان في «المجروحين» (١/٣٧٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦٢/٤) من أبي هريرة. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري». وحسنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي».

وأخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب في القدر، رقم (٨٥)، وأحمد في «المسند» (١٧٨/٢) رقم (٦٦٦٨) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، بنحوه.

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٥٣ - ٩٧٢).

النهي عن الخوض في آيات الله

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَخَرَجَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؟ يَرُدُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَكَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْهِهِ حُبُّ الرُّمَانِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَى الْأُمَّمِ هَذَا، فَلَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي قُلُوبِكُمْ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والطبراني وهو حديث صحيح، وله ألفاظ، وفي بعض الألفاظ: أن النبي ﷺ خرج إليهم وهم ينزعون، يأخذ هذا بآية، ويأخذ هذا بآية، فلما خرج عليهم - عليه الصلاة والسلام - غضب، وكأنما فُقِيَ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا وُكِّلْتُمْ: أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؟ مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا لَمْ تَعْرِفُوهُ - أَوْ: مَا لَمْ تَعْلَمُوهُ - فَكَلُّوهُ إِلَى عَالِمٍ»^(٢).

وفي هذا اللفظ الذي ساقه المؤلف، قال: «فَكَأَنَّمَا فُقِيَ فِي

(١) هو حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده المتقدم قريباً، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩٥/٢ رقم ٦٨٤٥)، وقوله: «فلا تضربوا كتاب الله...» إلخ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٨) من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم تخريجه.

وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَى الْأُمَمِ هَذَا، فَلَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي قُلُوبِكُمْ»^(١).

وفي الحديث: التحذير من المراء والخصام والنزاع والاختلاف والفرقة، وضرب النصوص بعضها ببعض، وأن هذه طريقة أهل البدع والزيغ والانحراف؛ يضربون النصوص بعضها ببعض، ويعملون ببعض النصوص ويتركون البعض الآخر، فهؤلاء هم أهل الزيغ، كما قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وكما ثبت في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاخْذَرُوهُمْ»^(٢)، فلا يجوز للإنسان أن يضرب النصوص بعضها ببعض، ويأخذ بالمتشابه ويترك المحكم.

أما أهل الحق: فإنهم يعملون بالمحكم الواضح البين، والمتشابه يردونه إلى المحكم ويفسرونه به، فكتاب الله يفسر بعضه بعضاً، والنصوص يصدق بعضها بعضاً، من كتاب وسنة، فيعمل بها، ويجمع بينها.

ومثال ذلك: نصوص العلو والفوقية، فهي كثيرة، حتى زادت على ثلاثة آلاف دليل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، رقم (٤٥٤٧)، ومسلم في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن...، رقم (٢٦٦٥) وهذا لفظه.

[الأنعام: ١٨]، ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، ﴿وَهُوَ أَعْلَىٰ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿٤٠﴾﴾ [الحديد: ٤]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

فهذه نصوص محكمة واضحة لا لبس فيها، أن الله تعالى له العلو والفوقية، وهو فوق العرش، فوق المخلوقات بذاته. وبعض الناس الذين في قلوبهم زيغ يتركون هذه النصوص الواضحة المحكمة البينة التي تزيد على ثلاثة آلاف دليل، ويتعلق ببعض المتشابهات، فيقول في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤]: هذا دليل على أن الله مختلط بالمخلوقات، وليس فوق. فيترك ثلاثة آلاف دليل، ويتعلق بنص متشابه!! وهذا معناه أن في قلبه زيغا.

أما أهل الحق فيفسرون هذا النص بما يتوافق مع النصوص الأخرى، فيقولون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤] معنى ﴿إِلَهٌُ﴾؛ أي: معبود، أي: هو معبود في السماء ومعبود في الأرض، وذاته فوق العرش سبحانه.

ومن تعلق أهل الزيغ بالنصوص المتشابهة، قولهم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿٤٠﴾﴾ [الحديد: ٤] أنه دليل على أن الله مختلط بالمخلوقات، وأنه في الأرض.

فنقول: المعية معناها في لغة العرب: المصاحبة لمطلق المصاحبة، لا تفيد اختلاطا ولا امتزاجا، وليس فيها أنه مختلط بالمخلوقات، فقله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي بعلمه واطلاعه وإحاطته

وقدرته ونفوذه سمعه وبصره، وهو فوق العرش، تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا، ما زلنا نسير والنجم معنا، والنجم والقمر فوقك، ويقول الإنسان: المتاع معي، وهو فوق رأسه.

ومن ذلك: أن أهل الزيغ والسفور، الذين يبيحون سفور المرأة عن وجهها، ويتركون النصوص الواضحة، ويستدلون بحديث الخثعمية في حجة الوداع^(١)، وأن الخثعمية جاءت إلى النبي ﷺ تسأله عن الحج عن أبيها، وأن الفضل كان رديف النبي ﷺ، فجعل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل. فقالوا: هذا دليل على أنها سافرة الوجه.

ويتركون النصوص المحكمة الواضحة التي لا لبس فيها كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الحجاب: الساتر، قد يكون الحجاب باباً، وقد يكون جداراً، وقد يكون غطاءً. وكقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] تدني المرأة الخمار، وتستر وجهها، وترخيه على صدرها، فهذه نصوص واضحة.

ومن أقوى الأدلة على وجوب الحجاب: ما ثبت في «صحيح البخاري» في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك^(٢)؛ لما ذهب الجيش وتركوها في مكانها يظنون أنها في الهودج، فجلست في مكانها، وقالت: لعلمهم يفقدونني ثم يأتون، فغلبتها عينها ونامت،

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب حج المرأة عن الرجل، رقم (١٨٥٥)، ومسلم في الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما، رقم (١٣٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب حديث، رقم (٤١٤١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الأفك، رقم (٢٧٧٠) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فجاء صفوان بن المعطل السُّلَمي، وكان متأخرًا، فلما رأى سواد إنسان عرفها، وجعل يسترجع ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجعون، أهل رسول الله. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فاستيقظت باسترجاع صفوان»؛ أي: وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، «فخمرت وجهي بجلبابي وكان يعرفني قبل الحجاب».

معنى: «خمرت وجهي؟»: غطيت وجهي بجلبابي، «وكان يعرفني قبل الحجاب». فدل على أن النساء قبل الحجاب يكشفن الوجوه، وبعد الحجاب يغطين الوجوه، وهذا في «صحيح البخاري» أصبح الكتب بعد كتاب الله.

فدعاة السفور يتركون النص المحكم، ويتعلقون بحديث الخثعمية^(١)، ويقولون: حديث الخثعمية يدل على أن المرأة كاشفة لوجهها. فنقول لهم: فماذا تفعلون في النصوص الواضحة التي مثل الشمس تتركونها؟! إذن أنتم في قلوبكم زيغ؛ لأنكم تتركون النصوص الواضحة، وتتعلقون بالمتشابه.

لكن أهل الحق يعملون بالنصوص الواضحة، والنص المتشابه يردونه للمحكم؛ فقالوا: ينظر إليها؛ أي: ينظر إلى قدها، إلى طولها، إلى ثيابها، فما يلزم أن تكون كاشفة^(٢).



(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: لتقرير هذه القاعدة عند أهل السنة: «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص ٤٣٣)، و«درء التعارض» (٤٠٤/٨)، و«إعلام الموقعين» (٢٩٤/٢)، و«الموافقات» (١/٢٤٥-٢٤٦)، وانظر: لموقف أهل البدع منها: «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة» (١/٣٦٣-٤٢١).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ ﷺ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ؛ فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﷻ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث اختلف في صحته وضعفه، وعلى القول بصحته فلا إشكال، وعلى القول بضعفه، فالمعنى صحيح.

وفيه: النهي عن مجالسة أهل القدر؛ لأنهم من أهل البدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله ﷻ ويؤولون النصوص على غير تأويلها.

ومراتب القدر أربعة، لا بد من الإيمان بها، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب، وهي:

المرتبة الأولى: عِلْمُ اللَّهِ بالأشياء قبل كونها، وعلم الله يشمل الإيمان بعلم الله الأزلي، وعلم الله في الحال بالأشياء الواقعة، وعلم الله في المستقبل، وعلم الله بالمستحيل الذي لم يكن لو كان كيف يكون، فلا بد من إثبات علم الله.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧١٠، ٤٧٢٠)، وأحمد في «المسند» (٣٠/١ رقم ٢٠٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٤٥)، والآجري في «الشريعة» (ص ٢٤٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٣٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٩)، والحاكم في «المستدرک» (٢٨٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٢٠٤)، وفي «الاعتقاد» (ص ٢٣٦)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٨٦)، والضياء في «المختارة» (٣٠١، ٣٠٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المرتبة الثانية: الكتابة، كتابة الله للأشياء قبل كونها، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] الكتاب: هو اللوح المحفوظ، وقال ﷺ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

المرتبة الثالثة: إرادة الله للأشياء الكائنة، وأن كل شيء في هذا الوجود فالله أراد وجوده، قد سبقت به إرادة الله، كما سبق به علمه وكتابته.

المرتبة الرابعة: خلق الله للأشياء، كل شيء في هذا الكون فالله خلقه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وفي الخلق قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فأهل الحق والإيمان أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين آمنوا بهذه المراتب الأربع كلها^(١).

(١) انظر: تفصيلها عند ابن القيم في «شفاء العليل» (١/١٣٣ - ٢٢٦).

✽ أهل القدر طائفتان :

الطائفة الأولى : الذين أنكروا علم الله وكتابه للأشياء، فهؤلاء كفار، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمته الله : (ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا) ^(١)، **إن أقروا بالعلم**، وأن الله علم الأشياء قبل كونها، وكتبها في اللوح المحفوظ، فيلزمهم أن يقرروا بأن الله أراد أفعال العباد، وخلقها، وإن أنكروه كفروا.

وهذه الطائفة أخرجها العلماء من الثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: إنهم كفروا، فخرجوا من فرق المبتدعة، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : «وَسَتَفْتَرُقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» ^(٢).

فهؤلاء أنكروا المرتبة الأولى والمرتبة الثانية من مراتب القدر، وأنكروا علم الله بالأشياء قبل كونها، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، قالوا: «إن الأمر أنف»، أي: مُستأنف وجديد، وهؤلاء كفر؛ لأنهم لما أنكروا علم الله الأزلي نسبوا الله إلى الجهل، وهؤلاء خرجوا في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم.

وهم الذين ذكرهم الإمام مسلم في أول حديث في كتابه في «صحيح مسلم» لما ذكر حميد الطويل وصاحبه، وأنهم اكتنفوا أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر وسألوه، وكانوا أتوا من جهة البصرة في وقت الحج، وقالوا: «يا أبا عبد الرحمن، إنه ظهر قبَلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم، - وذكر من شأنهم - يزعمون أن لا قدر وأن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٤٩/٢٣).

(٢) تقدم تخريجه.

الأمر أنف - يعني مستأنف وجديد لم يسبق به علم الله -، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله ابن عمر لو لأن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»^(١).

ثم استدل بحديث عمر الطويل، أن النبي ﷺ لما سأله جبرائيل عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٢).

والطائفة الأولى هؤلاء قد انقرضوا.

الطائفة الثانية: - وهم عامة القدرية -: يؤمنون بالمرتبتين الأوليين؛ لكن ينكرون عموم إرادة الله للأشياء حتى تشمل أفعال العباد، وينكرون عموم خلقه وإيجاده للأشياء حتى تشمل أفعال العباد. فقالوا: إن أفعال العباد خارجة عن إرادة الله وخلقته وإيجاده، فالعباد هم الذين أرادوا أفعالهم وخلقوها وأوجدوها مستقلين، والله لم يوجدوها. وهؤلاء يُسمَّون عامة القدرية، وهؤلاء مبتدعة، لا يُجالسون؛ فإنهم يخوضون في آيات الله، ويؤولون النصوص على غير تأويلها؛ فيجب البعد عنهم والحذر من مجالستهم، إلا على وجه مناظرتهم ومناصحتهم وإلزامهم بالحق^(٣).



(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام والقدر، رقم (٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) انظر: «المغني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبدالجبار (٨/١٦، ٤٣)، و«شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٣٦).

بيان أن القرآن كلام الله وذم المراء فيه

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ﷺ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث لا بأس بصحته، وهو صحيح^(٢)، والمراء معناه: الجدل.

○ قوله ﷺ: «المراء في القرآن كفر» يعني: من الأعمال الكفرية، فلا يجب للإنسان أن يجادل في القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب النهي عن الجدل في القرآن، رقم (٤٦٠٣)، وأحمد في «المسند» (٢٨٦/٢) رقم (٧٨٤٨)، والآجري في «الشرعة» (ص ٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٧٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٨٢)، وابن حبان في «الصحيح» (١٤٦٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧٩٧)، والحاكم في «المستدرک» (٢٨٨٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه. وهو عند النسائي في «الكبرى» (٨٠٩٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٤) بنحوه.

(٢) رمز السيوطي لصحته في «الجامع الصغير وزياداته» (١١٦٣٣) وقال عنه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود»: «حسن صحيح».

- الجدل والمراء في القرآن قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا أصغر.

فإن جادل في آيات الله على وجه التعنت والعناد والإنكار لما دلت عليه، يكون كفرًا أكبر. وإن كان جداله دون ذلك، يكون كفرًا أصغر، فالجدال والمراء في القرآن كفر.

وفي الحديث: التحذير من أهل البدع، الذين يجادلون في القرآن، من القدريّة والمرجئة والجهمية والمعتزلة والخوارج والأشاعرة وغيرهم من أهل البدع الذين يجادلون في آيات الله، فإن هؤلاء ينبغي الحذر منهم والبعد عنهم.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿

﴿ وَقَالَ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ»^(١) يعني: القرآن).

الشَّيْخُ

هذا الحديث ظاهر كلام الأئمة والعلماء أنه ثابت، والبخاري قال: إنه مرسل منقطع، ولكن قد يصح بشواهد، وأنه وُصل من طرق أخرى^(٢).

ومعناه صحيح، وهو أن الإنسان لا يرجع إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه، يعني بالقرآن؛ لأن الله تكلم به، فهو أفضل الذكر، ثم أفضل الكلام بعد كلام الله: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فأفضل ما يتعبد به الإنسان ربه: تلاوة القرآن، ثم التعبد بالذكر.

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٥٣٨)، والترمذي رقم (٢٩١٢) من طريق زيد بن أرقط، عن جبير بن نفير مرسلاً. وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٠٣٩) من طريق معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرقط، عن جبير بن نفير، عن أبي ذر مرفوعاً، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٦١)، ثم رجع عن تصحيحه وأورده في «الضعيفة» (١٩٥٧)، ثم قال بعده: «هذا وقد كنت غفلت عن هذه العلة فأوردت الحديث في «الصحيحة» وخرجته هناك بنحو مما هنا دون أن أتنبه لها، فمن وقف على ذلك فليضرب عليه ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]».

(٢) ورواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٠٤) بدون إسناد وقال بعده: «هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه» وقد استدلل به الإمام أحمد في رسالته إلى المتوكل، قال الحاكم «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورمز السيوطي لحسنه في «الجامع الصغير» (٤٨٥٢).

وفي الحديث: الحذر من أهل البدع الذين يخالفون ما دل عليه القرآن، وما دلت عليه السنة، فالواجب على المسلم أن يتعبد بكلام الله ﷻ، وأن يعمل بما دل عليه كتاب الله، وأن يحذر من تحريف القرآن وتأويله على غير تأويله، كما يفعله أهل البدع.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ قُرَيْشًا مَنَعْنِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث صحيح^(٢)، وكان ذلك في أول البعثة، حينما كان - عليه الصلاة والسلام - بمكة منعه أن يبلغ كلام الله، وفي الحديث إثبات الكلام لله ﷻ.

وفيه: الرد على الجهمية الذين أنكروا أن يكون القرآن كلام الله ﷻ، قالوا: إن الله لا يتكلم، وقالوا: إن الكلام وصف لمخلوقاته. وكذلك الرد على المعتزلة والأشاعرة الذين يقولون: إن الكلام ليس بحرف ولا بصوت، وإنما هو كلام نفسي^(٣).

قالوا: إن الكلام معنى قائم بنفس الرب مثل العلم، وأما هذا الكلام الموجود في القرآن فهذا عبارة عن كلام الله، فالمعنى من الله، والكلام ليس من الله.

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القرآن، رقم (٤٧٣٤)، والترمذي في ابواب فضائل القرآن، رقم (٢٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٧)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (٢٠١)، وأحمد (٣/٣٩٠) رقم (١٥١٩٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٤٠)، والحاكم في «المستدرک» (٤٢٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»

(٣) انظر: شرح الصاوي على جوهره التوحيد» (ص ١٨٠ - ١٨٦)، وقد أبطل شيخ الإسلام مذهبه من تسعين وجهاً في «التسعين».

واختلفوا في الذي عبر به عن الله هل هو جبريل عليه السلام أو محمد ﷺ؟ قال بعض الأشاعرة: إن جبريل اضطره الله ففهم المعنى القائم بنفسه، فعبر بهذا القرآن، فهذا القرآن الذي بين أيدينا عبارة عبر بها جبرائيل عليه السلام.

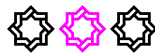
وقال آخرون منهم: إن الذي عبر به محمد ﷺ.

وقالت طائفة ثالثة منهم: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، والله لم يتكلم بكلمة.

وهذا من أبطل الباطل، فهذا الحديث فيه رد عليهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «إِنَّ قُرَيْشًا مَنَعْتَنِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي». والنصوص في هذا كثيرة من الكتاب ومن السنة: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، فدل على أن الله تكلم بالقرآن، والكلام لا يُسمى كلامًا إلا إذا كان من حرف وصوت.

فالله تعالى تكلم بالقرآن، وسمعه جبرائيل من الله ﷻ، وأنزله على قلب محمد ﷺ كما قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

ومقصود المؤلف رحمه الله: التحذير من أهل البدع الذين أنكروا أن يكون القرآن كلام الله ﷻ من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن أقوالهم الباطلة المخالفة للنصوص.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ ﷺ لِجَابِرٍ: «أَعْلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث ثابت، له أسانيد صحيحة^(٢)، وذلك أن عبد الله بن حَرَامَ والد جابر رضي الله عنه قُتِلَ شهيدًا يوم أحد، فحزن عليه ابنه جابر رضي الله عنه، وكان قد خَلَفَ جابرًا أخواتٍ له، وأوصاه قبل موته بأن يقضي دينه، وأن يقوم على أخواته، وكان دينه كبيرًا، فلما حزن، طمأنه النبي ﷺ فقال له: «أَعْلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أَعْطَكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تَحِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ».

وهذه منقبة لعبد الله بن حَرَامَ والد جابر رضي الله عنه.

○ قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا»؛ أي: أحياه بعد موته وكلمه كِفَاحًا أي من غير واسطة، وهذه منقبة.

○ قوله ﷺ: «فَقَالَ - أي الله ﷻ -: يَا عَبْدِي تَمَنَّ» وهذا في البرزخ.

(١) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٩٠)، (٢٨٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٠٢٢)، والحاكم (٤٩١٤) من طريق موسى بن إبراهيم، عن طلحة بن خراش، عن جابر، به.

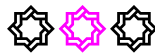
(٢) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

فلما رأى عبدالله بن حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أعطاه الله من الفضل العظيم والأجر الكبير للشهادة، تمنى أن يرجع مرة أخرى إلى الدنيا فيقتل شهيداً مرة أخرى؛ حتى يضاعف له الثواب والأجر. فقال الله ﷻ: «إنه قد سبق مني أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ» أي: لا أحد يرجع إلى الدنيا بعد موته.

فالشاهد من الحديث: «إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا»: ففيه إثبات الكلام لله ﷻ، وأن الله كلم والد جابر - عبدالله بن حَرَامٍ - كفاحاً بحرف وصوت، وسمعه عبدالله بن حَرَامٍ.

وفيه: الرد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة من أهل البدع الذين أنكروا كلام الله ﷻ، فالجهمية أنكروا الكلام وقالوا: لا يوصف الله بالكلام، وما ورد في النصوص من إضافة الكلام لله فهي صفات لخلقه، إضافة المخلوق إلى خالقه للتشريف^(١).

وكذلك المعتزلة أنكروا الصفات وأثبتوا الأسماء^(٢)، والأشاعرة أثبتوا سبع صفات ومنها الكلام^(٣)، لكن ما أثبتوا الكلام على وجهه، بل قالوا: إن الكلام معنى قائم بالنفس، ليس بحرف ولا صوت.



(١) وهذا متواتر عن الجهمية. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٢٨٠) و«مجموع الفتاوى» (٢٧/١٢، ٣١٠، ٣٥٢).

(٢) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص ١٨٢).

(٣) انظر: «شرح الصاوي على الجوهري» (ص ١٦٨).



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ»^(١)).

الشَّيْخُ

الحديث ثابت، وهو في «صحيح مسلم» بدون الجملة الأخيرة أي قوله: «إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ». ولفظ مسلم هو: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٢).

وفي الحديث: التحذير من الفتن، والبعد عن أسبابها ومواقعها، وأن الإنسان قد يُفْتَنُ في دينه - والعياذ بالله -، فالفتن كثيرة؛ منها: فتن الحروب، وفتن الشهوات، وفتن الشبهات، ومن أعظمها: فتنة المسيح الدجال في آخر الزمان، ذلك الرجل الذي يخرج في آخر الزمان يدّعي الصَّلَاحَ، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، ويفتن كثيراً من الناس، وبعض الناس يَعْلَمُ كذبه، ولكنه يُفْتَنُ - والعياذ بالله -.

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب ما يكون من الفتن، رقم (٣٩٥٤)، والدارمي (٣٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣٣/٨) رقم (٧٩١٠) من حديث أبي أمامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مسلم في الإيمان، باب الحث على الأعمال قبل ظهور الفتن، رقم (١١٨) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولهذا ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «مَا بَعْدَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقُ أَكْبَرَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)؛ ولهذا شرع الله لنا في كل صلاة في آخر التشهد أن نستعيذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال^(٢).

ومن ذلك: فتنة الشبهات، كالشبهات التي تحصل للجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فضلالهم بالشبهات، حيث اشتبه عليهم الأمر فأنحرفوا، فخالفوا النصوص، وخالفوا أهل السنة والجماعة، وخالفوا الصحابة والتابعين.

فالواجب على المسلم وعلى طالب العلم أن يحذر من الفتن وأسبابها.



(١) أخرجه مسلم في الفتن واشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم (٢٩٤٦) من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه.

(٢) كما عند البخاري في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الافتداء بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»^(١).

الشيخ

هذا الحديث ثابت^(٢).

وفي الحديث: فضل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
وفيه أيضًا: إشارة إلى خلافتهما؛ فهذا من من الدلائل التي
استدل بها الصحابة على أحقية أبي بكر بالخلافة، ومن بعده عمر.
وفيه: أمر بالافتداء بالشيخين أبي بكر وعمر، وهو دليل على
فضلهما.

وهذا أخص من الحديث الآخر: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين من بعدي»^(٣) ففيه: أمر بالأخذ بسنة الخلفاء الراشدين عند

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب، رقم (٣٦٦٢)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم (٩٧)، والطبراني في الأوسط (٥٨٤٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٩٠٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤٤٥١) - (٤٤٥٤)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٢٢٦/٣٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) قال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وقال الحاكم: «هذا حديث من أجل ما روي في فضائل الشيخين».

(٣) سبق تخريجه.

خفاء السنة.

وفيه: التحذير من البدع، فالذي يقتدي بالشيخين، ويعمل بسنة الرسول ﷺ يكون بعيداً عن الشبه، وأهل البدع وأهل الشبهات والشهوات لا يقتدون بالشيخين، وإنما يعملون بأهوائهم وشهواتهم؛ فلذلك انحرفوا وضلوا عن سواء السبيل.



ذم الرأي وترك السنن

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ﷺ: «لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُؤَلَّدُونَ، أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَأَخَذُوا بِالرَّأْيِ وَتَرَكُوا السُّنَنَ»^(١)).

الشَّيْخُ

في الحديث التحذير من الأخذ بالرأي، والمراد: الرأي المجرد الذي لا يستند إلى النصوص.

وفيه: أن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلاً، أي: مستقيماً على الشريعة، واتباع ما جاء في التوراة التي أنزلها الله على موسى «حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُؤَلَّدُونَ» وهم: «أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ»، لما اختلطوا بغيرهم من أبناء الأجناس الأخرى، كما حصل للمسلمين لما اختلطوا بالأعاجم، وترجمت كتب اليونان والرومان^(٢)، واختلطوا بالأعاجم ففسدت ألسنتهم، ووجدت البدع.

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب اجتناب الرأي والقياس، رقم (٥٦) من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه البوصيري في «الزوائد»، ورواه ابن بطه في «الإبانة الكبرى» (٨٢٠) من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، ورواه الهروي في «ذم الكلام» (٦٤) من قول عروة بن الزبير، ولم يرفعه، وكذا هو أيضاً عند الدارمي في «السنن» (١٢٠).

(٢) انظر: في الإشارة إلى ذلك: «مجموع الفتاوى» (٣١ / ١٢).

○ قوله ﷺ: «فَأَخْذُوا بِالرَّأْيِ وَتَرْكُوا السُّنَنَ» والرأي رأيان:

الرأي الأول: رأي محمود وهو المستند إلى النصوص، وهذا هو الذي جاءت فيه النصوص بالثناء على أهله^(١).

الرأي الثاني: رأي مجرد، وهو الذي لا يستند إلى النصوص، وهذا هو المراد في الحديث. وهذا هو الجمع بين النصوص؛ فهناك نصوص فيها ذم الأخذ بالرأي، ونصوص فيها مدح الأخذ بالرأي.

وفيه أيضا: التحذير من الرأي والهوى، وإنما نشأت البدع من الأخذ بالرأي، وترك السنن والنصوص.



(١) انظر: «إعلام الموقعين» (١/٧٩) وما بعدها.

ذم الفتوى بغير علم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١)).

الشيخ

هذا الحديث أخرجه الشيخان - البخاري ومسلم -.

ولفظ البخاري: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» قال الفربري: حدثنا عباس قال: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن هشام نحوه.

وفي الحديث: الحث على التعلم، وأخذ العلم من أفواه العلماء قبل قبضهم؛ أي: قبل موتهم.

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم (١٠٠)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الفتن في آخر الزمان، رقم (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

وفيه: أن قبض العلم بقبض العلماء، ولو كانت الكتب بين أيديهم، فالقرآن والسنة بين أيديهم، ولكن العلماء هم الذين يبينون للناس، ويوضحون معاني الكتاب العزيز، ومعاني السنة، ويجمعون بين النصوص، ويؤولونها على تأويلها.

بخلاف أهل البدع؛ فإن أهل البدع يضربون النصوص بعضها ببعض، ويؤولونها على غير تأويلها، فيضلون ويضلون.

وفيه: الحث على طلب العلم، والعناية به، وأخذ العلم من أفواه العلماء.

ولا يكفي أن يأخذ الإنسان العلم من الكتاب والقراءة، ولا يوجد أحد تعلم وصار طالب علم من الكتب أبداً، لأن العلم إنما يؤخذ من أفواه العلماء؛ ولهذا قال أهل العلم: (من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه).

○ قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ»: ما يُقبض من صدور الرجال، ولكن يقبض بموت العلماء؛ واحداً بعد واحد، حتى يقبض العلم، فإذا لم يبق عالم، وفي رواية: «حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»؛ فالمناصب لا بد لها من يتولاها: الإفتاء والقضاء والتدريس وغيرها. فإذا مات العلماء أهل البصيرة، تولى هذه المناصب من ليس من أهل العلم.

ومن يتولاها منهم لا بد أن يفتي، ولا بد أن يقضي، ولا بد أن يدرّس، لا بد أن يعلم؛ فإذا لم يكن عنده علم ولا بصيرة، أفتى بغير علم، ودرّس بغير علم، وقضى بغير علم؛ فضلّ وأضلّ، وهلك الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



النهي عن كثرة السؤال

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَنَهَى ﷺ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ»^(١).

النتج

هذا الحديث ثابت في «الصحيح» ولفظه: «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَمَنْعِ وَهَاتِ، وَعُقُوقِ الْأُمّهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ»^(٢).

والنهي يفيد التحريم في قوله: «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ»، ومن ذلك: ما يفعله أهل البدع: قيل كذا، وقال فلان كذا، فالذي يُكثر من قيل وقال لا بد أن يقع في الكذب.

وكذلك إضاعة المال في غير وجه شرعي.

○ قوله: «وكثرة السؤال» يشمل: سؤال المال بغير حق، ويشمل كذلك: سؤال العلم إذا كان على وجه التعنت، وعدم الاسترشاد، أو على وجه الرياء، أو على وجه الإعنات، وإعجاز المسؤول.

(١) أخرجه البخاري في الاستقراض وأداء الديون، باب ما ينهى عن إضاعة المال، رقم (٢٤٠٨)، ومسلم، رقم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، وأخرجه أيضا مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الحدود، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٧١٥).

(٢) هو طرف من الحديث السابق.

أما إذا كان السؤال على وجه الاسترشاد والاستفهام، فهذا مأمور به؛ قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

○ قوله: «وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ»؛ لأن هذا من الكبائر.

○ قوله: «وَمَنْعِ وَهَاتِ» أي: يمنع الواجب، ويأخذ ما لا يستحق، أو ما لا يحل له؛ فيمنع الواجب الذي أوجبه الله ويأخذ ما لا يستحق.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الْمَسَائِلِ»^(١) «وَنَهَى ﷺ عَنِ الْغُلُوطَاتِ»^(٢) وَقِيلَ: هِيَ شِدَادُ الْمَسَائِلِ وَصِعَابُهَا.

الشَّيْخُ

○ قوله ﷺ: «كَانَ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الْمَسَائِلِ» والمراد بالكراهة: كراهة التحريم؛ لأن الكراهة إذا جاءت في النصوص، وفي كلام السلف يراد بها كراهة التحريم في الغالب؛ فإن الله ﷻ في سورة الإسراء، لما ذكر الكبائر العظيمة: من الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، وقتل النفس بغير حق، والمشي في الأرض مرحًا - قال بعد ذلك: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] يعني: محرّمًا.

وكما في الحديث السابق: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ

(١) أخرجه البخاري في تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ﴾ [النور: ٦]، رقم (٤٧٤٥)، ومسلم كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها...، رقم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد في قصة اللعان، وفيه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا».

(٢) أخرجه أبو داود في العلم، باب التوقي في الفتيا، رقم (٣٦٥٦)، والطبراني في الكبير (٣٨٠/١٩) رقم (٨٩٢)، وفي «الأوسط» رقم (٨٢٠٤)، وتمام في «الفوائد» (١٥٢٣) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤٣٥/٥) رقم (٢٣٦٨٧)، والحاثر بن أبي أسامة في «المسند» (زوائد) (٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/٢٩) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ولم يسمه. وانظر: «العلل» للدارقطني (١٥١٩).

السُّؤَالِ، وَعُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعاً وَهَاتِ^(١) وهذه محرمات. فالمراد: كراهة التحريم.

وقد تأتي الكراهة - قليلاً - يراد بها: كراهة التنزيه. كما جاء في الحديث في صَلَاةِ الْعِشَاءِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»^(٢) فهذه كراهة تنزيه.

والمراد هنا في الحديث الذي ذكره الماتن: كراهة التحريم.

○ قوله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الْمَسَائِلِ»؛ لأن كثرة المسائل قد تؤدي إلى التعنت، وقد تكون سبباً في التحريم في زمن النبوة؛ ولهذا أنزل الله: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وجاء في الحديث: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً: مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(٣) فكان الرسول ﷺ يكره كثرة المسائل.

○ قوله: «وَنَهَى عَنِ الْغُلُوطَاتِ»^(٤) أي: أن يسأل الإنسان عن المسائل التي فيها أغلوطات، وهي: إيقاع الإنسان في الغلط والعنت، وقيل: هي شدة المسائل وصعابها. وأهل البدع إنما حصلت البدع بسبب كثرة مسائلهم، وسؤالهم عن الأغلوطات، وعن الأشياء التي لم تقع، وعن الفرضيات؛ فلهذا وقعوا في البدع.



(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء، رقم (٥٦٨)، ومسلم المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح، رقم (٦٤٧) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري الاعتصام بالسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، رقم (٧٢٨٩) - وهذا لفظه -، ومسلم في الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، رقم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وقال ﷺ: «اتركوني ما تركتكم»^(١)).

الشَّجْ

الحديث في «الصحيحين»، ومعناه: أنه ينبغي للناس ألا يسألوا عن أشياء يشددون بها على أنفسهم، كما فعلت بنو إسرائيل: فإن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم، حيث أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ولو أخذوا أي بقرة فذبحوها لأجزأتهم، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم؛ قالوا: يا موسى ما ندري أي بقرة هذه؟ لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ وهذا من تعنتهم، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] ثم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: وسط، ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨] ولو أخذوا أي بقرة لأجزأتهم.

لكن شددوا وقالوا: يا موسى ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا﴾ أي: ما لون البقرة؟ ولو أخذوا أي بقرة لأجزأتهم ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لُونُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] ثم هم أيضًا ما وقفوا عند هذا الحد، بل ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] قال

(١) أخرجه البخاري في التمني، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، رقم (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج، باب فرض مرة في العمر، رقم (١٣٣٧)، والترمذي في أبواب العلم، باب في الانتهاء إلى ما نهى عنه رسول الله ﷺ، رقم (٢٦٧٩) وهذا لفظه، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا» [البقرة: ٧١] شددوا فشدد الله عليهم، فجاءت هذه الأوصاف فضيقت عليهم، فهم الذين شددوا على أنفسهم.

ولهذا قال النبي ﷺ: «اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» وذلك لما قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُلَّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١). «الْحَجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^(٢).

ولهذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - وهم أعظم الناس أدباً وتعظيماً وتوقيراً للنبي ﷺ لا يحدقون النظر فيه؛ إجلالاً له وهيبة - عليه الصلاة والسلام -.

وكانوا لا يسألونه، ويهابونه - عليه الصلاة والسلام - ويخشونه، وكان يُعجبهم بل ويتمنون أن يأتي الرجل العاقل من البادية فيسأل^(٣)؛ لأن الأعراب - في الغالب - عندهم جفاء، وليس عندهم من الصفات مثل ما للصحابة، فيأتي الأعرابي فيسأل، فيستمع الصحابة ويستفيدون.

ولما سكتوا مرة قال لهم ﷺ: «سَلُونِي، سَلُونِي»، فهابوا، ولم يسألوه، أرسل الله جبرائيل عليه السلام، فجاء في صورة رجل، شديد

(١) هو طرف من الحديث السابق، وقد تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٠/١ رقم ٢٦٤٢)، والحاكم رقم (٣١٥٥)، وأبو داود (١٧٢١)، والنسائي رقم (٢٦٢٠).

(٣) أخرج البخاري في العلم، باب ما جاء في العلم، رقم (٦٣)، ومسلم في الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، رقم (١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله»، هذا لفظ مسلم.

بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يعرفه أحد من الصحابة^(١).

وتعجبوا من هذا الرجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر! فهو غريب لا يعرفونه! والعادة أن الرجل الغريب والمسافر تكون عليه آثار السفر، فتكون ثيابه فيها تراب وغبار، وشعره متشعث؛ لأن الأسفار في ذلك الزمان ليست كالأسفار في زماننا، كان السفر على الإبل، ولمسافات بعيدة.

فلا بد أن يرى أثر السفر على الغريب، وهذا الرجل غريب مسافر جاء وثيابه بيضاء نظيفة، وشعره أسود كأنه خرج من بيته. فتعجبوا! فجاء وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال النبي ﷺ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قال: صدقت.

فتعجبوا مرة أخرى، رجل يسأله ويصدقه! هذا سؤال العارف، فقال: أخبرني عن الإيمان، ما الإيمان؟ فقال النبي ﷺ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قال: صدقت.

فتعجبوا! هذا سؤال العارف - قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: صدقت.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٥٠)، ومسلم في الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». أي: علمي وعلمك سواء. قال: أخبرني عن أماراتها. قال: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». ثم ذهب الرجل. قال النبي ﷺ: «رُدُّوهُ». فذهبوا ليردوه فلم يروا أحداً^(١).

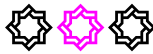
وفي رواية أنه قال: «فلبثنا ملياً»، فقال النبي لعمر: «أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(٢) وفي لفظ: «أَمَرَ دِينَكُمْ»^(٣).

فجعل الإسلام والإيمان والإحسان ديناً، دليل على أن ديننا مبني على هذه المراتب: الإسلام والإيمان والإحسان. قال: «إِنَّمَا جَاءَ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمَرَ دِينَكُمْ»^(٤) لما هابوه - عليه الصلاة والسلام - ولم يسألوه، أرسل الله جبرائيل فسأل حتى يتعلموا.

■ لماذا قال: «أَتَرْكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ»؟

● الجواب: لاحتمالات عديدة:

- ١ - خشية أن يسألوا شيئاً ليس لهم به علم.
- ٢ - أو خشية أن يسألوا شيئاً يكون سبباً لتحريم شيء.
- ٣ - أو خشية أن يشقوا على النبي ﷺ.
- ٤ - أو خشية أن يسألوا شيئاً وهو لا يريده؛ فلهذا تأدبوا، وعملوا بالحديث.



(١) تقدم تخريجه الحاشية السابقة.

(٢) هو نفس الحديث السابق.

(٣) هو نفس الحديث السابق.

(٤) نفس الحديث السابق وهذا لفظ النسائي رقم (٤٩٩٠) تقدم تخريجه قريباً.



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(١)).

الشَّيْخُ

في الحديث: تحذير من السؤال في غير حاجة.

○ قوله ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا» أي: ذنبًا.

«مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» أي بسبب تعنته. وكما قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (السؤال الممنوع هو سؤال التكلف والتعنت)^(٢)؛ فبعض الناس يسأل أسئلة تعنت وتكلف، أو أسئلة لا حاجة لها، أو أسئلة فرضيات لم تقع.

أما من سأل للاسترشاد والاستفهام، أو لأجل شيء وقع له، فهذا ليس منهياً عنه؛ كما قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) [التحل: ٤٣].

فالنصوص التي فيها النهي عن السؤال محمولة على سؤال التكلف والتعنت، والإيذاء، وسؤال الفرضيات، وما لم يقع.

(١) أخرجه البخاري في التمني، باب ما يجوز من اللو، رقم (٧٢٨٩)، ومسلم في الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تقدم أيضًا في حديث النهي عن الغلوطات.

(٢) انظر: «الديباج» للسيوطي (٣٤٢/٥)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (١١٠/١٥).

والنصوص التي فيها الأمر بالسؤال محمولة على السؤال
للاسترشاد والاستفهام، أو لشيء يحتاج إليه الإنسان، وهذا هو
الجمع بين النصوص.



ذم أهل البدع ومن آواهم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وقال ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ حَدَّثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» فقالوا للحسن: ما الحدث؟ فقال: أصحاب الفتن كلهم محدثون، وأهل الأهواء كلهم محدثون).

النتيجة

هذا الحديث في الصحيحين، ولفظه: قال النبي ﷺ: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحَدَثَ فِيهَا حَدَّثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١) فهذا هو المعروف في الحديث: «لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أما قوله: «وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ» فقد تكون جاءت في بعض الروايات.

وفي الحديث: التحذير من إحداث الحدث. والحدث: البدعة والمعصية.

○ قوله ﷺ: «فَمَنْ آوَى مُحَدِّثًا» أي: مبتدعًا.

وفيه: تحذير من البدع، ومن إيواء المبتدعين؛ «مَنْ أَحَدَثَ

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب حرم المدينة، رقم (١٨٧٠)، ومسلم في الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، رقم (١٣٧٠) من حديث علي رضي الله عنه.

حَدَّثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فقد ارتكب كبيرة؛ ولهذا قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: **«فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**.

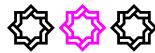
والكبيرة - كما سبق - أصح ما قيل فيها: أنها ما ترتب عليه حدّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة. كاللعن أو النار أو الغضب، فهذا يدل على أنها كبيرة.

○ قوله ﷺ: **«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»** قيل: المراد: التوبة، أي: لا تقبل توبته. وقيل: المراد بالصرف: الفريضة، والعدل: النافلة. وقيل: المراد بالعدل: الفداء، قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] يعني: لا يفتدي من عذاب الله بشيء.

○ قوله ﷺ: **«فَقَالُوا لِلْحَسَنِ: مَا الْحَدِيثُ؟ فَقَالَ: أَصْحَابُ الْفِتَنِ كُلُّهُمْ مُحَدِّثُونَ»** يعني: أهل البدع وأهل الأهواء كلهم محدثون. فالمراد بالحدث: البدع والمعاصي، والبدع أعظم وأشد.

وفيه: التحذير من البدع.

وفيه: التحذير من إيواء أهل البدع.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كِلَابُ النَّارِ أَهْلُ الْبِدْعِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث في صحته نظر، والأقرب: أنه لا يصح؛ ولكن أهل البدع لا شك أنهم متوعدون كما تُوعَدُ أهل الكبائر، فإذا كان الزاني متوعدًا، والسارق متوعدًا، وشارب الخمر متوعدًا، وآكل مال اليتيم متوعدًا بالنار، فأهل البدع كذلك؛ لأن البدع أشد من المعصية. فهم متوعدون؛ لأنهم من أهل الكبائر، وكبيرتهم أعظم من المعاصي.

والكبائر تنشأ عن الشهوات: كالزنى، والسرقه، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور.
وأما البدع فمنشؤها الشبهات، فهي أعظم وأشد.



(١) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٠)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب في ذكر الخوارج، رقم (١٧٦)، وأحمد في «المسند» (٢٥٣/٥ رقم ٢٢١٨٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٦٢)، والآجري في «الشریعة» (ص ٤٢)، والحاكم في «المستدرک» (٢٦٥٥) من حديث أبي أمامة رَحِمَهُ اللَّهُ، بنحوه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وانظر: «أطراف الغرائب» (١٨٢/٤).



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

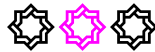
(وقال ﷺ: «مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ
الإِسْلَامِ»^(١)).

❏ الشَّيْخُ ❏

هذا الحديث، الأقرب: أنه ليس بمرفوع، وأنه موقوف على
بعض الصحابة أو بعض أهل العلم^(٢).

❏ قوله ﷺ: «مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ
الإِسْلَامِ» والتوقيير: معناه: التعظيم.

وفيه: التحذير من توقير أهل البدع وتعظيمهم؛ فإنه ممنوع
محرم؛ لأن توقيرهم وتعظيمهم نشر لبدعتهم، وإظهار لشأنهم،
والواجب الإنكار عليهم، والتحذير من بدعهم، وعدم إظهار شأنهم،
والتحذير منهم، فمن قرهم وعظمهم وأجلّهم وبجلّهم، فإنه يكون
سبباً في نشر البدع واعتناقها، وسبباً في اختفاء السنن؛ لأن البدعة
إذا ظهرت اختفت السنة.



(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٧٧٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣٢٤/٢)، وابن
حبان في «المجروحين» (٣٢٥/١)، والهروي في «ذم الكلام» (٩٣٨)، وابن الجوزي
في «الموضوعات» (١٩٩/١) من حديث عائشة رضي الله عنها، والحديث ضعفه الألباني في
«السلسلة الضعيفة» (١٨٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٦/٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٧/٦) من طريق
بقية، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ رضي الله عنه، وأخرجه
اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٣) من قول إبراهيم بن ميسرة، والبيهقي في
«الشعب» (٩٤٦٤) عن إبراهيم بن ميسرة عن النبي ﷺ مرسلًا.

سبيل الله وسبيل الشيطان

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ابن مسعود: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَيَسَارِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو». ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره»^(١).

الشَّيْخُ

الحديث ثابت عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) وهو قوله: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا» وفي اللفظ الآخر: «مُسْتَقِيمًا»^(٣)، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا مُتَعَرِّجَةً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو»، ثُمَّ تَلَا آيَةَ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾.

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١١٧٤)، وأحمد في «المسند»، رقم (٤١٤٢)، وابن جرير في «التفسير» (٨٨/٨)، والدارمي في «السنن» (٢٠٢)، والمروزي في «السنن» (١١)، وابن حبان في «الصحيح» (٦، ٧)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٤١).

(٢) قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) وبهذا اللفظ أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٧٨).

وفي الحديث: الحث على لزوم الطريق المستقيم؛ وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ هذا الطريق: هو سبيل الله، وهو حبله، ودينه، وما أمر الله به في كتابه، أو أمر به رسوله ﷺ، وهو لزوم السنة.

وفيه: الحث على لزوم السنة، والتحذير من البدع والمعاصي؛ فإن الخطوط المتعرجة عن يمينه وعن شماله هي طرق أهل الضلال والمعاصي وأهل البدع.

وفيه: التحذير من البدع والمعاصي، والحث على لزوم السنة، والاستقامة على شرع الله ودينه.



ذم الجدل في آيات الله

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وقالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: «تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه؛ فهم الذين عني الله فاحذروهم»^(١).

الشرح

الحديث ثابت في «الصحيحين»، ولفظه: أن عائشة رضي الله عنها أخبرت عن النبي ﷺ أنه: تلا هذه الآية من آل عمران، وهي قول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه» - وفي لفظ: «في آيات الله» - «فهم الذين عني الله، فاحذروهم» وفي اللفظ الآخر: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك

(١) أخرجه البخاري في تفسير القرآن، باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، رقم (٤٥٤٧)، ومسلم في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (٢٦٦٥).

الذين سَمَّى الله، فاحذروهم».

وفي الحديث:

١ - الحث على العمل بالمحكم.

٢ - الإيمان بالمتشابه.

٣ - رد المتشابه إلى المحكم.

٤ - التحذير من طريق أهل الزيغ والضلال، وهو: العمل بالمتشابه وترك المحكم.

أما طريقة أهل الحق، وأهل الاستقامة، والراسخين في العلم فهي: العمل بالمحكم. والمحكم هو: الواضح، البين المعنى، الذي لا لبس فيه. والمتشابه: هو الذي فيه اشتباه.

ومثال المحكم: النصوص المحكمة الواضحة في إثبات العلو لله ﷻ، وأنها واضحة لا لبس فيها، تزيد على ثلاثة آلاف دليل من الكتاب ومن السنة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿ءَأْمَنُكُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

هذه النصوص محكمة وواضحة لا لبس فيها. أهل الحق يعملون بالمحكم.

ومثال المتشابه: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزحرف: ٨٤] فيردونه إلى محكم، يفسرونه به يقولون: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ يعني: المعبود في السماء، والمعبود في الأرض، وهو فوق العرش. هذه طريقة الراسخين في

العلم، أهل الحق.

أما طريقة أهل الزيغ: يتركون النصوص المحكمة، ويتعلقون بالمتشابه، يتركون ثلاثة آلاف نص في إثبات العلو لله سبحانه، ويستدلون بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] ويقولون: هذه الآية دليل على أن الله في الأرض، وأنه مختلط بالمخلوقات.

نقول لهم: أنتم من أهل الزيغ، تتبعون المتشابه وتتركون المحكم. فعائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه» وفي لفظ: «الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله، فاحذروهم» سمي الله يعني: سماهم الله في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

لكن طريقة الراسخين بينها الله بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] آمنوا بالمتشابه، ويردونه إلى المحكم، ويفسرونه به، ويعملون بالنصوص من الجانبين، ويضمون النصوص بعضها إلى بعض، ويعلمون: أن نصوص الكتاب يُصدق بعضها بعضاً، ونصوص السنة يُصدق بعضها بعضاً، ولا تتناقض، ولا تتعارض.

بخلاف أهل الزيغ؛ فإنهم يتعلقون بالمتشابه، ويتركون المحكم. ولهذا وجدت الشبه والبدع؛ بسبب كون أهل البدع - من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم - اتبعوا المتشابه، وتركوا المحكم، وعملوا ببعض النصوص، وتركوا البعض

الآخر، فضّلوا وأضلّوا.

فالواجب: الحذر من طريقتهم، والعمل بالنصوص من
الجانبين، أي: العمل بالنصوص المحكمة، ورد المتشابه إليها.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨) [الزخرف: ٥٨] ^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث رواه الترمذي بسند لا بأس به ^(٢)، وهو قوله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ الآية الكريمة: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨).

وفي الحديث: التحذير من الجدل، وهذا الجدل اتصف به أهل البدع، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والمرجئة والرافضة وغيرهم، كلهم أوتوا الجدل - نسأل الله السلامة والعافية - تجدهم يجادلون في النصوص، ويؤولونها ويحرفونها، ويجادلون أهل الحق. فالواجب: الحذر من الجدل، والعمل بالكتاب والسنة، وترك المراء والجدال.



(١) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، بات ومن سورة الزخرف، رقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٨)، وأحمد في «المسند» رقم (٢٢١٦٤)، وابن جرير في «التفسير» (٨٨/٢٥)، والآجري في «الشرعية» (ص ٦٤)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٧٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٤٣٨) من حديث أبي أمامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

فضل التمسك بالسنة عند الفساد

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر خمسين شهيداً»^(١)).

الشَّيْخ

في الرواية المشهورة: «له أجر خمسين». دون تقييده بـ «شهيداً». والحديث له شواهد، والأقرب: أنه ثابت. والعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أثبتته في «الكافية الشافية»^(٢).

وجاء في بعض الروايات: قالوا: يا رسول الله! منّا أو منهم؟ قال: «منكم»^(٣) وفي لفظ: «القابض على دينه كالقابض على الجمر، والتمسك بسنتي له أجر خمسين»، قالوا: يا رسول الله منّا أو

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٠/٨) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٢٧/٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٧) من حديث ابن عباس، بنحوه.

(٢) انظرها: (٩١٢، ٩٠٦/٣) (٤٨٦٩، ٤٩١٠).

(٣) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي في أبواب التفسير، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه كتاب الفتن، باب: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، رقم (٤٠١٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٨٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧٩١٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رَحِمَهُ اللَّهُ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

منهم؟ قال: «منكم؛ تجدون على الخير عوناً، ولا يجدون على الخير عوناً».

ولا يدل هذا على أن المتمسك بالسنة أفضل من الصحابة! بل المراد: أن له أجر خمسين في هذه الناحية، وفي هذا الجانب، وفي هذه الخصلة، وهي: التمسك بالسنة، والعرض عليها، مع كثرة الفساد ممن حوله، ولا يجد على الخير أعواناً يعينونه؛ فلاجل ذلك صار له أجر خمسين، فليس معنى ذلك: أنه أفضل من الصحابة؛ بل الصحابة لهم مزايا متعددة: مزية الصلابة، لا يلحقهم فيها من بعدهم إلى يوم القيامة، ومزية الجهاد في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، ومزية تبليغ الشريعة وتبليغ الدين. الصحابة لا يلحقهم من بعدهم.

القاعدة: أن المزية الخاصة، أو الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضائل العامة، هذه فضيلة خاصة، فالذي يتمسك بالسنة عند فساد الأمة في آخر الزمان، له أجر خمسين من الصحابة في هذا الجانب؛ وهو أن له أجر التمسك بالسنة؛ أجر خمسين.

ومما يدل أيضاً على هذا: ما جاء في الحديث الصحيح: «وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، - عليه الصلاة والسلام -»^(١) الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، هذه مزية خاصة لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام -؛ ولكن نبينا ﷺ أفضل من جده إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، وهو يليه في المرتبة؛ ولهذا يتأخر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عن الشفاعة يوم القيامة، ونبينا ﷺ

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: وأتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم (٣٣٤٩) - وهذا لفظه -، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضيهما.

يتقدم في الشفاعة؛ فمزية الشفاعة العظمى - التي يغبطه فيها الأولون والآخرين - لنبينا محمد ﷺ، وإبراهيم له هذه المزية الخاصة، وهي أنه أول من يكسى يوم القيامة.

وكذلك من المزايا الخاصة لموسى - عليه الصلاة والسلام -: ما جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»^(١) وفي لفظ: «فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ»^(٢) «فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

فهذه منقبة ومزية لموسى ﷺ وهي: أنه إما أن يكون صَعَقَ، أو لم يصعق. فإن كان لم يصعق فهذه مزية له؛ لأن من الناس من صَعَقَ ومنهم النبي ﷺ، وإن كان صَعَقَ وأفَاقَ قبل النبي ﷺ فهي مزية، لكنها مزية خاصة، ونبينا ﷺ له مزايا أخرى كثيرة.

فالمقصود: أن هذا الحديث ليس معناه: أن المتمسك بالسنة أفضل من الصحابة، إنما معناه: أن له مزية خاصة للمتمسك بالسنة.

وجاء في اللفظ الآخر وجه ذلك، قال ﷺ: «تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ عَوْنًا، وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ عَوْنًا»^(٣) فالمتمسك بالسنة في آخر الزمان لا يجد عونًا، والصحابة يجدون عونًا؛ فلهذا صار له أجر الخمسين، وصارت له هذه المزية الخاصة.

(١) أخرجه البخاري في لخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، رقم (٢٤١٢)، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

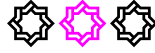
(٢) هي رواية البخاري (٢٤١١)، مسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

(٣) سبق تخريجه.

وفي الحديث: الحث على التمسك بالسنة، ولزومها عند ظهور البدع والمنكرات.

وفيه: التحذير من البدع؛ وهذا وجه إتيان المصنف رَحِمَهُ اللهُ بهذا الأثر؛ ليحذر من البدع؛ فإن المتمسك بالسنة بعيد عن البدع، فالجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة كل هؤلاء لم يتمسكوا بالسنة.

فالواجب: التمسك بالسنة، والحذر من البدع والمحدثات في الدين.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وقال ﷺ: «التمسك بدينه عند فساد الناس كالقابض على الجمر»^(١).



هذا الحديث لا بأس بسنده^(٢)، ومعناه صحيح.

والمعنى: أن التمسك بالسنة عند فساد الزمان كالقابض على الجمر، وهذا واقع موجود؛ لأنه يتحمل ويتصبر؛ لوجود الفساد ممن حوله، والفتن والبدع؛ فهو يتصبر، ويتحمل، ويلزم السنة، ويصبر على الأذى الذي يصيبه، فهو كالقابض على الجمر.

وفي الحديث: الحث على التمسك بالسنة.

وفيه: التحذير من البدع والمحدثات في الدين.



(١) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب.. رقم (٢٢٦٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

(٢) قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي». وله طرق.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التمسك بدينه في الهرج كالمهاجر إلي».

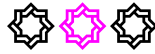
الشَّيْخُ

هذا الحديث لا بأس به، ورواه مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١)، والهرج: الاختلاط والفتن والحروب وهو من أشراط الساعة؛ إذا تمسك الإنسان بالسنة عند وجود الفتن فله أجر المهاجر إلى النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التمسك بدينه في الهرج» معناه: في القتال والفتن واختلاط الأمور، وخفاء الحق، وكثرة الاشتباه؛ فالتمسك بالسنة في هذه الحالة، والتمسك بدينه كالمهاجر إلى النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث:

- ١ - الحث على التمسك بالسنة.
- ٢ - التحذير من البدع والمحدثات في الدين.
- ٣ - البعد عن الشبهات والمتشابهات.



(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، رقم (٢٩٤٨)، بلفظ: «العبادة في الهرج كهجرة إلي» من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



طوبى للغرباء

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين إذا فسد الناس صلحوا»^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث صحيح، رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، مختصراً بلفظ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»^(٢) والمعنى: أن الإسلام بدأ غريباً، لم يدخل في الإسلام إلا القلائل؛ فالنبي ﷺ هو أول المسلمين من هذه الأمة، ثم أسلم أبو بكر الصديق، وأسلم بلال، وأسلمت خديجة زوج النبي ﷺ، وعلي رضي الله عنه، وعنهم جميعاً.

فالنبي ﷺ أول المسلمين من هذه الأمة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً...، رقم (١٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً، رقم (٢٦٢٩)، وابن ماجه في الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً، رقم (٣٩٨٨)، والدارمي في «السنن» رقم (٢٧٥٥)، وابن وضاح في «البدع» باب نقض عرى الإسلام (١٦٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، بنحوه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣).

ثم أول من آمن به ﷺ من الأحرار: أبو بكر الصديق، ومن العبيد والأرقاء: بلال، ومن الصبيان: علي بن أبي طالب، ومن النساء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ثم أسلم صهيب وعمار بن ياسر وجماعة. فالإسلام بدأ غريباً، ما اعتنقه إلا قلة، ثم انتشر الإسلام وكثر، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ثم لما فتح الله مكة على النبي ﷺ، دخل الناس بعدها في دين الله أفواجا.

وفي سنة تسع جاءت إلى النبي ﷺ وفود القبائل من جميع أنحاء بلاد العرب، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام، ثم في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم انتشر الإسلام وتوسع. وفي آخر الزمان يعود غريباً كما بدأ، يخرج الناس من دين الله، ولا يبقى عليه إلا القلة القلائل.

○ قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً» الغريب: هو الذي ليس معه أحد، ومنه سُمي الغريب في البلد؛ لأنه منفرد وحده من بين أهل البلد. أهل البلد: الناس بين أهلهم وأولادهم، وهذا منفرد غريب.

○ قوله ﷺ: «فطوبى للغرباء» طوبى: اسم للجنة، أو شجرة في الجنة.

وفي الحديث: الحث على التمسك بالسنة، والتمسك بالدين في وقت غربته، وهذا حين عدم وجود من يعينه عليه، يلزم الإنسان الحق، ويتمسك بالسنة.

وفيه: وعْد بالجنة والكرامة للغرباء، الذين يتمسكون بدين الإسلام، ويعضون عليه بالنواجذ، ويلزمونه، ويتمسكون بالسنة، ويتعدون عن أهل البدع، وأهل الشرك.

○ قوله: «قالوا: يا رسول! من الغرباء؟» - هذا في غير مسلم -
 قال: «الذين إذا فسد الناس صلحوا»^(١) وفي لفظ: «الذين يصلحون
 إذا فسد الناس»^(٢) هذا تفسير الغرباء، وفي لفظ: «الذين يصلحون ما
 أفسد الناس»^(٣)، وفي لفظ: «هم النزاع من القبائل»^(٤)، وفي لفظ:
 «هم قوم صالحون قليل، في قوم سوء كثير»^(٥).

فهذه أربعة ألفاظ جاءت في الغرباء:

اللفظ الأول: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»؛ أي: يصلحون
 بأنفسهم، ويلزمون الحق، ويعضون عليه بالنواجذ، ويتمسكون بالسنة
 عند فساد الناس.

اللفظ الثاني: «الذين يصلحون ما أفسد الناس» يعني: دعاة
 إصلاح، صلحوا بأنفسهم، ثم أصلحوا غيرهم؛ فيدعون إلى الله،
 ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويدعون إلى السنة،
 ويحذرون من البدعة، والمُصلح لا بد أن يكون صالحًا في نفسه،
 فلا يسمّى مصلحًا إلا إذا صلح في نفسه.

اللفظ الثالث: «هم النزاع من القبائل» من كل قبيلة واحد أو
 اثنين، يعني: تجد القبيلة كلها على البدعة، وعلى الفساد، وينزع
 منها واحد أو اثنان «هم النزاع من القبائل».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهذا لفظ الطبراني في «الأوسط» (٣٠٥٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) وهذا لفظ الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦) من حديث
 عبدالله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦١٩).

اللفظ الرابع: «هم قوم صالحون قليل، في قوم سوء كثير» قوم صلحوا بأنفسهم هم قلة في مجتمع كثير فاسد.

* فمن ترك السنة ولم يعمل بها أو أنكرها فقد كفر؛ لأنه ليس كل شيء في القرآن، بل السنة جاءت تفصّل، فقد جاء في القرآن الأمر بالصلاة، لكن ليس في القرآن أن صلاة الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والفجر ركعتان، جاء هذا في السنة.

ومن لم يعمل بالسنة كفر؛ لأنه ليس في القرآن تحديد الركعات.

كذلك أيضًا جاء في القرآن وجوب الزكاة؛ لكن ليس في القرآن أن وجوبها مشروط بالحول وبيان نَصَب الزكاة.

جاء في القرآن وجوب الحج، لكن ليس فيه تفصيل المناسك، وأنه يجب على الإنسان أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ويبيت في منى، ويقف في عرفة ومزدلفة. كل هذا جاء في السنة.

فمن ترك السنة وأنكرها، أو ترك العمل بها فقد كفر. نسأل الله السلامة والعافية.

وفي الحديث: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَا يَوْشَكَ رَجُلٌ شَعْبَانَ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَمُوهُ...»^(١)، والله

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده رقم (١٧١٧٤) من حديث المقدم بن معد يكرب مرفوعاً.

تعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن زعم أنه يعمل بالقرآن ويترك السنة، فقد كذب الله في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مِّنْكُمْ يَكُونُ قَوْلُ الْحَاشِرِ: [٧].



الوصية بأصحاب النبي ﷺ والنهي عن سبهم

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه»^(١)).

الشَّيْخُ

الحديث لا بأس بسنده^(٢)، وفيه: الحث على تعظيم الصحابة وتقديرهم وإجلالهم احترامهم، ومعرفة منزلتهم وسابقتهم وفضلهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، والترضي عنهم، والحذر من عيهم وتنقصهم.

ولهذا حذر النبي ﷺ في هذا الحديث بقوله: «الله الله في أصحابي» يعني: إلزموا أصحابي، واعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٨٦٢) والبيهقي في الشعب (١٤٨٣)، وأحمد، رقم (١٦٨٠٣)، والمزي في التهذيب في ترجمة عبدالرحمن بن زياد (٣٨١٨)، وابن عدي في الكامل، وفي ترجمة إبراهيم بن سعد (٧١) جميعا من حديث عبدالله بن مغفل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال البيهقي بعده: إن له شواهد يعني تشهد لصحته معناه، والله الموفق للصواب.

لدين الله.

○ قوله: «لا تتخذوهم غرضاً» الغرض: الهدف الذي يرمى، فالذي سب الصحابة قد جعلهم هدفاً وغرضاً؛ فالمعنى: لا تسبوهم ولا تعييوهم ولا تنتقصوهم، ولا تنكروا فضائلهم.

○ قوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» يعني: من أحبهم فإنما أحبهم لمحبة النبي ﷺ؛ لأنهم أصحابه ووزرائه وأخلائه، والله لم يكن ليختار لنبيه إلا أفضل الناس. فهم خير الناس، وأفضلهم.

ومن أبغضهم فيلزم من ذلك أن يكون مبغضاً لرسول الله ﷺ: «ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» فما أبغضهم إلا لأنه يبغض الرسول ﷺ فمن أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن آذاهم فقد آذى النبي ﷺ، ومن آذى النبي ﷺ فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه الله فيكون هالِكًا.

ولا يلزم من الأذى لحوق الضرر، فالله تعالى لا يلحقه ضرر من خلقه، ولا يضره أحد من خلقه، كما في الحديث الآخر، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ»^(١) فسب الدهر فيه أذية لله، لكن لا يلزم من الأذية إلحاق الضرر، فالعباد لا يمكن أن يضرُوا الله سبحانه؛ فإن المخلوق لا يمكن أن يضر الخالق.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنّة: ٢٤] رقم (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهذا قال الرب - سبحانه - في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي»^(١).

إذن فمن أحب الصحابة فإنما أحبهم لحبه للنبي ﷺ، ومن أبغضهم فإنما أبغضهم لبغضه للنبي ﷺ، إذ كيف تحب شخصاً وتبغض صاحبه؟!.

ولهذا فإن من سب الصحابة فإنه يدل على غل وحقد في قلبه على الإسلام، ومن كَفَّر الصحابة أو فسقهم فهو كافر؛ لأنه مكذب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم.

* يضاف إلى هذا أيضاً: أن من كَفَّر الصحابة وفسقهم فقد طعن في دين الإسلام. فمن الذي نقل إلينا الشريعة - القرآن والسنة - إلا الصحابة رضوان الله عليهم، فإذا كانوا كفاراً فكيف يوثق بدين نقلته كفار؟!.

فدل على أن: تكفير الصحابة وتفسيقهم كفر وردة من جهتين:

الأولى: من جهة أنه مكذب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم.

الثانية: من جهة أنه طعن في القرآن والسنة؛ لأن الذين نقلوه وحملوه هم الصحابة، ولا يوثق بدين حملة كفار أو فساق.

وكذلك أيضاً من قال: إن القرآن طار ثلثاه، ولم يبق إلا الثلث كفر؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فمن قال: إن القرآن غير محفوظ، وأنه طار ثلثاه، وأنه لم يبق إلا الثلث، وأنه يوجد مصحف لفاطمة يعادل المصحف الذي بين أيديكم ثلاث مرات، هذا كفر وردة؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وكذلك من عبد آل البيت ودعاهم من دون الله، واستغاث بهم، فهذا كفر وردة، نسأل الله السلامة والعافية.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقال ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث حديث عظيم، يبلغ من المؤمن العجب، فالنبي ﷺ يقول: « لا تسبوا أصحابي » والحديث له سبب، رواه الشيخان - البخاري ومسلم رحمهما الله - في كتابيهما الذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ.

وسبب الحديث: أنه حصل شيء من الكلام بين صحابين جليلين هما عبدالرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما - وعبدالرحمن بن عوف كان ممن أسلم قبل الفتح، قبل صلح الحديبية، وخالد بن الوليد أسلم بعد صلح الحديبية ..

فعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين، وخالد بن الوليد رضي الله عنه ليس منهم.

فلما حصل شيء من سوء التفاهم بين عبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، وسب خالد عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فنهى النبي ﷺ خالدًا عن سب عبدالرحمن، وقال لخالد: « لا تسبوا أصحابي » يعني: المتقدمين في الصحبة، وإن كان خالد من الصحابة.

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلاً...»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومعنى قوله: «نصيفه»؛ أي نصف مده.

فالنبي ﷺ ينهى من له صحبة أن يسب من له صحبة أولى، ويقول عليه الصلاة والسلام: إن خالد بن الوليد رضي الله عنه لو أنفق مثل أحد ذهباً في سبيل الله، وأنفق عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه مداً أو نصف المد، ما لحق خالد عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما جميعاً - للتفاوت العظيم الذي بينهما.

وصلح الحديبية سمي فتحاً، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]؛ لأنه بعد صلح الحديبية استقرت الأحوال فقد الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس، وصار المشركون يأتون إلى المسلمين ويسمعون القرآن، فأسلم جم غفير.

وتفرغ النبي ﷺ لفتح خيبر، وفتحت خيبر، ثم نقض المشركون العهد بعد سنتين، فقاتلهم النبي ﷺ، وفتح مكة، فالتف الله تعالى سماه فتحاً مبيناً، لما يعقبه من النصر.

وفتح مكة أيضاً سماه الله فتحاً في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] أي لا يستوي من أنفق ماله وجاهد في سبيل الله قبل صلح الحديبية، ومن أنفق وجاهد بعد الصلح.

وصلح الحديبية حد فاصل بين السابقين الأولين من المهاجرين ومن سواهم، فمن أسلم قبل صلح الحديبية فهو من السابقين الأولين، ومن أسلم بعد صلح الحديبية فليس من السابقين الأولين، فالصحابه على مراتب.

هناك أيضاً بعض الصحابة أسلموا بعد فتح مكة ويسمون الطلقاء، منهم: أبو سفيان وابنه معاوية، وصفوان بن أمية، فصارت

المراتب ثلاثا :

السابقون الأولون من الصحابة الذين أسلموا قبل صلح الحديبية.

ثم يليهم من أسلم بعد الحديبية وقبل فتح مكة.

ثم يليهم من أسلم يوم الفتح.

والمدُّ هو: ملء كف الرجل المتوسط المعتدل؛ ليستا بالكبيرتين ولا بالصغيرتين.

والصاع: أربعة أمداد، والنصيف: النصف^(١).

○ قوله: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده...» أقسم عليه الصلاة والسلام وهو الصادق وإن لم يقسم؛ لكن لتأكيد المقام، «لو أنفق أحدكم» أيها المتأخرون في الصحبة «مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم» أي: مد السابقين الأولين «ولا نصيفه».

فإذا كان هذا التفاضل بين الصحابة - بين السابقين الأولين، وبين من أسلم بعد صلح الحديبية - فكيف التفاضل بين من أسلم بعد الحديبية، ومن أسلم يوم الفتح؟ فكيف التفاضل بين الصحابة ومن بعد الصحابة؟.

لا يعلم مقدار التفاضل إلا الله ﷻ وهذا يدل على أن الأمر عظيم، وأن سب الصحابة أمر جلل خطير، ليس بالأمر الهين.

وفي الحديث: التحذير من سب الصحابة.

والواجب: الترضي عليهم، وإنزالهم منازلهم، ومعرفة فضلهم

(١) قال النووي في شرح الحديث رقم (٢٥٤١): قال أهل اللغة: النصيف النصف وفيه أربع لغات: نصف بكسر النون، ونصف بضمها، ونصف بفتحها، ونصف بزيادة الباء حكاية القاضي عياض في المشارق عن الخطابي. ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدّاً، ولا نصف مدّاً. اهـ.

وسابقتهم، وجهادهم مع النبي ﷺ وتبليغهم ونشرهم لدين الله ﷻ وتوليهم والترحم عليهم، واعتقاد أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وأنه لا كان ولا يكون مثلهم، وأنه لا يمكن أن يبلغ منزلتهم أحد من بعدهم، وأن ما صدر منهم من هفوات فهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد مخطئ له أجر، وخطوهم مغفور.

وما يروى من الأخبار في حق الصحابة فكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية^(١) بأن كثيراً مما يروى في حق الصحابة كذب، لا أساس له من الصحة فهذا قسم. وقسم له أصل لكن زيد فيه ونقص.

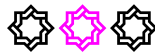
وقسم صحيح، وهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر واحد.

ثم الذنوب المحققة التي تصدر من الصحابة قد جعل الله أسباباً للمغفرة، وقد يغفر لأحدهم ما لا يغفر لغيره. فإذا كان الإنسان من سائر المسلمين يغفر له بالتوبة، ويغفر له بشفاعته النبي ﷺ، ويغفر له بالحسنات، فالصحابة أولى. فالذنوب المحققة للصحابة قد يغفر لأحدهم بفضلهم، وجهاده مع النبي ﷺ، وسابقتهم للإسلام.

وقد يغفر له بشفاعته النبي ﷺ التي هم أولى الناس بها، وقد يُمَنُّ الله عليه بالتوبة، وقد يغفر له بالحسنات الماحية، أو المصائب.

فكيف بعد هذا يأتي قوم في آخر الزمان، ويسبون الصحابة ويكفرونهم؟.

نسأل الله السلامة والعافية.



(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص ٢٦).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾

(وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «يا معاذ، أطع كل أمير، وصل خلف كل إمام، ولا تسبن أحدا من أصحابي»)^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث ضعيف؛ لانقطاع السند^(٢)، ولكن المعنى صحيح، وهو أنه يجب على الإنسان أن يطيع أميره، لكن في طاعة الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(٣).

والمراد: في طاعة الله، جمعاً بين النصوص؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الآخر: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٤) ولقوله

(١) الحديث منقطع أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، رقم (٩)، والطبراني في الكبير،

رقم (٣٧٠)، والبيهقي في الكبرى، رقم (١٦٥٤٦)، وابن عدي في الكامل (٧٩/٢)،

جميعاً من طريق مكحول عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله ﷺ فذكره.

(٢) مكحول لم يسمع من معاذ، فالحديث ضعيف لانقطاع. قاله البيهقي والحافظ في

التلخيص (٣٤/٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٠/٢)، والمنائوي في فيض

الدير، رقم (١٠٩٨)، ونقل عن الذهبي انقطاعه.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، رقم

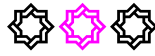
(٢٩٥٧)، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم

(١٨٣٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٠٩٥) بنحو هذا اللفظ من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأصله في الصحيحين

عنه باللفظ الآتي بعده.

عليه الصلاة والسلام: «إنما الطاعة في المعروف»^(١).
فالمعنى: أطع كل أمير يعني في طاعة الله ﷻ.
○ قوله: «وصل خلف كل إمام» يعني: كل إمام مسلم، أما
الإمام الكافر فلا يصح أن تصلي خلفه بالإجماع.
○ قوله ﷺ: «ولا تسبوا أحدا من أصحابي»: هذا دلت عليه
النصوص. فالحديث وإن كان ضعيفاً، إلا أن معناه صحيح.



(١) أخرجه البخاري في التمني، باب ما جاء في إجازة خير الواحد، رقم (٧٢٥٧)،
ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمير في غير معصية، رقم (١٨٤٠)، من
حديث علي رضي الله عنه.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(ووضع رسول الله ﷺ يده على لحية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال: «يا عمر، إنا لله وإنا إليه راجعون»! قال عمر: قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا لله وإنا إليه راجعون، وما ذاك؟ قال: «إن جبريل أتاني آنفا، فقال: يا محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، إن أمتك مفتونة بعدك بقليل غير كثير، قلت: يا جبريل، أفتنة ضلال؟ أم فتنة كفر؟ قال: كل سيكون. قلت: كيف يضلون أو يكفرون وأنا مخلف بين أظهرهم كتاب الله؟! قال: بكتاب الله يضلون، يتأوله كل قوم على ما يهون، فيضلون به»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث فيه اختلاف، أخرجه الدارمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ آخر مقارب^(٢)، والمعنى صحيح، وهو أنه حصلت فتنة الضلال وفتنة الكفر، هناك من ضل وهناك من كفر؛ وذلك بسبب عدم الإيمان بالقرآن، أو تأويله على غير تأويله، ومن ذلك: ما فعله أهل البدع؛ لأنهم يتأولون القرآن على غير تأويله.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٩/٥)، وابن وضاح في البدع، رقم (٢٥٦)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

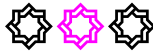
(٢) انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي، رقم (١٤٢٤)، سنن الدارمي، رقم (١٩٩). قال الألباني في سلسلة الضعيفة: ضعيف جدا.

حتى أن بعض أهل البدع - والعياذ بالله - تأولوا قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطُّغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] بأنهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقالوا: في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [١٩] بينهما برزخ لا يبغيان ﴿٢٠﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] فسروا البحرين بفاطمة وعلي رضي الله عنهما، وفي قول الله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] فسروا اللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين رضي الله عنهما.

وهكذا - والعياذ بالله - ضل قوم في تأويل القرآن على غير تأويله - نسأل الله السلامة والعافية -.

وفي الحديث: التحذير من تأويل القرآن على غير تأويله، والتحذير من شبهات المشبهين، وضلالات المضلين، وبدع المبتدعين.

فالواجب على المسلم أن يحذر من أهل البدع؛ الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والمرجئة، وغيرهم.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «مثل أصحابي مثل الملح في الطعام» ثم قال: هيهات ذهب ملح القوم)^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بنحوه فقال: حدثنا أبو نعيم حدثنا عبدالرحمن بن سليمان بن حنظلة (الغسيل)، حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَبَ بِعَصَابَةِ دَسْمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ» فكان ذلك آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ ^(٢).

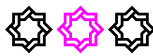
(١) إسناده ضعيف. أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٧٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٦) (١٧٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٣٧٧)، وأبو يعلى (٢٧٦٢)، والشهاب في مسنده، (١٣٤٧)، من طريق: إسماعيل عن الحسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

قال الهيثمي في المجمع (١٦٣٩٥): رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه، وفيه: إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف. اهـ، ومن طريق: عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، وفيه انقطاع.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٢٨).

وفي الحديث :

- ١- الحث على الإحسان للأنصار ومعرفة منزلتهم وفضلهم.
- ٢- دليل على أن الأنصار يقلون ويكثر الناس، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام. كما أن الملح الآن بالنسبة للطعام قليل، فكذلك الأنصار يقلون في آخر الزمان.
- ٣- علم من أعلام النبوة، حيث وقع ما أخبر به.
- ٤- الحث على احترام الصحابة رضي الله عنهم وتقديرهم وتبجيلهم، والإحسان إليهم. ومن الإحسان إليهم: الترضي عنهم، وتوليهم، ومعرفة فضلهم وسابقتهم ومنزلتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب.
- ٥- التحذير من سبهم وإيذائهم، وتنقصهم وغيبيهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ».



تقديم أبي بكر وعمر

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ودخل ﷺ المسجد، ومعه أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة، وهكذا ندخل الجنة»)^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث - وإن لم يصح^(٢) - إلا أن معناه صحيح: أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وزيرا للنبي ﷺ وضجيعاه في القبر، وهما معه يوم القيامة. في الحديث:

١- الحث على معرفة مكانة الشيخين - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢- بيان منزلتهما العظيمة.

٣- الترضي عنهما.

٤- توليها.

٥- الحذر من سبهما وتنقصهما وعيبيهما، حتى روي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: (من سب الشيخين فقد كفر). أي: ولو لم يسب بقية الصحابة - نسأل الله السلامة والعافية -.

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم (٦٠٢)، والترمذي في المناقب، رقم (٣٦٦٩)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان، باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وصححه الحاكم في المستدرک، رقم (٧٧٤٦)، جميعا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ... فذكر الحديث.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.



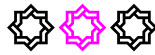
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقال ﷺ : ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما)^(١).

الشيخ

هذا الحديث - وإن اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه^(٢) - فمعناه صحيح؛ فلا شك أن الشيخين - أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هما وزيرا النبي ﷺ، وهما ضجيعاه في القبر، وهما معه يوم القيامة.

فالواجب الترضي عنهما، ومعرفة سابقتهما، وفضلهما ومنزلتهما، وتوليتهما، والحذر من عيبهما وتنقصهما، والتحذير ممن فعل ذلك؛ والذي يسبهما ويتنقصهما ويعيبهما؛ فإن في قلبه مرض ونفاق - نسأل الله السلامة والعافية -، فمن كان قلبه صحيحاً سليماً، فلا يمكن أن يسب الشيخين أو يعيبهما رضي الله عنهما.



(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٤٤)، والترمذي في المناقب رقم (٣٦١٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٥٩/٢)، وابن عدي في الكامل (٨٧/٢)، والآجري في الشريعة (١٢٩٦)، جميعاً من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

(٢) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٣٠٥٦).

فائدة: قال المناوي في فيض القدير (٢٤٣٨): الوزير من الوزر والثقل فإنه يحتمل عن الملك أوزاره. قال تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ﴾ [طه: ٢٩].

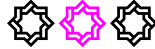
حب الخلفاء الأربعة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تستقر محبة الأربعة إلا في قلب مؤمن تقي،
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي»^(١)).

الشيخ

الخلفاء الراشدين هم أفضل الناس، وأفضل الصحابة - رضوان
الله عليهم -، وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر، ثم
عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.



(١) قريب منه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٣٩)، من حديث أنس بن
مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا
مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»، وينحوه يأتي في تخريج الحديث الذي بعده.

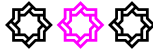


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقال ﷺ : «إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، كما افترض عليكم الصلاة والصيام والحج، فمن أبغض واحدا منهم أدخله الله النار»^(١).

الشَّيْخُ

هذا الحديث - وإن لم يصح - فمعناه صحيح أيضا، وأنه يجب على المسلم أن يترضى عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة أجمعين.



(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٣٩)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٦٩/١): من طريق أحمد بن حنبل أنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما فرض عليكم الصلاة والصيام والحج والزكاة، فمن أبغض واحدا منهم فلا صلاة له ولا صيام له ولا حج له ولا زكاة له، ويحشر يوم القيامة من قبره إلى النار».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والملائكة، والناس أجمعين»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الحديث فيه: التحذير من سب الصحابة، ولا شك أن :
سب الصحابة من كبائر الذنوب، ومن يسب الصحابة على حالين :
- إن كان سبهم لدينهم فهذا كفر وردة بإجماع المسلمين.

- وإن كان سبهم لغيظ في نفسه فهو فاسق، والفاسق متوعد
باللعنة، يقول ﷺ: عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، وهذا يدل على
فسق من توعد بالنار أو اللعنة أو الغضب.

وفرق بين السب وبين التكفير، فالذي يسب الصحابة تقدم
الكلام عنه، والذي يكفرهم، ويقول الصحابة كفار: فهذا كافر؛ لأنه
مكذب لله؛ لأن الله زكاهم، ومعنى يسبهم: يعيبهم وينتقصهم،
ويذمهم.

(١) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد فضائل الصحابة، رقم (٨)، والخلال في السنة (٣) / ٥١٥، والطبراني في الدعاء، رقم (٢١٠٨)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥) / ٢١٢، والخطيب في تاريخ بغداد، رقم (٧٥٥٧)، وأبو القاسم الجرجاني في تاريخ جرجان، رقم (٤٥٦) جميعاً من طريق علي بن يزيد الصدائي قال حدثني أبو شيبه الوهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، والحديث صححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠).

* والحكم في ذامهم يختلف :

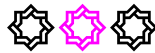
- فقد يذمهم لأشخاصهم أو لذواتهم، مثل من يذم واجداً منهم ويقول: إنه بخيل، أو بقول: جبان، كما حقق ذلك الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في الصارم المسلول على شاتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقال: من سبهم سباً لا يقدر في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

- وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

- وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره فإنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع: من الترضى عنهم، والثناء عليهم.

■ مسألة :

بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الأمة التي هي: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفاراً، أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها. وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام^(١).



(١) انظر: الصارم المسلول (ص ٥٩٠).

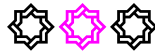


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فإنه يجيئ قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي، فلا تصلوا عليهم، ولا تصلوا معهم، ولا تناكحوهم، ولا تجالسوهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» هذه ثابتة^(٢)، أما بقية الحديث قد لا يثبت^(٣)؛ لكن معناه صحيح، فالذي يسب الصحابة لدينهم، لا يصل على، لكفره وضلاله، ولا يصل معه، ولا يزوج، ولا يجالس، ولا يعاد إذا مرض؛ لكفره وضلاله. أما الذي يسبهم لشيء في نفسه فإنه يكون فاسقا.



- (١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/١٤٣)، رقم (٤٢٤٠)، والمزي في تهذيب الكمال (٦/٤٩٩)، في ترجمة: الحسين بن الوليد أبو عبدالله القرشي النيسابوري، من طريق إبراهيم بن سعد عن بشر الحنفي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ... وذكره.
- (٢) سبق تخريجه.
- (٣) أورده صاحب كنز العمال (٣٢٥٤٢) ثم قال: أخرجه الخطيب وابن عساكر عن أنس. قال الذهبي: هو منكر جدا.

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وقال ابن عباس: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون»)^(١).

الشَّيْخُ

هذا الأثر اعتمده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول»^(٢) وهو إمام في الحديث والسنة، والدعوة إلى معتقد السلف الصالح، فلا يجوز للإنسان أن يسبهم، فإن الله أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون.

والقتال الذي حصل بين عليٍّ ومعاوية، وبين الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - نشأ عن اجتهاد، لا عن هوى، ولا عن

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٦، ١٦٨٩) وزاد في الموضع الثاني: (ويحدثون)، ومن طريقة الأجر في الشريعة (١٩٣/٥، رقم ١٩٠٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١٩٠٢، ١٩١٣) جميعا من طريق أبي معاوية حدثنا رجل، عن مجاهد، وعن ابن عباس قال: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فإن الله ﷻ أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون).

وأخرجه أحمد بن منيع كما ذكر ذلك ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٦٢) فقال: أبو نعيم بدل من أبي معاوية، واطنه تصحيفا. والحديث في راو لم يسم. وشهد له ما أخرجه ابن ماجه (١٦٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٨، ١٣، ١٦٧٧، ١٦٨٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٩)، والأجر في الشريعة (١٩٢٨)، والبيهقي في الاعتقاد (٣٠٠) جميعا من طريق: سفيان عن نسير بن ذعلوق قال: كان ابن عمر يقول: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره).

(٢) انظر: الصارم المسلول (ص ٥٧٤)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة: إسناده صحيح. وقال الألباني: حسن.

تعصب، فهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد مخطئ له أجر، وهذا كما قال العلماء: هذا القتال الذي حصل بينهم، نزه الله أيدينا عنه، فيجب أن ننزه ألسنتنا عنهم.

فيجب الترضي عنهم، بالسكوت عما شجر بينهم، واعتقاد سابقتهم وفضلهم، وأن لهم من الحسنات، والجهاد مع النبي ﷺ، والسبق إلى الإسلام، وصحبة النبي ﷺ، ونشر دين الإسلام وتبليغه ما يغطي ما صدر منهم من هفوات.





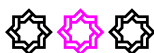
﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقالت عائشة رضي الله عنها: «أمرُوا بالاستغفار لأصحاب محمد
فسبواهم»^(١).



هذا واقع من كثير من الطوائف المنحرفة، سبوا الصحابة،
فخالفوا كتاب الله.

والأمر بالاستغفار جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ
بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



(١) أخرجه مسلم في كتاب التفسير، رقم (٣٠٢٢). قال النووي: وبهذا احتج مالك في
أنه لا حق في الفياء لمن سب الصحابة - رضوان الله عليهم -؛ لأن الله تعالى إنما
جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر لهم. والله أعلم.

ذم القول في كتاب الله بلا علم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!).

الشَّيْخُ

هذا الأثر ثابت عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] أشكل عليه معنى الأب، فقال: «أَيُّ أَرْضٍ تُقْلِنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظْلِنِي، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ»^(١) وفي لفظ: «برأيي»^(٢). وهذا يدل على ورع الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكيف بعد ذلك يأتي بعض الناس ويسبونهم، وهو الورع الصديق الفاضل، وصاحب النبي ﷺ في الغاز، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب النبي ﷺ الخاص، وهو أفضل الناس بعد الأنبياء.



(١) أخرجه الطبري (٣٥/١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨٣٣/٢)، رقم (١٥٦١) من طريق إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وهذا لفظ البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٤)، رقم (٢٢٧٨)، من طريق القاسم بن محمد عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السنة حبل الله المتين

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «السنة حبل الله المتين، فمن تركها فقد قطع حبله من الله»^(١)).

الشرح

هذا معنى صحيح، وإن كان في سنده مقال^(٢)، فلا شك أن السنة حبل الله المتين؛ لأن السنة تفسر القرآن وتوضحه، وتبين مجمله، وتخصص عامه، وتأتي بأحكام جديدة، فمن ترك السنة كفر؛ لأنه ليس كل شيء في القرآن.

فمثلاً: جاء في القرآن الأمر بالصلاة، لكن ليس في القرآن أن صلاة الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والفجر ركعتان.

فالسنة هي التي فصلت ذلك، ومن لم يعمل بالسنة كفر، لأنه

(١) روى الإمام أحمد (٧٠٦)، والترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٣٣١)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: (ستكون فتن) قلت وما المخرج منها؟ قال: (كتاب الله. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل وليس بالهزل، وهو حبل الله المتين، وهو ذكره الحكيم، وهو الصراط المستقيم).

(٢) قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

لن يصلي؛ إذ ليس في القرآن تحديد الركعات.
كذلك - أيضا -: جاء في القرآن وجوب الزكاة؛ لكن هل في القرآن أن الحول شرط لوجوبها، وبيان نصبها؟.

وجاء في القرآن وجوب الحج؛ لكن ليس فيه تفصيل المناسك، وأنه يجب على الإنسان أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ويبيت في منى، ويقف في عرفة ومزدلفة.

كل هذا جاء في السنة، فمن ترك السنة وأنكرها، أو ترك العمل بها فقد كفر.

وفي الحديث: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنَ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ....»^(١).

ومن زعم أنه يعمل بالقرآن ويترك السنة فقد كذب الله في قوله: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].



(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤) وأحمد في مسنده (١٣٠/٤)، رقم (١٧١٧٤) من حديث المقدم بن معدي يكرب مرفوعاً، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

أصحاب الرأي أعداء السنن

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعتيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا»^(١)).

الشيخ

هذا الأثر صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو مشهور^(٢)،

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن» (١٤٦/٤ رقم ١٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢٣/١ رقم ٢٠١). كلاهما من طريق مجالد، عن الشعبي، عن عمرو بن حريث، عن عمر بن الخطاب فذكره.

وأخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (١٠٤/٢ رقم ٢٥٩) من طريق سعيد بن المسيب قال: قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس فقال: ... فذكره بنحوه. وأخرجه الهروي أيضاً في «ذم الكلام وأهله» (١٠٥/٢ رقم ٢٦٠) من طريق علي بن شهاب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ... فذكره بنحوه.

(٢) ذكر ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٥٥/١) أقوال عمر بن الخطاب في هذا الباب فقال: «قال ابن وهب: وأخبرني ابن لهيعة، عن أبي الزناد، عن محمد بن إبراهيم التيمي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعتيتهم أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها فاستبقوها بالرأي).

قال ابن وهب: وأخبرني عبدالله بن عباس، عن محمد بن عجلان، عن عبيدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال: (اتقوا الرأي في دينكم).

وذكر ابن عجلان عن صدقة بن أبي عبدالله أن عمر بن الخطاب كان يقول: (أصحاب الرأي أعداء السنن، أعتيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم). =

وأيضًا هو واقع: أن أصحاب الرأي المجرد - أصحاب الهوى - هم أعداء السنن، تركوا السنن وعملوا بآرائهم وأهوائهم وشهواتهم؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «أَعَيْتَهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا وَتَفَلَّتْ مِنْهُمْ أَنْ يَعُوهَا، فَقَالُوا بِالرَّأْيِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»؛ لأن الأحاديث تقيدهم، وتمنعهم من العمل بآرائهم وشهواتهم، وتفلت منهم فلم يعوها لهوى في نفوسهم؛ فلذلك قالوا بالرأي، وتركوا السنن، فضلوا بأنفسهم، وأضلوا غيرهم.

وهذا فيه: التحذير من الآراء والأهواء والبدع، ومن الإصغاء لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم، والأمر بلزوم السنة.



= وذكر ابن عبد الهادي عن محمد بن إبراهيم التيمي قال قال: عمر بن الخطاب: (إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعييتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلت منهم أن يحفظوها، فقالوا في الدين برأيهم).

وقال الشعبي عن عمرو بن حرت قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا).

ثم قال ابن القيم: «وأسانيد هذه الآثار عن عمر رضي الله عنه في غاية الصحة».

النهي عن تحريف القرآن

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال عمر رضي الله عنه: «القرآن كلام الله ﷻ، فلا تحرفوه إلى غيره»^(١).

الشَّيْخُ

هذا لا شك أن معناه صحيح، حتى ولو لم يصح^(٢)؛ فلا شك أن القرآن كلام الله، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة، ودلت على ذلك النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فالقرآن كلام الله ﷻ، فلا يجوز لأحد أن يحرفه إلى غيره.

وهذا فيه: التحذير من أهل البدع؛ لأنهم هم الذين حرفوا القرآن، وأولوه على غير تأويله.

(١) أخرج الشطر الأول منه: القرآن كلام الله: عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة» (٩٤، ١١٧، ١١٨)، والبيهقي في «الاعتقاد» (١٠٤/١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٧٠/١) و(٥٣٣/٢).

(٢) لأنه من طريق الزهري عن عمر رضي الله عنه، وهو منقطع. ومن طريق ليث بن أبي سليم عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء عبدالله بن هاني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولفظه: «إن هذا القرآن كلام الله ﷻ فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم». وليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك. كذا في ترجمته في «التهذيب» و«الميزان».

فالواجب: البعد عن أهل البدع، والحذر من أهوائهم
وتحريفهم وضلالهم، والواجب لزوم السنة، والعمل بما جاء فيها،
والعض عليها.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَأْمُرْ عِبَادَهُ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ إِلَّا عَمَّا يَضُرُّهُمْ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا المعنى صحيح ولا شك، فالله تعالى حكيم في تشريعه، وهو خلق الخلق لحكمة عظيمة؛ ليعبدوه، ويوحدوه، وليعرفوه بأسمائه وصفاته، ولم يأمرهم سبحانه إلا بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولم ينههم إلا عن شيء يضرهم في دينهم ودنياهم، وإذا كان كذلك، وجب العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووجب الحذر من البدع والمحدثات في الدين.



(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢١٦/١) عن قتادة بلفظ: «إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ولا ينهاهم عما نهاهم عنه بخلاً عليهم، بل أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم».



حديث الباطل فيما وافق النفس

❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْبَاطِلُ فِيمَا وَافَقَ النَّفْسَ، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ
لِلَّهِ فِيهِ طَاعَةٌ»).

الْتِمَاحُ

لا شك أن هذا المعنى صحيح؛ فالباطل ما وافق النفس
وخالف النصوص، وإن رأى في نفسه أن هذا فيه طاعة؛ لأن هذا
الرأي إنما هو بالرأي المجرد، فهذا باطل.
والحق هو ما جاءت به النصوص في كتاب الله وسنة رسوله،
والباطل إنما يكون فيما وافق النفس وخالف النصوص.
وفيه: التحذير من البدع والمحدثات في الدين، والتحذير من
أهل البدع والإصغاء إلى شبههم وبدعهم.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقال علي رضي الله عنه : «الهوى يصد عن الحق»)^(١).

الشَّيْخُ

كون الإنسان يعمل بهواه وما تميل إليه نفسه وإن خالف النصوص، فلا شك أنه يصد عن الحق، ويعمي القلب. فالواجب: الحذر من الهوى والرأي والبدع، والعمل بالكتاب والسنة.

جاء في بعض النسخ (علي كرم الله وجهه) والصحيح أنه لا يقال: علي كرم الله وجهه، فلا يخص بشيء رضي الله عنه فوق الخلفاء الراشدين الثلاثة، بل الصحابة رضي الله عنهم، وكرم الله وجوههم؛ لأن هذا شعار بعض أهل البدع، يقولون: علي رضي الله عنه، وعلي كرم الله وجهه؛ فالصحابة كلهم سواء^(٢).



(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩٤/٤٢) من طريق رجل من بني عامر، عن علي، مطولاً.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» (٦٧٧/٣): «قد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: رضي الله عنه من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً؛ لكن ينبغي أن يسوّى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنه أجمعين».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وقال علي رضي الله عنه : «الهوى عند من خالف السنة حقٌّ، وإن ضربت فيه عنقه»^(١).

الشَّيْخُ

هذا المعنى صحيح، ولو لم يصح الأثر؛ فالهوى عند من خالف السنة حق؛ لأنه يعمل بهواه، ويرى أنه على الحق، وبعضهم يستمر على باطله حتى ولو ضربت عنقه.

وفيه: التحذير من الهوى والبدع والمحدثات في الدين.



(١) تقدم بمعناه في حديث الباب السابق.

النهي عن الجدال في القرآن

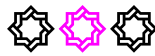
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»^(١).

الشيخ

هذا النهي دلت عليه النصوص، وأن الواجب على المسلم أن يعمل بكتاب الله، ويعمل بالمحكم، ويؤمن بالمتشابه، ويرد المتشابه إلى المحكم، ولا يجوز للإنسان أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض، وكذلك السنة لا يضرب بعضها ببعض، لا يضرب النصوص بعضها ببعض، فإن هذه طريقة أهل الزيغ والانحراف.

فالواجب البعد عن مسلكهم، والحذر من طريقتهم، ولزوم السنة، والبعد عن أهل البدع وأعمالهم وأخلاقهم، فإن النصوص يصدق بعضها بعضًا، ويوافق بعضها بعضًا من الكتاب ومن السنة، ويؤيد بعضها بعضًا، وينصر بعضها بعضًا.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٨) من قول ابن عباس رضي الله عنهما وانظر: «الحلية» (٢١٦/٩)، و«السير» (٢٨٢/١١).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وجلد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبيغاً التميمي في مساءلته في حروف من القرآن).

الشَّيْخُ

هذا الأثر الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أخرجه الدارمي في «سننه»^(١)، والهروي في «ذم الكلام»^(٢)، وهو أبو إسماعيل الهروي الحنبلي الصوفي المعروف، الذي له كتاب «منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين»^(٣)، وشرحه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «مدارج السالكين»^(٤).

فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جلد صبيغاً التميمي في مساءلته في حروف من القرآن، وهذا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحذير من الشقاق والجدال وما يؤدي إليه، فلما أكثر من مساءلته في حروف من القرآن، أدبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجلده.

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٤٤، ١٤٨).

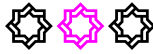
(٢) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٧٠٦)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٣٦، ١١٤٠)، وابن وضاح في «البدع» باب قصة صبيغ العراقي (١٤٦) من طرق عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال الذهبي في «السير» (٥٠٩/١٨): «ولقد بالغ أبو إسماعيل في ذم الكلام على الاتباع فأجاد، ولكنه له نفس عجيب لا يشبه نفس أئمة السلف في كتابه منازل السائرين؛ ففيه أشياء مطربة وفيه أشياء مشككة».

(٤) انظر: «كشف الظنون» (١٨٢٨/٢).

وفيه: دليل على ذم أهل الكلام الذين يُشَقِّقُونَ الكلام، ويكثرُونَ المسائل، ويحرفون النصوص على غير تأويلها، وأنهم يزجرون ويردعون ويؤدبون من قبل ولادة الأمور، وهذا يدل على ذم عملهم، وأن هذه هي طريقة أهل البدع، فالبدع إنما نشأت من هذا: من كثرة المساءلات، في حروف القرآن، وتشقيق الكلام، والأخذ والرد.

فلما رأى عمر رضي الله عنه هذا الرجل - وهو صبيغ التميمي - يكثر من المسئلة في حروف القرآن، جلده؛ زجرًا له وردعًا لأمثاله، حتى لا يتجرأ أحد على الكلام في كتاب الله وكتبه وإكثار المسائل ومخالفة ما جاءت به النصوص، إلا فيما لا بد منه، فإن هذا يولّد الشبه والشكوك، وبهذا نشأت البدع ^(١).



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/٤١٥ - ٤١٧).

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «إذا سمعت الله ﷻ يقول كذا وكذا، فأصغ لها سمعك، فإنما هو خير تؤمر به أو شر تنهى عنه»).

الشَّيْخُ

هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ^(١)، وفي لفظ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] فأرْع لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه ^(٢). وفي هذا دليل على أنه يجب على المسلم أن يمثّل أوامر الله، وأن يجتنب نواهيه، وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يحذر مما خالف النصوص.

وفيه: تحذير من أهل البدع الذين يتجاوزون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال ابن مسعود: عليك أن تلزم كتاب الله وأن تمتثل الأوامر، وتجتنب النواهي، وأن ترعي سمعك للأوامر والنواهي، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فأرْع لها سمعك، وأصغ لها سمعك، وتأمل، وتدبر، ثم امتثل الأوامر، واجتنب النواهي، ولا تتجاوز هذا إلى ما يحدث الشكوك والشبه.

وفيه: رد لأهل البدع وأهل الشبه الذين تجاوزوا النصوص والأوامر والنواهي إلى الشبه والشكوك، فأورثتهم اعتناق البدع وإحداث ما ليس من الدين.

(١) (١٠٣٧، ٣٨٩١، ٥٠٢٧، ٨٨٨٥).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (٥٠، ٨٤٨)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٣٠) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

القرآن كلام الله غير مخلوق

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال ابن مسعود: «القرآن كلام الله ﷻ، فمن قال فيه شيئاً، فإنما يتقوله على الله ﷻ»^(١).

الشَّيْخُ

القرآن كلام الله ﷻ، وهذا واضح من النصوص، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فالقرآن كلام الله بإجماع الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء^(٢)، فمن قال فيه شيئاً، فإنما يتقوله على الله ﷻ، كما قال

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٠٦) من طريق مسروق عن ابن مسعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٢٠) عن الإمام البخاري أنه قال: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم مرات قرناً بعد قرن، ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة أهل الشام، ومصر، والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وعلي بن الحسن بن شقيق، وقتيبة بن سعيد، وشهاب بن معمر، وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي، وأبا مسهر عبدالأعلى بن مسهر، وأبا المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج، وأبا اليمان الحكم بن نافع، ومن بعدهم عدة كثيرة، وبمصر: يحيى بن كثير، وأبا صالح كاتب الليث بن سعد، وسعيد بن أبي مريم، وأصبع بن الفرغ، ونعيم بن حماد، وبمكة: عبدالله بن يزيد المقرئ، والحميدي، وسليمان بن حرب قاضي مكة، وأحمد بن محمد الأزرق، وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس، ومطرف بن عبدالله، =

بعض أهل البدع: القرآن مخلوق. فهذا كفر؛ ولهذا قال كثير من الأئمة: من قال: كلام الله مخلوق، أو من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر على وجه العموم. كما قال بذلك الأئمة: الإمام أحمد^(١)، والبخاري^(٢)، وجماعة^(٣).

أما الشخص المعين فلا يكفر، حتى تقوم عليه الحجة، بأن توجد الشروط وتنتفي الموانع، فالشخص المعين الذي هو مسلم من أهل القبلة إذا قال: القرآن مخلوق، أو تكلم بكلام موهم، فإنه لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة.

فالمقالة تعطى ما تستحقه فيقال: المقالة كفرية، وهذا القول كفري، أو هذا القول يخالف كلام الله، ويخالف سنة رسول الله، أو يخالف ما أمر الله به، أو يخالف ما نهى الله عنه، أو يخالف ما

= وعبدالله بن نافع الزبيري، وأحمد بن أبي بكر أبا مصعب الزهري، وإبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، وأبا الوليد هشام بن عبد الملك، والحجاج بن المنهال، وعلي بن عبدالله بن جعفر المديني، وبالكوفة: أبا نعيم الفضل بن دكين، وعبيدالله بن موسى، وأحمد بن يونس، وقبيصة بن عقبة، وابن نمير، وعبدالله، وعثمان ابنا أبي شيبة، وببغداد: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبا معمر، وأبا خثيمة، وأبا عبيد القاسم بن سلام، ومن أهل الجزيرة: عمرو بن خالد الحراني، وبواسط: عمرو بن عون، وعاصم بن علي بن عاصم، وبمرو: صدقة بن الفضل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصراً وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء، أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق».

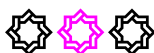
(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٣، ٢، ١) عن الإمام أحمد. وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٢٢٣/١).

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤٦٨) عن البخاري.

(٣) انظر: «مسائل أبي داود للإمام أحمد» (ص ٢٦٢)، و«خلق أفعال العباد» للبخاري (٣٥، ٥٣)، و«السنة» لعبدالله (٦٧، ٦٨، ٧٥، ٧٦).

أخبر الله به.

هذا هو الصواب في هذه المسألة، كما حقق ذلك الأئمة والعلماء، كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وغيره من أهل العلم^(١).



(١) انظر: «الفصل» لابن حزم (٣/٣٠٢)، «مجموع الفتاوى» (١٢/٥٠٠ - ٥٠١)، و(١٠/٣٧٢)، و(٣/٢٢٩)، و«الدرر السنية» (٨/٢٤٤) وانظر: «مجموع الفتاوى» (٧/٥٠٧، ٥٠٨).

وجوب لزوم السنة وكفر تاركها

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿

﴿ وقال ابن عمر: «من ترك السنة كفر»^(١).

الشَّيْخُ

في الحديث: تشديد على من خالف السنة، فابن عمر رضي الله عنهما قال: صلاة السفر ركعتان، لما سئل عن صلاة السفر، قال: صلاة الحضر أربع ركعات، وصلاة السفر ركعتان، من ترك السنة كفر.

فهذا من باب التشديد والتغليظ على من خالف السنة، وليس المراد أنه يكفر كفراً يخرج من الملة، بل هذا يكون كفراً عملياً، إلا إذا كان الشيء الذي عمله شركاً في العبادة، أو ناقضاً من نواقض الإسلام، وإنما التشديد والتغليظ على من خالف السنة وترك السنة، وأن هذا من الأعمال الكفرية.

وفيه: التحذير من البدع والمحدثات في الدين، فإن أهل البدع تركوا السنة، وأحدثوا في دين الله ما ليس منه، فيشملهم هذا التغليظ من الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.



(١) أخرجه عبد بن حميد في «المسند» (٨٢٩)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٤٢٨١)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤٢٢/١)، والطبراني في «الأوسط» (٧٨٤٦)، وابن عدي في «الكامل» (١٣٤/٤)، (٢٤٤/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٨٥/٧)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢٣٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٢٠٢) من طرق عن ابن عمر، واللفظ للطبراني.

❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقال عمر بن عبدالعزيز: «السنة إنما سنّها من علم ما جاء في خلافتها من الزلّ، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم»^(١)).

الشَّيْخُ

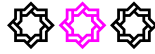
هذه المقالة من عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد العادل، الذي ضمه كثير من أهل العلم إلى الخلفاء الراشدين الأربعة، فهو خليفة راشد، وهو أول من أمر بكتابة السنة وجمعها.

○ قوله رحمه الله رضي عنه: «السنة إنما سنّها من علم ما جاء في خلافتها من الزلّ» هذه السنة، سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - سنّها رسول الله ﷺ بوحي من الله.

فالسنة وحي ثانٍ، كما قال الله تعالى عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٣-٤] فالذي سنّها يعلم ما في خلافتها من الزلّ، فيجب على المسلم أن يعمل بالسنة، وأن يحذر مخالفة السنة؛ لئلا يزل.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٦١٢)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (١٧١) في باب: مذهب عمر بن عبدالعزيز في القدر وسيرته في القدرية، (١٨١٩)، وابن وضاح في «البدع» باب: كل محدثة بدعة (٧٣) عن عمر بن عبدالعزيز مطولاً، وقال الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود»: صحيح مقطوع.

○ قوله: «ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم» أي أن السلف والصحابة أقدر على المنازعة والجدل ممن جاء بعدهم، لكنهم يعلمون ما في المنازعة والجدل من العاقبة الوخيمة، ومن مخالفة النصوص التي جاءت بالتحذير من النزاع والجدل، ويعلمون ما في المنازعة والجدال من الشكوك والشبه التي تورث البدع؛ ولهذا تركوا المنازعة والجدل، ولزموا السنة، والإفهم ليسوا عاجزين عن الجدال والمنازعة. ولمّا لم يتورع المتأخرون عن المنازعة والجدال وقعوا في الشكوك والشبه وحدثت البدع^(١).



(١) انظر: «الشریعة» للآجري (١/٤٢٩، ٤٦٥).

ذم اتباع الهوى

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئاً من الخير، وإنما سُمِّيَ هوى؛ لأنه يَهوي بصاحبه في النار»^(١)).

الشرح

الحديث فيه: تحذير ابن عباس رضي الله عنهما من البدع، لما قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، يعني: جعلنا نهوى ما تهوونه، إما أن يقصد الصحابة أو أهل البيت، فأراد هذا الرجل أننا نوافقكم فيما تهوونه من العمل بالكتاب والسنة، لكن ابن عباس زجره عن كلمة الهوى؛ لأن الهوى معناه: البدع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئاً من الخير»، والمراد بالأهواء: البدع، وإنما البدعة سميت «هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار».

فأراد ابن عباس رضي الله عنهما أن يحذر هذا الرجل من كلمة الهوى، وإن كان صاحبها لا يقصد البدعة، لكن لما عبر بكلمة الهوى،

(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠١٠٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٢٥)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٨٤) من طريق ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس بنحوه.

زجره ابن عباس رضي الله عنهما وبيّن أن البدع ليس فيها شيء من الخير، وأراد أن يعبر بتعبير آخر، فلو أنه قال: الحمد لله الذي جعلنا متبعين للسنّة مثلكم، أو نوافقكم في اتباع السنّة، كان أولى من أن يعبر بكلمة الهوى.

والهوى هو: أن يبتدع الإنسان شيئاً في دين الله، أو أن يفعل المعاصي بهواه وشهوته؛ ولهذا قال الله تعالى لنبيه داود - عليه الصلاة والسلام -: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] **فالأهواء هي:** البدع والمعاصي، وسميت هوى؛ لأنها توافق رغبة الإنسان وشهوته في ترك النصوص، والميل إلى البدع والمعاصي.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الحسن، ومجاهد، وأبو العالية: «إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار»)^(١)

الشَّجْ

وهذا الكلام من هؤلاء العلماء التابعين، وهم من أجلاء التابعين: مجاهد بن جبر - العالم الجليل راوي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، الذي يقول: عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها^(٢)؛ ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به^(٣)، وأبو العالية الرياحي أيضاً التابعي الجليل، والحسن البصري العالم المشهور. هؤلاء العلماء من التابعين قالوا: إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار، يعني البدع والمعاصي إنما سميت هوى؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار؛ لأن المعاصي والبدع بريد للكفر، توصل إليه؛ ولأن صاحب الكبيرة متوعد بالنار، سواء كانت هذه الكبيرة بدعة أو معصية، ولهذا قالوا: إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار^(٤).

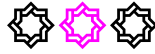
(١) وأخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٢٩٠)، والدارمي في «السنن» (٣٩٥)، (٤٠٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٩٧) من قول الشعبي.

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٦٥/١)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٩٧) عن مجاهد به.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦٥/١).

(٤) انظر: «روضة المحبين» لابن القيم (ص ٢٣).

فالواجب على المسلم أن يحذر من اتباع الهوى؛ كما قال الله تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى يضل عن سبيل الله؛ ولهذا قال العلماء: الهوى يعمي ويصم، يعمي عن الحق فلا ينظر إليه الإنسان، ويصم عن الحق فلا يسمع الحق، ويبكم عن الحق فلا يتكلم بالحق بسبب الهوى؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ثم النتيجة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الحسن: «ما من داء أشد من هوى خالط قلباً»)^(١).

الشَّيْخُ

وهذه مقالة أخرى للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقصد: ما من داء من الأدواء المعنوية، وليس المراد الحسية، والداء الحسي: هو المرض الذي يصيب الجسد، والداء المعنوي: هو داء القلوب. أشد من هوى خالط قلباً.

فإذا خالط الهوى القلب فهذا داء شديد، ومرض يمرض القلب؛ لأنه يتبع هواه ويترك النصوص، وقد يوصله إلى الكفر؛ لأن المعاصي بريد الكفر، والبدع أشد من الكبائر^(٢).

فالواجب الحذر من الهوى؛ فما وجدت البدع إلا بالهوى، فبدعة الجهمية، وبدعة الخوارج، وبدعة المعتزلة، وبدعة الرافضة، وبدعة المرجئة وغيرها من أهل البدع إنما نشأت من اتباع الهوى^(٣).

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٦٤) من طريق يونس عبد الحسن، به. وانظر: «السنة» لعبدالله بن أحمد (١/١٣٨) و«حلية الأولياء» (٩/٢١٨) ولفظه: «شر داء خالط قلباً» يعني: الهوى.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/٢٨٤)، و«الداء والدواء» (ص ١٠١)، و«مفتاح دار السعادة» (١/١١٢)، و«بدائع الفوائد» (٢/٤٨٤).

(٣) قال شيخ الإسلام: (إن لزوم السنة يحفظ من شر النفس والشيطان دون الطرق المبتدعة، فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصار والأغلال وإن كانوا متأولين، فلا بد لهم من اتباع الهوى؛ ولهذا سمي أصحاب البدع: أصحاب الأهواء؛ فإن طريق السنة علم وعدل وهدى، وفي البدعة جهل وظلم وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس). «مجموع الفتاوى» (١٠/٥٦٨).

والهوى قد يكون ناشئاً عن شبهة، وقد يكون ناشئاً عن شهوة: فالهوى الناشئ عن شبهة، يولد هذه البدع التي تكون في القلوب من الاعتقادات. وأما التي تنشأ عن الشهوات فهذه المعاصي والكبائر، فالزنى، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والتعامل بالربا، كل هذا ناشئ عن الهوى الذي يحمل على الشهوة، أما بدعة الجهمية والخوارج والمعتزلة والرافضة، فهذا ناشئ عن الهوى، الذي نشأ من الشبهة^(١).



(١) انظر: الاستقامة (٢/ ٢٢١، ٢٢٢)، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٣٩)، و«الاعتصام» (١/ ١٧٦).

التحذير من الخصومات

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال أبو قلابة: «إياكم وأصحاب الخصومات، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»)^(١).

الشَّيْخُ

يحذر أبو قلابة التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ من أصحاب الخصومات والجدال، الذين يخاصمون ويجادلون في دين الله على غير بصيرة، وهم أهل البدع؛ وذلك أنه ما نشأت البدع إلا من الخصومات، فالجهمية خاصموا في نصوص الكتاب، وكذلك المعتزلة والأشاعرة والرافضة كلهم أصحاب خصومات.

فالواجب الحذر منهم؛ ولهذا حذر أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ المسلم أنه إذا خاصمهم فقد يلبسون عليكم، وقد تشبه عليكم الأمور فتضلون كما ضلوا؛ ولهذا قال: «**فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون**»؛ أي: يشوشوا عليكم ما تعرفونه مما

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٣٩١)، والآجري في «الشریعة» (ص ٦٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٤٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٣٣)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٧)، (٩/٢١٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٢٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/٢٩٨، ٢٩٩) عن أبي قلابة.

هو مستقر في نفوسكم، مما تعتقدونه مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمع الخصومة والجدال يلبسون عليكم بعض ما تعرفون، فتحصل الشكوك والشبه، فيزل الإنسان ويضل^(١).



(١) انظر: «الاعتصام» (١/ ٣٣).

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَكِرَّةَ عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي وإبراهيم أن يُفْتُوا في شيء من الخصومات، وقالوا: «الخصومات محق الدين»، وقالوا: «ما خاصم ورع قط»^(١)).

الشَّيْخُ

هؤلاء التابعون الأجلاء - رحمهم الله ورضي عنهم - كرهوا الفتيا في الخصومات - وهم طاوس بن كيسان اليماني التابعي الجليل، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، والشعبي، وإبراهيم النخعي - قالوا: «الخصومات محق الدين»، يعني: إذا كانت المسألة فيها خصومات وجدال سكتوا؛ لأن الذين يخاصمون ويجادلون لا يريدون الحق في الغالب، فالذي يريد الحق يسأل ويستفسر؛ ليعلم الحق، وهذا لا يكون مجادلاً، وإنما يسأل عما لا يعلمه فيفتيه العالم، كما قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] أما هؤلاء المخاصمون والمجادلون فإنهم لا يريدون الحق في الغالب، فتكون الفتيا في هذه الحالة لا محل لها، وفي غير محلها؛ ولهذا كره هؤلاء التابعون الفتيا في شيء من

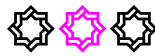
(١) وأخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٥٤) وفي «الغيبة والنميمة» (ص ١٩) عن أبي جعفر قال: «إياكم والخصومات فإنها تمحق الدين»، وأخرج ابن أبي الدنيا في «الورع» (٥٣)، وفي «الصمت» (١٥٥)، وفي «الغيبة والنميمة» (١٦)، والآجري في «الشرعية» (ص ٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٤٨٩) عن عبد الكريم الجزري قال: «ما خاصم ورع قط في الدين».

الخصومات، وبينوا أنك تمسك إذا وجدت الخصومات والجدال؛ لما ينشأ عنها الشبه والشكوك؛ فالخصومات تمحق الدين.

○ وقالوا: «ما خاصم ورع قط»: فالورع لا يخاصم، بل يحجزه ورعه ويمنعه من الخصومات والنزاع والشقاق والجدال، فإذا وصل الحال إلى الخصومات والجدال والنزاع، فالإنسان يمسك، أما إذا كان الجدال لإظهار الحق ورد الباطل بالتي هي أحسن، بالنصوص الواضحة، فلا إشكال فيه، قال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وجاء في النصوص النهي عن الخصومات والجدال.

والجمع بينهما: أن النصوص التي فيها الأمر بالجدال المراد بها: الجدال لإظهار الحق ورد الباطل في النصوص، وهذا مطلوب ومأمور به.

والنصوص التي فيها النهي عن الجدال، المراد بها الجدال بالباطل من أجل الشك والتلبس، فهذا منهي عنه، وهذا هو الذي أراده هؤلاء التابعون الأجلاء.



الحياء شعبة من الإيمان

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: «الحياء من الإيمان»، فقال رجل عنده: في الحكمة مكتوب: إن من الحياء ضعفاً، ومنه وقاراً، فقال عمران: «أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدثني عن ضحكك؟! لا أكلمك أبداً»^(١)).

الشَّجْ

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عمران بن حصين رضي الله عنه، يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ». وهو ثابت أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري^(٢) ومسلم^(٣)، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» هذه رواية مسلم، وفي رواية البخاري: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسُتُونَ شُعْبَةً».

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب الحياء رقم (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، بنحوه.
(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩).
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٥).

فدل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان، فمثّل ﷺ للشعبة القولية بكلمة التوحيد، وللشعبة العملية بإمطة الأذى عن الطريق، وللشعبة القلبية بالحياء، فلما روى الحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه، وأن النبي ﷺ قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١) اعترض رجل في مجلس عمران بن الحصين رضي الله عنه، فقال: في الحكمة مكتوب: إن من الحياء ضعفاً، ومنه وقاراً، يعني: إن الحياء ينقسم إلى قسمين: قسم ضعف، وقسم وقار، فأنكر عليه عمران بن حصين رضي الله عنه أشد الإنكار لما عارض السنة، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحفك؟! لا أكلمك أبداً.

وهذا فيه: دليل على هجر أهل البدع.

وفيه: وهجر من عارض السنة، وأنه يستحق الهجر والتعزير؛ ولهذا عزّره عمران رضي الله عنه. ومن ذلك: ما ثبت عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(٢) فقال ابنُ لعبدالله بن عمر - يقال له: واقد -: والله لنمنعنهم؛ إذن يتخذونه دَعَاً - أي: فساد وخداع وريبة - فأقبل عليه عبدالله فسبه سباً قبيحاً، قال الراوي: ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعنهم، ثم هجره. فهذا الابن بهذا القول قد عارض السنة.

ومن ذلك أيضاً: ما ثبت عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه، أنه رأى رجلاً من قومه يخذف - والخذف معناه: أن يرمي الحصاة الصغيرة

(١) هو حديث الباب.

(٢) البخاري كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، رقم (٩٠٠)، ومسلم كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، رقم (٤٤٢)، وهذا لفظه.

بين الأصبعين - فقال له عبدالله بن مغفل رضي الله عنه : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف»، وقال: «إنها لا تصيد صيداً، ولا تنكأ عدواً، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين»^(١).

فليس في الخذف فائدة، بل فيه ضرر محض، فهو يصيب العين فيفقؤها، أو يصيب السن فيكسره، ولا تفيد في صيد ولا عدو. ثم رآه بعد ذلك يخذف بعد أن نهاه، فقال: أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه، ثم تخذف؟! لا أكلمك أبداً، وهجره.

فعمر رضي الله عنه - لأنه من ولادة الأمور - جلد صبيغاً التميمي، وابن عمر رضي الله عنهما سب ابنه وهجره، وعبدالله بن مغفل رضي الله عنه هجر قريبه، وهذا من الصحابة - رضوان الله عليهم - فيه دليل على: أن أهل البدع ومن عارض السنة يستحقون الهجر، ويستحقون التأديب، والتأديب يكون من قبل ولادة الأمور، والهجر من غيرهم^(٢).



(١) البخاري كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبنطقة، رقم (٥٤٧٩)، ومسلم كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد، رقم (١٩٥٤)، وهذا لفظه.

(٢) انظر: «منهاج السنة» (١/٦٤).

السنة مفسرة للقرآن

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وذكر عند عمران بن الحصين رضي الله عنه الحديث، فقال رجل من القوم: لو قرأتم سورة من كتاب الله كان أفضل من حديثكم. فقال عمران: «إنك لأحمق، أتجد الصلاة في كتاب الله مفسرة؟! أتجد الزكاة في كتاب الله مفسرة؟! إن القرآن حكمة، وإن السنة فسرته»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر عن عمران بن الحصين رضي الله عنه لما حدّث اعترض عليه رجل من القوم، وقال: لو تركتم الحديث واكتفيتم بقراءة القرآن فإننا لا نحتاج أن نقرأ الحديث. فأنكر عليه عمران رضي الله عنه طلبه الإعراض عن السنة، وقال: إنك لأحمق.

وكون السنة تفسر القرآن، ذلك أن القرآن جاء فيه نصوص مجملّة، والسنة تفسره، فلو تركنا السنة، ما عرفنا تفاصيل

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٥٦١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٧٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٢)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» باب: ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ (٦٦، ٦٧، ٦٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٥٠)، والآجري في «الشريعة» (ص ٥٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/١٥١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٩١) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

الواجبات، كما قال عمران عليه السلام للرجل: أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ الذي في كتاب الله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، لكن هل تجدها مفسرة فيه؟ فكم قدر الصلوات؟ هل في كتاب الله أن صلاة الظهر والعصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة العشاء أربع ركعات، وصلاة الفجر ركعتان؟!

هل في القرآن وجوب النصاب في الزكاة؟ لا، وإنما هذا في السنة. هل وجوب الحول في القرآن أم في السنة؟.

وفي القرآن وجوب الحج، فهل فيه بيان كيفية الطواف: طواف الإفاضة، وأنه ركن، وأنه سبعة أشواط، وبيان السعي بين الصفا و المروة سبعة أشواط؟ وبيان متى يكون الوقوف بعرفة، وفي أي يوم هو؟ ومتى يكون الرمي؟ هذا كله إنما جاءت به السنة.

○ ثم قال: «إن القرآن حكمة، وإن السنة فسرته»، الحكمة هي العلم، علم فسرته ووضحته السنة؛ ولهذا قال العلماء: إن من أعرض عن السنة وأنكرها فهو كافر، وهو مكذب لله في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وثمة طائفة يسمون أنفسهم القرآنيين، أي: يعملون بالقرآن ولا يعملون بالسنة، وهذا لا يمكن، فهؤلاء كذبة في قولهم: أنهم يعملون بالقرآن؛ إذ لو كانوا يعملون بالقرآن لعملوا بالسنة، فإن الله أمر بالعمل بالسنة في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.



التحذير من ردِّ السُّنَّة

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وقال المقدم بن معدي كرب: «حَرَّمَ رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، فقال: «يُوشِكُ رَجُلٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ مِمَّا أَمَرْتُ أَوْ نَهَيْتُ فَيَقُولُ: دَعُونَا مِنْ هَذَا، مَا نَذَرِي مَا هَذَا؟ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَلَا تُعْرِفَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ»»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا فيه: التحذير من ترك السنة وعدم العمل بها.

○ قوله: «يُوشِكُ»: يعني: يقرب، «رجل على أريكته»، يعني: متكئاً على كرسيه، وفي لفظ: «يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ مُتَكِيٌّ عَلَى أَرِيكَتِهِ»^(٢)، فإذا جاءه الأمر أو النهي من السنة قال: دعونا من هذا، هاتوا كتاب الله، يكفينا العمل بكتاب الله، «فَيَقُولُ: دَعُونَا مِنْ هَذَا،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، وابن ماجه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، رقم (١٢)، والدارمي في «السنن» (٥٨٦)، وأحمد في «المسند»، رقم (١٧١٧٤)، رقم (١٧١٩٤)، المروزي في «السنة» (٢٤٤)، والطبراني في «الشاميين» (١٠٦١)، والخطيب في «الكفاية» (ص ٨)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» باب: ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ عن المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي، أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم (٢٦٦٤) وأحمد، رقم (٨٨٠١).

مَا نَذِرِي مَا هَذَا؟ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَلَا عَرَفَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ» أي: أن يكون كذلك.

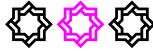
وفي اللفظ الآخر: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١).

فالسنة وحي ثان، ومن زعم أنه يعمل بالقرآن، ولا يعمل بالسنة، فهو كاذب كافر.

وكونه كاذب: لأن الله أمره بالعمل بالسنة في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا خُلُودًا مِمَّنْ سَبَقَ بِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الحشر: ٧].

وكونه كافر: لإنكاره السنة، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي هذا: التحذير من البدع، والشبهات، والمحدثات في الدين التي توصل إلى الكفر.





❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: رأيت... رأيت.. فقال: «اجعل رأيت باليمن، إنما هي السنن»^(١)).

❦ الشَّيْخُ ❦

هذا الرجل اليماني قال لابن عمر رضي الله عنهما يسأله: «رأيت.. رأيت.. فقال: «اجعل رأيت باليمن، إنما هي السنن»، أي اترك الرأي، واعمل بالسنة، اجعلها هناك في بلدك، أما عندي فليس إلا العمل بالكتاب والسنة، وفي لفظ آخر: «اجعل رأيت عند الثريا»^(٢).
 ○ قوله: «رأيت» هي كلمة معناها ناشئ عن الرأي، والرأي يُضِلُّ، فاترك الرأي، واعمل بالكتاب والسنة.
 وهذا فيه: التحذير من معارضة السنة بالرأي المجرد^(٣).



- (١) أخرجه البخاري (١٦١١)، ولفظه: (سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر. فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. قال: قلت: رأيت إن زحمت؟ رأيت إن غلبت؟ قال: اجعل رأيت باليمن. رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله).
- (٢) هو لفظ الهروي في «ذم الكلام» (٢٨٢).
- (٣) انظر: «شرح السنة» للبربهاري (ص ٦٢ - ٦٣)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٩٧)، (٣١٨/٧).

ذم الرأي

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الشعبي: «ما قضيت لي رأياً قط»).

الشيخ

الشعبي عامر بن شراحيل تابعي جليل، وهو جبل في الحفظ حجة، وإمام في نقد الرجال^(١).

○ قوله: «ما قضيت لي رأياً قط»، أي: ما عملت بالرأي، إنما أعمل بالنصوص، بالكتاب والسنة، ومراده: الرأي المجرد من النصوص، وإنما أعمل بالسنة.

وهذا فيه: تحذير من الآراء والبدع، والبدع إنما نشأت عن الآراء.



(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار - وذو كبار قيل من أقبال اليمن - الشعبي، وهو من حمير وعداده في همدان؛ وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، ... قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. توفي في الكوفة بعد المائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤)، تاريخ دمشق (٢٥/٣٣٥)، تاريخ بغداد (١٤/١٤٣)، وفيات الأعيان (٣/١٢).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وقال قتادة: «لم أفت برأي منذ ثلاثين سنة»)^(١).

الشَّيْخُ

هذا قتادة بن دعامة السدوسي^(٢) التابعي المعروف الجليل يقول: «لم أفت برأي منذ ثلاثين سنة» أي: منذ هذه المدة الطويلة - وهي المدة التي تأهل فيها للفتيا - لم أفت برأي. وإنما يفتي بالنصوص: بالكتاب والسنة.

فالفتوى لا بد أن تكون مدعومة بالنصوص، فيكون دليلها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو من قواعد الشريعة التي دلت عليها النصوص، أو من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والأئمة، أما رأي مجرد فليس للإنسان أن يفتي بالرأي.

وهذا فيه: التحذير من البدع؛ لأن البدع هي الحدّث في الدين، فما خالف الكتاب والسنة فهو بدعة.



(١) أخرجه البغوي في «مسند ابن الجعد» (١٠٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٣٥/٢) من طريق أبي عوانة، عن قتادة، به.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضريب أكمله، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. قال الذهبي، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، .. مولده: في سنة ستين. مات بواسط في الطاعون. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٠/٥)، طبقات ابن سعد الكبرى (١٧١/٧)، الأعلام (١٨٩/٥).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحسن: «شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل؛
لِيُعْمُوا بها عباد الله»^(١).



○ قوله: «شرار عباد الله» هم أهل البدع.

○ قوله: «الذين يتبعون شرار المسائل، لِيُعْمُوا بها عباد الله»
شرار المسائل جمع شر، وهي ما كان مخالفاً للخير، وتجاوزته إلى
الشر، والمراد: البدع.

فالحير فيما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله
ﷺ، وشرار الناس من يعدل عن هذا الخير، ويتبع شرار المسائل
حتى يعمي عباد الله عن الحق، بأن يفتيهم بما خالف النصوص،
وبالآراء التي ليست مستندة إلى الكتاب والسنة، فهؤلاء هم الذين
يضلون عن سبيل الله، يضلون بأنفسهم، ويضلون غيرهم؛ بسبب
تركهم للنصوص، وبعدهم عن السنن والآثار، واتباعهم للأهواء
والآراء المضلة.



(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٥٢٩)، والبيهقي في «المدخل» (٣٠٧) من طريق
منصور بن زاذان، عن الحسن. وانظر: «جامع العلوم» (ص ٩٣).

رد التنازع إلى الله ورسوله

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] قَالَ: «الرَّدُّ إِلَى اللَّهِ: كِتَابُهُ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ إِذَا قُبِضَ: إِلَى سُنَّتِهِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا القول من ميمون بن مهران قول صحيح، اعتمده أهل العلم وقرروه، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو: الرد إليه في حياته - عليه الصلاة والسلام -، والرد إلى سنته بعد وفاته^(٢).

وهذه الآية تعتبر حكمًا وفيصلاً في الأمور التي يتنازع فيها الناس.

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٤٩/٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٦)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٢٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٢٢٧)، وابن حزم في «إحكام الأحكام» (٥١٢/٨) عن ميمون بن مهران.

(٢) انظر: «إعلام الموقعين» (٥٠/١).

فجميع الأمور التي يتنازع فيها الناس يجب عليهم أن يعرضوها على النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يردوها إليها، ومن ذلك أقوال العلماء والخلاف بينهم يُعرض على النصوص، فما وافق النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجب العمل به، وما خالف النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجب أطراحه وتركه.

✽ وهذه طريقة أهل الحق كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ثم جعل ذلك شرطاً في الإيمان: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وبيّن أن ﴿ذَلِكَ﴾ - الرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ - ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أي: وأحسن عاقبة.

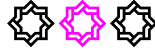
وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] فما اختلف فيه الناس حكمه مردود إلى الله، والسنة تابعة للقرآن، فيجب رد جميع ما يتنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمثلاً:

تنازع العلماء في وجوب الزكاة في الحلبي من الذهب التي تلبسه المرأة، قال بعض العلماء: ليس فيه زكاة، وقال آخرون: فيه زكاة^(١).

وهذه مسألة فيها خلاف، فردها إلى الكتاب، فنجد الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] والمرأة صاحبة الحلبي: صاحبة ذهب

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١٩٢/٢)، المدونة للإمام مالك (٣٠٥/١)، الأم للإمام الشافعي (٤٤/٢)، الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٢٥/٦).

وفضة، فتكون داخلة في الآية، فتجب الزكاة. وكذلك ما جاء في السنة: في قصة المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، قال: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار»^(١). وكذلك حديث أم سلمة أنها كانت تلبس أوصافًا من فضة فأرشدتها النبي ﷺ إلى وجوب الزكاة فيها^(٢). فالصواب القول بوجوب الزكاة في الحلبي، وانتهت المسألة لما رددناها للكتاب والسنة، وهكذا كل مسألة.



(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٥٨)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ١١٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٣٤٠) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وانظر: «نصب الراية» (٣٦٩/٢)، و«التلخيص الحبير» (١٧٥/٢)، و«عون المعبود» (٢٩٨/٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٤)، والدارقطني في «السنن» (١٠٥/٢)، والحاكم في «المستدرک» (١٤٣٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٠٢٦) من طريق ثابت بن عجلان، عن عطاء، عن أم سلمة. قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»^(١).

الشَّيْخُ

عكرمة هو مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال في قول الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] قال: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مقصود عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ: أن يُمثِّلَ لأولي الأمر؛ فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، ثم تولى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده، فهما من أولي الأمر، فيجب طاعتهما في طاعة الله ورسوله، وكذلك أولو الأمر بعدهما، فعثمان من أولي الأمر، وعليٌّ من أولي الأمر، ومعاوية من أولي الأمر وهكذا... إلى آخر الدنيا، كل ولي أمر يجب طاعته في طاعة الله، ولا يطاع أحد في المعاصي، عملاً بهذه الآية^(٢).

قال العلماء: كرر الفعل في ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر، قالوا: لأن الرسول ﷺ معصوم، لا يأمر إلا بطاعة الله؛ فلذلك أعاد الفعل في ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وأما ولي

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٤/١٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/٣٣٧) من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٣٥ - ١٦)، و«فتاوى ابن باز» (٤/٩١)، (٨/٢٠٣)، (٢٠٨).

الأمر فليس بمعصوم، فقد يأمر بمعصية الله، فلا يطاع إلا في طاعة الله.

فعكرمة رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يمثل لولاية الأمور، وليس المراد الحصر.
كما لو كان عندك أعجمي لا يعرف الخبز، ويسأل عن الخبز، فتأتي برغيف فتقول: هذا الخبز، يعني هذا مثال الخبز، وليس المراد أن هذا جميع الخبز، وإنما تعرفه بمثاله، فكذلك هنا.
وهذا فيه: الحث على اتباع السنة، والبعد عن الشبه والبدع، ومخالفة النصوص.



منزلة السنة من القرآن

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: (السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ قَاضِيًا عَلَى السُّنَّةِ))^(١).

الشيخ

هذا القول من يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ صحيح، اعتمده أهل العلم.

○ قوله: «السنة قاضية على كتاب الله»، أي: مفسرة ومبيّنة وموضحة لكتاب الله، فهي توضح المجمل وتبينه، وتخصص العام، وتقيد المطلق؛ كما فسّرت السنة أن الصلوات خمس في اليوم واليلة، وعدد الركعات في كل صلاة، وحددت وبينت الأوقات، وكما بينت السنة نُصِبَ الزكاة، واشترط الحول، وكما بينت السنة تفاصيل مناسك الحج. وهكذا.

○ قوله: «وليس الكتاب قاضيًا على السنة»، أي: ليس الكتاب مفسرًا للسنة، ولكن السنة هي القاضية على كتاب الله، بمعنى: أنها

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٥٨٧)، والهروري في «ذم الكلام» (٢١٩)، والمروزي في «السنة» (١٠٣) من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير قوله. وذكره السيوطي في «مفتاح الجنة» (ص ٣٥) من قول الأوزاعي وعزاه للبيهقي، ثم ذكره في (ص ٤٣) من قول يحيى بن أبي كثير على الصواب ونسبه للدارمي وسعيد بن منصور.

مفسّرة ومبيّنة له ^(١).

وفي هذا: بيان أنه يجب على المسلم أن يعمل بالكتاب
والسنة، ولا يتجاوزهما إلى البدع والآراء.



(١) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩١، ١٩٢)، و«الفقيه والمتفقه» (١/ ١٧٣)،
و«الكفاية» للخطيب (ص ٣٠).

السنة وحي من الله كالقرآن

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ: «كَانَ جِبْرِيلُ ﷺ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسُّنَّةِ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا، كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا الكلام صحيح، والمعنى: أن السنة وحي ثان^(٢)، وليست من عند النبي ﷺ، وقد دل على هذا القرآن الكريم، قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾ [النجم: ٣] يعني الرسول - عليه الصلاة والسلام - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٤-٦] وقال - عليه الصلاة والسلام -: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(٣) إذن فالسنة وحي من الله.

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٥٣٦)، والدارمي في «السنة» (٥٨٨)، والمروزي في «السنة» (١٠٢، ٤٠٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٢٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٩٩)، والخطيب في «الكفاية» (ص ١٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» باب: ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (٢٢٨) من طريق الأوزاعي، عن حسان بن عطية به. وصححه ابن حجر في «الفتح» (٢٩١/١٣).

(٢) انظر: «توضيح الأفكار» للصنعاني (٣١٩/٢)، و«التعاريف» للمناوي (ص ٢٧١)، و«قواعد التحديث» للقاسمي (ص ٦٤).

(٣) سبق تخريجه.

✽ السنة نوعان:

النوع الأول: لفظه ومعناه من الله وهو الحديث القدسي، كحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ...، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ...»^(١) إلى آخره.

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى، الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»^(٢) وكحديثه ﷺ أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ»^(٣).

فالحديث القدسي من الله لفظًا ومعنى كالقرآن، إلا أن له أحكامًا تختلف عن القرآن:

فالقرآن يتعبد بتلاوته، والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته.
والقرآن لا يمسسه إلا متوضئ، والحديث القدسي يمسسه غير المتوضئ.

والقرآن معجز بآلفاظه، والحديث القدسي غير معجز بآلفاظه.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في الرقائق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢).

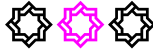
(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

النوع الثاني: سائر الأحاديث غير القدسية فهي من الله معنى، ومن الرسول ﷺ لفظًا، فالرسول هو الذي تكلم بها، ولهذا يضاف إلى النبي ﷺ، فقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١) هو من كلام الرسول ﷺ لفظًا، لكن معناه من الله، فهو وحي.

ولا تغتر بما يوجد في بعض الكتب: ككتب أصول التفسير، أو كتب علوم القرآن مما ينقل عن السيوطي، أو غيره من أن القرآن كلام الرسول؛ لأنه على مذهب الأشاعرة، فالأشاعرة ينكرون أن يكون كلام الله لفظًا ومعنى، بل وينكرون أن يكون القرآن كلام الله لفظًا ومعنى، ويقولون: كلام الله مطلقًا - سواء القرآن أو غير القرآن -: معنى قائم بنفسه، وليس بحرف ولا بصوت.

وهذا غلط، فالقرآن كلام الله: حروفه وألفاظه ومعانيه من الله^(٢)، وكذلك الحديث القدسي.

أما الحديث غير القدسي فهو من الله معنى، ومن الرسول لفظًا.



(١) أخرجه البخاري باب بدء الوحي، رقم (١)، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، رقم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ٣١٢، ٣١٥) و«درء التعارض» (٢/ ٨٣-٨٦)، و«نونية ابن القيم شرح ابن عيسى» (١/٢٢٤-٢٣٠).

وجوب التمسك بالسنة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

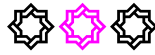
(وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] قَالَ: «لُزُومُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا سعيد بن جبير التابعي الجليل^(٢) يقول في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] لزوم السنة والجماعة.

ولا شك أن هذا من الهداية، فإن من عمل بالقرآن، ولزم السنة والجماعة فهو من المهتدين، أما من خالف السنة عن عمد، فهو ضال وليس من المهتدين.

وهذا فيه: الحث على لزوم السنة والجماعة، والتحذير من البدع والآراء المضلة، والمحدثات في الدين.



(١) أخرجه المؤلف في «الإبانة الكبرى» باب: ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله (٧٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٢) والهروي في «ذم الكلام» (٤٩٢) من طريق عبدالله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن سعيد بن جبير، به. وأورده ابن عدي في «الكامل» (٢٠٩/٤) ضمن أحاديث أنكرت على عبدالله بن خراش. وانظر: «ميزان الاعتدال» (٨٨/٤).

(٢) الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد - ويقال: أبو عبدالله - الأسدي، الوالبي مولاهم، الكوفي، أحد الأعلام روى عن: ابن عباس فأكثر وجود، من عباد المكيين وفقهاء التابعين قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين صبرا وله تسع وأربعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤)، طبقات ابن سعد (٢٦٧/٦).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

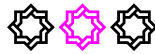
(حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: نَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّمَادِيِّ، قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] قَالَ: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ^(١).

النتيجة

هذا الأثر رواه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالسند^(٢)، وفي الآثار التي سبقت كلها حذف الإسناد.

يقول الراوي هنا: «حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ»، - وهو ابن بطة، والراوي: تلميذه - رواه المؤلف بسنده إلى قتادة بن دعامة السدوسي التابعي الجليل أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ فقال: من كلام الله، وهو القرآن. والحكمة، وهي السنة^(٣).

وهذا فيه: الحث على العمل بالقرآن والسنة، والتحذير مما خالفهما من الآراء والبدع والشبه والمحدثات في الدين.



(١) علقه البخاري في «الصحیح» عقب (٤٧٨٦) مجزوماً به فقال: وقال قتادة. ووصله عبدالرزاق في «التفسير» (١١٦/٣)، ومن طريقه المروزي في «السنة» (٣٩٧)، عن معمر، عن قتادة، به.

(٢) وهو في ابن بطة في «الإبانة الكبرى» باب: ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (٢٢٦).

(٣) انظر: «الرسالة» (ص ٧٨)، و«الفقيه والمتفقه» (١/٨٧، ٨٨)، و«مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٦)، (١٩/٨٢، ١٧٥).

أفضل السعادة حسن الرأي، يعني السنة

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَلَاءِ الْجَوْزَجَانِيُّ، قَالَ: نَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ الشَّيْخُ الصَّالِحُ، قَالَ: نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «أَفْضَلُ السَّعَادَةِ: حُسْنُ الرَّأْيِ، يَعْنِي: السُّنَّةُ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا أيضًا رواه المؤلف بالسند^(٢) إلى مُجَاهِدٍ - وهو ابن جبر التابعي الجليل، الذي يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما التفسير - قَالَ: «أَفْضَلُ السَّعَادَةِ حُسْنُ الرَّأْيِ، يَعْنِي: السُّنَّةُ»^(٣).

وهذا فيه: الحث على لزوم السنة، والعمل بها، والتحذير من البدع والمحدثات في الدين.

○ قوله: «أَفْضَلُ السَّعَادَةِ حُسْنُ الرَّأْيِ»، يعني: الاستنباطات والرأي المستند إلى النصوص. أما الرأي المجرد فهذا هو المذموم.

(١) أخرجه ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٩٣) من طرق عن الأعمش، عن مجاهد، به. والأعمش نص غير واحد على عدم سماعه من مجاهد. انظر: «جامع التحصيل» (٢٥٨).

(٢) وهو في «الإبانة الكبرى» باب: ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (٢٣١).

(٣) سبق تخريجه.

فالرأي رأيان:

الأول: الرأي المأخوذ والمستنبط من النصوص، وهذا هو الذي جاءت النصوص بالمدح والثناء على أهله.

الثاني: الرأي المجرد الذي يخالف النصوص، وهذا هو المذموم، وهو الذي جاءت النصوص والآثار بزمه^(١).



(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» (٣/٢٢٧).

ذم الجدل في الدين

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَعْيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ هُوَ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ، أَرَدْنَا أَنْ نَتْرَكَ مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ»)^(١).

الشَّيْخُ

وهذا أيضاً رواه بالسند^(٢).

○ قوله: (وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَعْيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ) ومالك بن أنس الإمام المشهور رَحِمَهُ اللَّهُ، إمام دار الهجرة يعيب الجدل في الدين؛ وأنه إنما يورث الخصومات والشبه والنزاع والشقاق؛ ولهذا قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ يعيب الجدل في الدين: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ هُوَ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ، أَرَدْنَا أَنْ نَتْرَكَ مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ»، فكلما جاء واحد يجادل ثم جاء رجل أجدل منه، أي: أقوى منه جدلاً وخصومة، نترك ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ من الكتاب والسنة، التي هي وحي ثان، ونأخذ بالآراء

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٩٣)، والهروي في «ذم الكلام» (٥٩٦)، (٥٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٤/٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٤٩٠) من طريق إسحاق بن عيسى، عن مالك، به.

(٢) وهو في «الإبانة الكبرى» باب: ذم المراء والخصومات في الدين (٥٨٣).

المضلة.

وهذه المقالة من الإمام مالك رحمته الله من باب العيب والإنكار،
وأنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ بالآراء المضلة التي تنشأ عن الجدل
والخصومات، ويترك الكتاب والسنة؛ لأن هذا يولد الشبه والشكوك
والبدع.



ذم البدع وأصحابها

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «مَا أَخَذَ رَجُلٌ بِبِدْعَةٍ، فَرَجَعَ سُنَّةً»^(١)).

الشيخ

هذا هو محمد بن سيرين التابعي المعروف الجليل^(٢) يقول: «ما أخذ رجل بدعة، فراجع سنة» يعني: أن الغالب على صاحب البدعة لا يرجع عنها، ولا ينزل؛ لأن صاحب البدعة يعتقد أنه على حق، فلا ينزع عن البدعة في الغالب، لكن قد يمن الله عليه بترك البدعة، وهؤلاء قليل.

وهذا فيه: التحذير من البدع؛ حتى لا تتمكن من نفس الإنسان؛ لأن الإنسان إذا اعتنق البدعة وتأثر بها واعتقدتها، فإنه يستمر عليها في الغالب.



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢٠٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٦٩) من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن ليث، عن أيوب، عن ابن سيرين، به.

(٢) الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وكان أبوه من سبي جرجاريا، تملكه أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، فوفاه، وعجل له. ولد لستين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦)، تاريخ دمشق (٥٣/ ١٧٣)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٣).



﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعَةً، إِلَّا أَتَى غَدًا بِمَا كَانَ يُنْكِرُهُ الْيَوْمَ».



هذا من عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام^(١).
فيه: التحذير من البدع.

○ قوله: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعَةً، إِلَّا أَتَى غَدًا بِمَا كَانَ يُنْكِرُهُ الْيَوْمَ» أي: أنه تتطور به البدع من بدعة إلى بدعة، تجده اليوم يأتي بدعة، ثم غداً يأتي بدعة أعظم منها، وينكر البدعة الأولى، ثم يأتي من الغد ببدعة أكبر. وهكذا تتطور البدع وتزيد، حتى ينسلخ الإنسان من الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن البدع والمعاصي يريد الكفر.

فالواجب: الحذر من البدع؛ حتى لا تزل بها القدم، ولزوم السنة والكتاب العزيز، فإن فيهما الكفاية، وإن الله قد تعبدنا بالعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ.



(١) الإمام، الرباني، أبو الحارث الأسدي، المدني، أحد العباد. سمع: أباه، وعمرو بن سليم.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٩/٥)، الطبقات الكبرى (١/١١٠).

ذم الهوى

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: «إِذَا غَلَبَ الْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ، اسْتَحْسَنَ الرَّجُلُ مَا كَانَ يَسْتَقْبِحُهُ»).

التنبيه

هذا عبدالله بن عون البصري رَحِمَهُ اللَّهُ^(١) يقول: أن الهوى يعمي الإنسان ويصم كما سبق: يعميه عن الحق فلا يبصره، ويصم عنه أذنه فلا يسمعه، ويبكمه فلا يتكلم به.

فإذا غلب الهوى على قلب الإنسان استحسن البدع واستحسن المعاصي، فقد يكون يستقبح البدعة اليوم، ولكن إذا غلب عليه الهوى صار ما يستقبحه أمس، يستحسنه اليوم، فصارت البدعة حسنة في نفسه، بعد أن كانت قبيحة؛ بسبب غلبة الهوى.

فالواجب: أن يكبح الإنسان جماح نفسه، وأن ينزع عن الهوى، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ

(١) عبدالله بن عون البصري أحد الأئمة سئل أحمد بن حنبل عنه هل سمع من أنس فقال قد رآه وأما سماع فلا أعلم.

انظر: جامع التحصيل ص: ٢١٥، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٣٠/٥).

الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ [النَّازِعَات: ٣٧-٤١] فلا بد أن ينهى نفسه عن الهوى؛ حتى لا يستحسن القبيح من البدع والمحدثات في الدين.





﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

﴿وَقَالَ الْفَضِيلُ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ مَسْتُورًا، حَتَّى يَرَى قَبِيحَهُ حَسَنًا»﴾.



الفضيل بن عياض العالم الزاهد المشهور^(١) يبين أنه إنما يرى العبد قبيحه حسناً إذا اتبع هواه، وترك ما دلت عليه النصوص، فينكشف أمره، ويظهر قبحه؛ بسبب استحسانه للقبيح من البدع والمحدثات في الدين. وأما قبل ذلك، فإنه مستور.



(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي، اليربوعي، الخراساني، المجاور بحرم الله. ولد: بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون، وكان ثقة ثبتاً فاضلاً عابدا ورعا كثير الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٢/٨)، الطبقات الكبرى (٥٠٠/٥)، وفيات الأعيان (٤٧/٤).

النهي عن الجدال في القرآن

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «أَيَّتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا أَشَدَّهُمَا عَلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦]»^(١).

الشيخ

لا يزال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يسوق الآثار والأحاديث في ذم أهل البدع والتحذير منهم، والأمر بلزوم السنة والجماعة، والتحذير من النزاع والخصام في القدر، وفي آيات الله.

هذا الأثر عن أبي العالية الرياحي رَحِمَهُ اللَّهُ من التابعين^(٢)، يحذر من الجدال بالباطل: «أَيَّتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا أَشَدَّهُمَا عَلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ». وهما قول الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ [غافر: ٤] من سورة غافر،

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (١٩٩).

(٢) الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤)، جامع التحصيل (١/١٧٥)، تاريخ دمشق (١٨/١٥٩).

والآية الثانية من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] فهاتان الآيتان تدلان على ذم الذين يجادلون في القرآن، وأن هذا وصف الكفار، فأهل البدع يشابهون الكفار في جدالهم في آيات الله بالباطل، في نوعي الجدل:

الأول: جدال في تنزيله، كأن يقول: هل هو كلام الله؟ هل هو منزل غير مخلوق، أم هو مخلوق؟

الثاني: جدال في تأويله، أي: في تأويله على غير تأويله، كأن يقول: ﴿أَسْتَوَى﴾ أنها بمعنى استولى!

والآية الثانية فيها ذم أيضاً للاختلاف في الكتاب، وأن المختلفين في شقاق بعيد ونزاع بينهم، وهذا الشقاق بعيد عن الحق. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]: اختلاف في تنزيله، واختلاف في تأويله، كتأويلهم صفة الرضا بالثواب، وصفة الغضب بالانتقام. وهكذا.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْدَرِ: «لَأَنْ يَكُونَ ابْنِي فَاسِقًا مِنَ الْفُسَاقِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ هَوًى»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْدَرِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْأَلْهَانِيِّ أَبُو عَدِي الْحَمَصِيِّ^(٢) يبين أن البدعة أشد من المعصية.

○ قوله: «لَأَنْ يَكُونَ ابْنِي فَاسِقًا مِنَ الْفُسَاقِ»: أي: يعمل كبيرة من كبائر الذنوب، والفسق يكون بـ: فعل الكبيرة والمداومة على الصغيرة.

والكبيرة أصح ما قيل في تعريفها: أنها كل ما ترتب عليه حدٌ في الدنيا أو وعيد في الآخرة: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على النفس في الأموال، والعدوان على النفس في الأعراض، هذه كلها كبائر من فعلها يكون فاسقاً^(٣).

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٨) من طريق الوليد بن شجاع، عن بقة بن الوليد، قال: قال لي أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْدَرِ، فذكره.

(٢) أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْدَرِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ ثَابِتِ الْأَلْهَانِيِّ السَّكُونِيِّ، أَبُو عَدِي الشَّامِيُّ الْحَمَصِيُّ من الطبقة السادسة من الذين عاصروا صغار التابعين الوفاة: ١٦٣ هـ، انظر: رواة التهذيبين (٢٨٣/١)، تاريخ دمشق (٨/٨)، مشاهير علماء الأمصار (٢٨٣/١).

(٣) انظر: «إحكام الأحكام» (٢٧٣/١)، و«نيل الأوطار» (١١١/١).

○ قوله: «أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ هَوًى»؛ أي: صاحب بدعة؛ وذلك أن البدعة أشد وأحب إلى الشيطان من الكبيرة؛ لأن صاحب الكبيرة يعلم أنه على باطل، ويعلم أنه عاصٍ، فيُرجى أن يتوب، أما صاحب البدعة فيعتقد أنه على حق وأنه مصيب، فلا يفكر في التوبة في الغالب، ومن هنا كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، وهي كذلك أقرب إلى الكفر.

وهذا فيه: تحذير من البدع، وأنها تلي الكفر في المرتبة، وأنها أشد من كبائر الذنوب، نسأل الله السلامة والعافية^(١).



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠٣/٢٠).

ذم الخصوم وأصحاب البدع

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ: «لَأَنْ أَجْلِسَ إِلَى النَّصَارَى فِي بَيْعِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجُلُوسِ فِي حَلْقَةٍ يَتَخَاصَمُ فِيهَا النَّاسُ فِي دِينِهِمْ»﴾.

النتيجة

أبو إسحاق الفزاري هو إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري؛ ثقة حافظ، له تصانيف^(١).

○ قوله: «لَأَنْ أَجْلِسَ إِلَى النَّصَارَى فِي بَيْعِهِمْ»: البيع: جمع بيعة، والبيعة هي: معبد النصارى، ومثلها الكنيسة، وتطلق أيضاً على: معبد اليهود.

○ قوله: «أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجُلُوسِ فِي حَلْقَةٍ يَتَخَاصَمُ فِيهَا النَّاسُ فِي دِينِهِمْ»؛ لأن الجلوس في بيعة النصارى معصية، والجلوس في حلقة يتخاصم فيها الناس في دينهم تورث الشكوك والشبه، وتؤدي

(١) أبو إسحاق الفزاري واسمه: إبراهيم بن محمد الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وكان ثقة، فاضلاً، صاحب سنة وغزو، كثير الخطأ في حديثه، ومات بالمصيصة سنة ثمان وثمانين ومائة، في خلافة هارون.

انظر: الطبقات الكبرى (٧/٤٨٨)، التاريخ الكبير للبخاري (١/٣٢١)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/٢٨١).

إلى البدع، وهذا أشد؛ فالشكوك والشبه التي تورث البدع أشد وأعظم من المعصية؛ ولهذا فضل أبو إسحاق الفزاري الجلوس في بيعة النصارى؛ لأن العاصي يرجى أن يتوب بخلاف صاحب البدعة؛ فإنه في الغالب لا يتوب لأنه يعتقد أنه على حق.



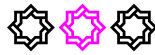


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «لَأَنْ يَضْحَبَ ابْنِي فَاسِقًا شَاطِرًا سُنِّيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَضْحَبَ عَابِدًا مُبْتَدِعًا»)^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «لَأَنْ يَضْحَبَ ابْنِي فَاسِقًا شَاطِرًا سُنِّيًّا»: يعني: خبيثًا بسبب أعماله السيئة؛ كأن يكون سَكِيرًا يشرب الخمر، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يتعامل بالربا، فهذا كله فسق، ولكن فاعله سني ليس بمبتدع؛ ولذلك قال: «أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَضْحَبَ عَابِدًا مُبْتَدِعًا»؛ لأن العابد المبتدع على ضلال ولو كان عابداً، وبدعته أحب إلى الشيطان من المعصية، وهي تلي الكفر، وهو يعتقد أنه على حق، فلا يفكر أن يتوب، فلهذا فضلها سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذا فيه: دليل على التحذير من البدع، وأن البدع أشد من كبائر الذنوب.



(١) تقدم بنحوه عن أرطاة بن المنذر قريباً.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقِيلَ لِمَالِكِ بْنِ مِغُولٍ: رَأَيْنَا ابْنَكَ يَلْعَبُ بِالطَّيُورِ، فَقَالَ:
«حَبَّذَا إِنَّ شَغْلَتَهُ عَنْ صُحْبَةِ مُبْتَدِعٍ»).

الشَّيْخُ

مالك بن مغول الكوفي رَحِمَهُ اللَّهُ يبين: أن اللعب بالطيور - واللعب كذلك بالشطرنج وغيره - معصية، فإذا اشتغل بالمعصية عن صحبة المبتدع فهذا أهون وأسهل، فأحياناً يكون بعض الشر أهون من بعضه، فكونه يشتغل بالمعصية أولى من كونه يشتغل بصحبة المبتدع؛ لأن صحبة المبتدع تورثه البدع؛ فقد يعتقد ما يعتقد المبتدع فيصير مبتدعاً، والبدعة أشد من الكبيرة؛ ولهذا فضل مالك بن مغول أن يشتغل ابنه بالمعصية عن البدعة. وكل هذه الآثار من العلماء - رحمهم الله - تُبين أن البدعة أشد من المعصية.

وفيها: التحذير من البدع؛ لأنها تلي الكفر؛ ولأن أصحاب البدع لا يعتقدون أنهم على باطل فلا يتوبون، بخلاف أصحاب الكبائر؛ لأنهم يعلمون أنهم عصاة فيرجى أن يتوبوا.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: «مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الشَّابِّ وَالْأَعْجَمِيِّ إِذَا تَنَسَّكَ أَنْ يُوفَّقَا لِصَاحِبِ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُمَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الشَّابَّ وَالْأَعْجَمِيَّ يَأْخُذُ فِيهِمَا مَا سَبَقَ إِلَيْهِمَا»^(١)).

الْتِمَاحُ

ابن شوذب هو أبو عبدالرحمن الخراساني رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

○ قوله: «مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الشَّابِّ وَالْأَعْجَمِيِّ إِذَا تَنَسَّكَ»: يعني: تعبداً وصاراً صاحبي نسك وعبادة.

○ قوله: «أَنْ يُوفَّقَا لِصَاحِبِ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُمَا عَلَيْهَا»، يعني: يحثهما على السنة. فمن نعمة الله على الشاب أن يوفق لصاحب سُنَّةٍ يحمله على السنة وَيُنْشِئُهُ عَلَيْهَا. وكذلك من نعمة الله على الأعجمي إذا أسلم وتعبداً أن يوفق لصاحب سنة ينشئه عليها.

لأن الشاب والأعجمي يأخذان ما سبق إليه؛ إن سبقت إليه البدعة أخذ بها، وإن سبقت إليه السنة أخذ بها؛ لأن الشاب يتأثر،

(١) أخرجه المصنف في «الإبانة الكبرى» (٤٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٠)،

(٣١)، وابن الجوزي في «تلبس إبليس» (ص ١٧) من طرق عن ابن شوذب، بنحوه.

(٢) ابن شوذب عبدالله بن عمر بن أحمد بن علي المقرئ، المحدث، أبو محمد عبد الله بن عمر بن أحمد بن علي بن شوذب الواسطي. ولد سنة تسع وأربعين. قال أبو بكر أحمد بن بيري: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله منه.

وقال: توفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة في ربيع الآخر..

انظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٦/١٥)، تاريخ دمشق (١٦٤/٢٩).

بخلاف الشيخ فإنه لا يتأثر في الغالب، إن كان على حق استمر على الحق، وإن كان على باطل استمر على الباطل؛ ولهذا تجد دعاة الضلال والنصارى يركزون على الشباب ويأسون من الشيوخ؛ لأن الشباب يتغيرون ويتأثرون، وينجحون في أن يورثوا في قلوبهم الشُّبُه. وهذا من ابن شوذب رحمته الله فيه بيان أن البدعة أشد من المعصية، وأن المعصية - ولو كانت كبيرة - أسهل من البدعة، فهذا فيه التحذير من البدع.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ عُمَرُو بْنُ قَيْسٍ الْمَلَائِيُّ : «إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ
مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَارْجُهُ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ فَأَيَّاسُ
مِنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة - أيضاً - لعمر بن القيس الملائي (أبو عبدالله)^(٢) فيها بيان عظم شأن البدعة، وأنها أشد من الكبيرة.

○ قوله: «إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ فَارْجُهُ»؛ أي: يُرجى له الخير، أما إذا رأيت الشاب مع
أهل البدع فأَيَّاسُ منه؛ فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ؛ إذا نشأ على
معتقد أهل السنة والجماعة نشأ عليه، فإذا نشأ على معتقد أهل البدع
نشأ عليه، هذا هو الأغلب، وإلا فقد يوفق الله الإنسان - ولو كان
من أهل البدع - لمعتقد أهل السنة والجماعة.

وهذا فيه: التحذير من البدع.

وفيه: أنه ينبغي على طالب العلم أن يحرص على معتقد أهل

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٥) عن عمرو بن قيس، به.

(٢) عمرو بن قيس الكوفي الملائي البزاز، الحافظ، من أولياء الله. حدث عن: عكرمة،
والحكم بن عتيبة... وليس هو بالمكثر. حدث عنه: سفيان الثوري - وصحبه زمانا -
وأبو خالد الأحمر،... قال أبو زرعة: ثقة، مأمون. وذكره الثوري، فأثنى عليه.
انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٠).

السنة والجماعة، وأن يعرض عليه بالنواجذ، وأن يحمده الله على أن وُفق لأن ينشأ على معتقد أهل السنة والجماعة.

ولهذا تجد علماء كباراً فطاحل لم يوفقوا لمشايخ ينشئونهم على معتقد أهل السنة والجماعة، مع كونهم علماء كباراً خدموا الإسلام مثل: الحافظ ابن حجر رحمته الله شارح «صحيح البخاري»، فهو عالم كبير حافظ، له اليد الطولى في علوم الحديث، ومع ذلك تجده يؤول الصفات على معتقد الأشاعرة؛ يؤول الغضب - مثلاً - بالانتقام^(١)، ويؤول الرضا بالثواب^(٢)، وهذا لأنه لم يوفق لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة، فخرجوا أن يغفر الله له هذه الزلات في بحر حسناته الكثيرة.

وكذلك الإمام النووي رحمته الله العالم الجليل، له تصانيف عظيمة مثل «رياض الصالحين»؛ هذا الكتاب العظيم الذي قل أن يوجد مسجد أو بيت إلا هو فيه، ومع ذلك تجده يؤول الصفات على معتقد الأشاعرة^(٣)؛ لأنه ما وفق من لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة.

وإذا قرأت - أحياناً - في الشروح؛ مثل «فتح الباري» لابن حجر، تجده في بعض الصفات ينقل لك نقولاً كثيرة عن علماء كبار فطاحل كلهم يؤولون الصفات، ولا يصلون إلى مذهب أهل السنة والجماعة^(٤).

(١) انظر: «فتح الباري» (٢٩٢/٦)، (٤٤١/١١)، (٤٤١، ٣٨٥/١٣).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٤٠٤/١١).

(٣) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢٠ - ١٩/٣) عند كلامه على الحديث رقم (٢٦٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١٣٥/١)، (٦٦٤/٨)، (٤٥١/١١)، (٤٢٨/١٣).

وتجد أيضا الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح صحيح مسلم»^(١) إذا تعرض للصفات كما في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ تجده يقول: للناس مذهبان؛ مذهب للسلف، ومذهب للخلف، فمذهب السلف لا يتكلم في الصفات، ويفوضها إلى الله، ومذهب الخلف يتأولها^(٢).

وكل من المذهبيين ما وصل لمذهب أهل السنة؛ لأنه رَحِمَهُ اللهُ جعل السلف مفوضة؛ أي: يفوضون المعني، وهذا خطأ، ومذهب الخلف مذهب المؤولة؛ إذن لم يصل كلا المذهبيين الذين ذكرهما إلى مذهب أهل السنة والجماعة؛ والسبب أنهم لم يُوفَّقوا لمن ينشئهم على معتقد أهل السنة والجماعة، بل نشأهم مشايخهم على هذا، وظنوا أن هذا هو الحق، وأن هذا فيه تنزيه الله ﷻ.

فهذا يؤيد ما ذكره أهل العلم من أن من نعمة الله على العبد أن ينشأ على معتقد أهل السنة والجماعة؛ فإذا رأى أن هؤلاء العلماء الكبار الفطاحل أولوا الصفات، ولم يتبين لهم معتقد أهل السنة والجماعة الذي درج عليه الصحابة، والتابعون، والأئمة الأربعة، وغيرهم، وقرره العلماء، يخاف على نفسه، ويعض بالنواجذ على معتقد أهل السنة والجماعة.

فإذا زل هؤلاء العلماء الكبار فأنت حري أن تزل؛ وهذا يجعل الشاب وطالب العلم يحرص على معتقد أهل السنة والجماعة ويعض عليه بالنواجذ، ويحمد الله أن وُفِّق لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٤٨/١٣).

(٢) انظر: كلامه على حديث: «إن الله خلق آدم على صورته» (١٦/١٦٥ - ١٦٦).

وقد نشر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ والعلامة ابن القيم مذهب أهل السنة والجماعة بعد أن دُفِنَ، ومن هذه الكتب العظيمة التي ألفها أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

١- رسالة: «العقيدة الواسطية»؛ فهي رسالة عظيمة حوت عقيدة عظيمة تكتب بماء الذهب ينبغي لطالب العلم أن يحفظها. وهي كلمات معدودة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات، وفي الأسماء، وفي الأحكام، وفي الصحابة؛ كتبها بعد العصر في جلسة واحدة جواباً عن سؤال من بلدة اسمها «واسط» في العراق؛ فسميت «الواسطية»^(١).

٢- رسالة «الفتوى الحموية الكبرى»؛ رسالة عظيمة في الصفات وفي العلو كتبها رَحِمَهُ اللهُ جواباً لسؤال من بلدة «حماة».

٣- رسالة «التدمرية»؛ جاءت جواباً لسؤال من بلدة «تدمر».

كل هذه رسائل عظيمة أيقظت الأمة من وحل البدع والضلالات، وأحيت الأمة على دين نبيها على الأمر الأول؛ على أمر الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/١٦٤): «كان سبب كتابتها أنه قدم علي من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له: رضى الدين الواسطى من أصحاب الشافعي، قدم علينا حاجاً، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فألح في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما».

ومن العلماء الذين أظهروا مذهب أهل السنة: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وأئمة الدعوة كلهم نشروا مذهب أهل السنة والجماعة، وبينوه في رسائلهم ومكاتباتهم ودروسهم، وصارت مدرستهم امتداداً لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمة الله على الجميع.

هذه نعمة عظيمة من الله بها علينا في هذه الأزمنة المتأخرة؛ أن نُشر مذهب أهل السنة والجماعة، وصار القرن الثاني عشر والثالث عشر في زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود - رحمهما الله -، صار زمانهم يُضم إلى زمان الصحابة والتابعين لشدة تمسكهم بالحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وشدة غيرتهم على دين الله، ونشرهم لمعتقد أهل السنة والجماعة.

ولا نزال نتفياً ظلال هذا البيان والإيضاح، وظلال هذه الدعوة السلفية التي وفق الله لها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها، فله الحمد على هذه النعمة العظيمة في آخر الأزمنة.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

﴿وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ: «إِنَّ الشَّابَّ لَيُنْشَأُ؛ فَإِنْ أَثَرَ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعِلْمِ كَادَ يَسْلَمُ، وَإِنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِمْ كَادَ يَعْطَبُ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

هذا الأثر - أيضاً - كسابقه؛ فكل العلماء تواطأت نصوصهم على التحذير من البدع، وأن البدع أشد من المعصية؛ ولهذا قال عمرو بن قيس: «إِنَّ الشَّابَّ لَيُنْشَأُ؛ فَإِنْ أَثَرَ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعِلْمِ» من أهل السنة والجماعة «كَادَ يَسْلَمُ»، «وَإِنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِمْ» من أهل البدع «كَادَ يَعْطَبُ» يعني: يهلك بالبدع.



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» عن عمرو بن قيس، به.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: قَالَ لِي يُونُسُ: «يَا حَمَادُ، إِنِّي لَأَرَى الشَّابَّ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مُنْكَرَةٍ فَلَا أَيْأَسُ مِنْ خَيْرِهِ، حَتَّى أَرَاهُ يُصَاحِبُ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَعِنْدَهَا أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ عَطَبَ»).

الشَّيْخُ

هذا النص - أيضاً - لحمام بن زيد بن درهم الأزدي؛ أبو إسماعيل البصري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ الفقيه المحدث المشهور^(١)، يقول: «قَالَ لِي يُونُسُ»: أي: ابن عبيد بن دينار العبدي^(٢).

○ قوله: «فَلَا أَيْأَسُ مِنْ خَيْرِهِ»؛ لأن الشاب العاصي قد يوفق للتوبة، لأنه يعلم ويعتقد أنه على باطل، ولو كان قد عمل المعصية، فسرعان ما يتوب إن وفقه الله.

○ قوله: «حَتَّى أَرَاهُ يُصَاحِبُ صَاحِبَ بَدْعَةٍ» أي: إذا رأيته يصاحب صاحب بدعة فعندها «أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ عَطَبَ» يعني: هلك؛ لأن صاحب البدعة يعتقد أنه على حق فلا يفكر في التوبة، وهذا يفيد: أن البدعة أشد من المعصية.

(١) حماد بن زيد بن درهم أبو إسماعيل الأزرق الجهضمي البصري الضرير، مولى آل جرير بن حازم. وكان حافظاً ثقةً ثبتاً فقيهاً عابداً. ولد سنة ثمان وتسعين وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة.

انظر: الطبقات الكبرى (٧/٢١٠)، تهذيب الكمال (٧/٢٣٩)، سير أعلام النبلاء (٧/٤٥٦).

(٢) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل، مات سنة ١٣٩. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٨٨)، الأعلام للزركلي (٨/٢٦٢).



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْحَسَنُ: «مَا أَزْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ عِبَادَةً إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا»^(١)).

❖ الشَّيْخ

○ قوله: «مَا أَزْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ عِبَادَةً إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا»؛ لأن عبادته ليست موافقة للشرع، وهي تقدر في شهادة أن محمداً رسول الله.

❖ العباداة لا تصح إلا بشرطين:

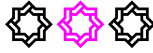
الشرط الأول: أن تكون هذه العباداة خالصة لوجه الله، فإن لم تكن خالصة لله دخلها الشرك.

الشرط الثاني: أن تكون موافقة للشرع وللسنة، فإن لم تكن موافقة للسنة دخلتها البدعة.

وإذا تعبد الإنسان بالبدعة ازداد من الله بُعداً؛ لأن بدعته مخالفة للشرع، وللهدي النبي ﷺ؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا -

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٤٧٧)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٦٥) عن الحسن، به. وذكره الشاطبي في «الاعتصام» (ص ٦٠٠) عن الحسن وعزاه لابن وضاح. كما أنه عزاه الأثر نفسه لابن وهب من قول أيوب السخيتاني بنحوه، وكذا هو أيضاً عند ابن وضاح (٦٦).

يعني: الدين - مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ - يعني: مردود عليه -^(١) .
وفي لفظ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)
أي: مردود على صاحبه لأنه يتعبد بالبدع^(٣) .



(١) أخرجه البخاري كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم في الحدود (١٧١٨) وعلقه البخاري قبيل (٢١٤٢، ٧٣٥١).

(٣) انظر: «الاعتصام» (١٠٨/١ - ١١٢)، و«الصارم المسلول» (١١٤/٢)، و«شرح مسلم» للنووي (١٥٩/٧)، و«موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع» (٢٨٠/١).



❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: «الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ الْهَوَى يَتَّصِلُ جَهْدُهُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ»).

❦ الشَّيْخ ❦

○ قوله: «يَتَّصِلُ جَهْدُهُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ»؛ يعني: مع البدعة؛ لأن عبادته ليست موافقة للشرع، فيتصل جهده وعمله بعذاب الآخرة؛ لأنه متوَعَّد وإن كان يتعب؛ إلا أن تعبهُ معصية، ولهذا قال ابن عون: «يَتَّصِلُ جَهْدُهُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ»؛ لكونه على غير الشرع.

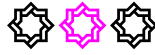


﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «قَالَ إِبْلِيسُ لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيْنَ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟ فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ بَابٍ، قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْإِسْتِغْفَارِ؟ قَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لَا نَطِيقُهُ، إِنَّهُمْ لَمُقَرَّرُونَ بِالتَّوْحِيدِ، قَالَ: لَا تَيْنَهُمْ مِنْ بَابٍ لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهُ، قَالَ: فَتَبَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا المقال للأوزاعي - إمام أهل الشام المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) - يبين أن الأهواء والبدع يحبها الشيطان، ويثبها في الناس، وأن إبليس قال لأوليائه: «مِنْ أَيْنَ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟ فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ بَابٍ...» الحديث. وفيه: أن من يفعل البدعة لا يستغفر الله، لأنه لا يظن أنه عاصٍ، بخلاف الذي يفعل الكبيرة؛ فيزني أو يسرق أو يشرب الخمر، فإنه يستغفر ويتوب؛ لأنه يعلم أنه على باطل، وأنه على معصية.



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٣٠٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٣٦)، والهروي في «ذم الكلام» (٩٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٥٤) من طرق عن الأوزاعي، بنحوه.

(٢) أبو عمرو الأوزاعي. واسمه عبدالرحمن بن عمرو. والأوزاع بطن من همدان و. هو من أنفسهم. ولد سنة ثمان وثمانين. وكان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيراً كثير الحديث والعلم والفقه حجة كان يسكن بيروت. وبها مات سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٣٣٩/٧)، تاريخ دمشق (١٥١/٣٥)، سير أعلام النبلاء (٥٥٥/٦).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَنبَسَةَ^(١)): «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا غُلَّ صَدْرُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاخْتَلَجَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ»^(٢)).



○ قوله: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا غُلَّ صَدْرُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»؛ أي: صار في صدره حقد على المسلمين.

○ قوله: «وَاخْتَلَجَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ» يعني: ذهب.

وهذا فيه: التحذير من البدع، وأن المبتدع لا بد أن يكون في قلبه حقد على أهل السنة والجماعة؛ لأنه مخالف لهم.

فأهل السنة والجماعة: ينكرون عليه بدعته، وهو ينكر عليهم لزوم السنة؛ فيكون في قلبه حقد عليهم، وبالتالي تفقد منه الأمانة، وتخرج الأمانة من صدره.



(١) الصواب: «عنبة بن سعيد» كما في مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/٤٧)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/٣٣٠).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا سُلِبَ وَرَعُهُ»^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «مَا ابْتَدَعَ...» المعنى: إلا أخذ منه الورع، فلا يكون ورعاً؛ لأنه مقيم على البدعة التي هي أشد من الكبائر؟
فمثلاً: الذي يشرب الخمر، ويسرق، ويشهد زوراً، ويتعامل بالربا، هذا لا يقال له: ورع؛ لأنه عاصٍ، لا يتورع عن أكل المال الحرام بالسرقة أو بالربا؛ فمن باب أولى الذي يفعل البدعة أشد بعداً أن يكون ورعاً؛ لأن معصيته أشد من معصية فاعل الكبيرة.



(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/٤٧) عن الأوزاعي، به.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿ وَقَالَ الْحَسَنُ : « مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا تَبَرَّأَ الْإِيمَانُ مِنْهُ » .

﴿ الشَّيْخُ ﴿

المراد من ذلك : الإيمان الكامل ؛ فيكون إيمانه ضعيفاً وناقصاً ،
إلا إذا كانت هذه البدعة توصل إلى الكفر ؛ فإنه يسلب منه أصل
الإيمان - والعياذ بالله - .





﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ الْحَيَاءَ وَرَكَّبَ فِيهِ الْجَفَاءَ».



الشَّيْخُ

○ قوله: «أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ الْحَيَاءَ»؛ أي: صار لا يبالي.

فإذا كان العاصي الذي يفعل الزنا والسرقة منزوعاً منه الحياء، فالمبتدع أشد نزعاً للحياء؛ لأن بدعته أعظم، لأنه تجرأ على ارتكاب البدعة، وترك السنة، فلا شك أن الله - تعالى - يأخذ منه الحياء.

○ قوله: «وَرَكَّبَ فِيهِ الْجَفَاءَ»؛ لأنه يكون جافياً بسبب جفائه للسنة وتركه لها - نسأل الله العافية -.



وجوب الاتباع وحرمة الابتداع

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حَاضِرٍ الْأَزْدِيُّ: «دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْتُ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لعثمان بن حاضر الأزدي، يروي أنه دخل على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ... الحديث.

○ قوله: «عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ»: أي: استقم على السنة والدين فاتبع القرآن والسنة.

○ قوله: «اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»: تحذير له من البدعة، فلما أمره بلزوم الاستقامة على الدين إجمالاً، فَصَّلَ فقال: «اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»: أي: اتبع ما جاءت به النصوص، ولا تكن من أهل البدع.



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٣٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٤، ١٦٥)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٢٤)، وابن وضاح في «البدع» (٦٠) عن عثمان بن حاضر، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، به.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفَيْتُمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر ثابت عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مشهور عنه، وقد تناقله أهل العلم واحتجوا به.

○ قوله: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا» أي: اتبعوا ما جاء في الكتاب والسنة.

○ قوله: «فَقَدْ كُفَيْتُمْ» أي: كفاكم الله، وكفاكم رسوله ﷺ فأغناكم الله عن البدع بما شرع لكم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

○ قوله: «إِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، هذا جاء معناه في الحديث الصحيح: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢)،

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢٠٥)، وابن أبي خيثمة في «العلم» (٥٤)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٤٧)، والمروزي في «السنة» (٧٨)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤/٩ رقم ٨٧٧٠)، والبيهقي في «المدخل» (٢٠٤) من طرق عن ابن مسعود، بنحوه. قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨١): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح». وانظر: «كشف الخفاء» (٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب، تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧) من جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»، واللفظ الذي في الشرح عند أبي داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند ابن ماجه (٤٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وزاد النسائي: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

○ قوله: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ»؛ أي: كل محدثة في الدين، والمحدث في الدين هو: ما أحدث في دين الله وفي شرعه مما لم يشرع في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، فهذا بدعة، والبدعة ضلالة. وهذا فيه: تحذير من البدع، وأن صاحبه متوعد بالنار.



(١) أخرجه النسائي في صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨)، وصححه ابن خزيمة (١٧٨٥). وقال أبو نعيم في «الحلية» (٣/١٨٩): «هذا حديث صحيح ثابت».



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: «لَا تُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي حَدَّثَكُمْ عَلَى السُّنَّةِ».



○ قوله: «لَا تُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ»؛ أي: لا تخبر بكل ما تسمع؛ لأن الإنسان يسمع الطيب، ويسمع الخبيث، ويسمع كلاماً لا يليق؛ فلا يحدث بكل ما يسمع، وإنما يختار وينظر، فإذا كان الذي سمعه خيراً حَدَّثَ به، وإن كان شراً لم يحدث به؛ لهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).

لأن الإنسان إذا حدث بكل ما سمع أثم فقد يسمع الزور ويحدث به، وقد يسمع الباطل ويحدث به، وقد يسمع الكفر من كافر ويحدث به، وهذا غير جائز؛ بل عليه أن ينكر ذلك ولا يحدث به.

ولهذا قال طلحة بن مصرف: «إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي حَدَّثَكُمْ عَلَى السُّنَّةِ»؛ أي: فحدث به؛ لأنه خير.



(١) أخرجه مسلم في المقدمة (٥/٥)، وأبو داود (٤٩٩٢) - واللفظ له - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه ابن حبان (٣٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣٨١).

ذم البدع وأصحابها

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وَقَالَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ: «لَأَنْ أَرَى فِي الْمَسْجِدِ نَارًا تَضْطَرُّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى فِيهِ بِدْعَةً لَا تُغَيَّرُ»)^(١):

الشَّيْخُ

هذه المقالة لأبي إدريس الخولاني عائد بن عبدالله الدمشقي عالم أهل الشام^(٢).

○ قوله: «لَأَنْ أَرَى فِي الْمَسْجِدِ نَارًا تَضْطَرُّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى فِيهِ بِدْعَةً لَا تُغَيَّرُ»؛ لأن النار التي في المسجد تضطرم يمكن إطفائها، ولا يضر إذا أكلت شيئاً من المسجد أو من جانب المسجد؛ لإمكان إصلاحه، هو نقص دنيوي، لكن المصيبة في البدعة التي لا تغير؛ فهي نقص في الدين يُضر بالعقائد.

(١) أخرجه المروزي في «السنة» (٩٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٦٠١)، وابن وضاح في «البدع» (٨٥، ٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨٦/٢٦) من طرق عن أبي إدريس، به.

(٢) أبو إدريس واسمه: عايد الله بن عبدالله، ويقال عبد الله بن إدريس بن عائد بن عبدالله بن عتبة بن غيلان بن مكين، أبو إدريس الخولاني قاضي دمشق في أيام عبدالملك بن مروان، ولد عام حنين في حياة رسول الله ﷺ. انظر: الطبقات الكبرى (٣١٢/٧)، تاريخ دمشق (١٣٧/٢٦)، سير أعلام النبلاء (١٥٦/٥).

والإنسان يثاب على المصيبة التي حصلت في دنياه كما قال -
 تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
 وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]؛ بخلاف مصيبة الدين؛
 ولهذا فضل أبو إدريس الخولاني - عالم الشام - المصيبة الدنيوية
 على المصيبة الدينية.





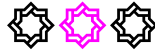
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

﴿ وَقَالَ عَطَاءٌ: «مَا يَكَادُ اللَّهُ يَأْذُنُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا ليس بحديث وإنما هو من كلام عطاء^(٢).

○ قوله: «وَقَالَ عَطَاءٌ: «مَا يَكَادُ اللَّهُ يَأْذُنُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ»؛ أي: في الغالب أن صاحب البدعة لا يتوب؛ لأنه يعتقد أنه على الحق، وقد يُوفَّق للتوبة - هذا معتقد أهل السنة والجماعة -، وكم من مبتدع من الله عليه بالتوبة، لكن المراد: الأغلب؛ ولهذا قال: «مَا يَكَادُ»؛ أي: ما يقرب في الغالب^(٣).



(١) أخرجه اللاكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٨/٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١١٢/٢٠) عن عطاء، به.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢١٠)، عن ابن عباس مرفوعاً. وحديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه (٥٠)، والهيروي في «ذم الكلام» (٤٦٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢١٠)، من طريق أبي زيد، عن أبي المغيرة، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته». قال في «الزوائد»: «هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون، قاله الذهبي في «الكاشف»، وقال أبو زرعة: «لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/١٠)، (٦٨٤/١١)، و«الاعتصام» (٢٧٠/٢ - ٢٧٤)، و«موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع» (٣١٣/١).

التحذير من التسمي بالأسماء المحدثّة

❏ قال المؤلف رحمه الله:

(وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ أَقَرَّ بِاسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُحْدَثَةِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(١)).

الشرح

هذه المقالة عن ابن عباس رضي الله عنهما تحذير من البدع.

○ قوله: «مَنْ أَقَرَّ بِاسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُحْدَثَةِ»؛ أي: من أقرها ولم ينكرها، ورضي بها، فإنه يكون مبتدعاً؛ لأن الراضي كالفاعل؛ فالذي يرضى بالبدع ويقر بها له حكم أهلها، كما أن الذي يقر بالمعاصي له حكم أهلها، والذي يقر بالكفر له حكم أهل الكفر، فإذا رضي الإنسان بالكفر وأقر أهل الكفر صار كافرًا مثلهم بمجرد الرضا ولو لم يفعل الكفر.

فمثلاً: إذا جلس الإنسان في مجلس فيه صاحب بدعة، وهو يظهر بدعته، وسكت الجالس ولم ينكر، ولم يقم وهو يستطيع؛ فهو مبتدع مثله.

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٤٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٣١) من طريق نوح بن أبي مريم، عن يزيد بن زياد، عن أبي العالقة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. وفي إسناده نوح بن أبي مريم، وهو متهم بالكذب. [تهذيب الكمال (٥٦/٣٠)، الكاشف (٣٢٧/٢)، تهذيب التهذيب (٤٣٣/١٠)، التقريب ٧٢١٠].

والواجب عليه: إما ينكر البدعة أو يقوم؛ قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠].





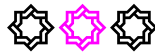
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: «إِيَّاكُمْ وَكُلَّ اسْمٍ يُسَمَّى بِغَيْرِ
الإِسْلَامِ»^(١).



○ قوله: «إِيَّاكُمْ وَكُلَّ اسْمٍ يُسَمَّى بِغَيْرِ الإِسْلَامِ».

سبب ذلك: أن كل اسم يسمى بغير الإسلام - أي تجاوز
الإسلام، وصار حدثاً في دين الله - فهو مُبْتَدَع؛ وقد قال - عليه
الصلاة والسلام -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).
وهذا أيضاً فيه: تحذير من البدع.



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (٢١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٢/٤) من طريق جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران بلفظ الضمير للمخاطب المفرد.

(٢) أخرجه البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في الحدود، باب نقض الحكام الباطلة، رقم (١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

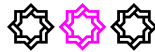
(وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ»)^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة من الإمام الجليل مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ فيها تحذير من البدع، وأن البدع لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لكنها حدثت في زمن الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنشأت الخوارج وابتدعوا البدع، ونشأت السبئية الذين ألَّهوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا: أنت الإله، فَخَدَّ لَهُمُ أَخْدُودًا - أي: حفر في الأرض حفرًا - وأضرَمَها نارًا، وألقاهم فيها لما لم يرجعوا عن كفرهم، وقال لمولاه قنبر:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَبْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا^(٢)
فبذلك نشأت البدع في آواخر عهد الصحابة.

ففيه: التحذير من البدع، وأنها ليست في العصور الأولى.



(١) أخرجه ابن المستفاض في «القدر» (٣٨٧)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٧٨) من طريق ابن مهدي، عن مالك، به.

(٢) قصة حرق عليٍّ لهم أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣١٨/٥)، وكذا ذكرها الجوزجاني في «أحوال الرجال» (ص ٣٨) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

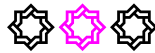
﴿وَقَالَ مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ: «إِذَا تَسَمَّى الرَّجُلُ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ
فَأَلْحَقَهُ بِأَيِّ دِينٍ شِئْتَ»﴾.

الشَّيْخُ

○ قوله: «إِذَا تَسَمَّى الرَّجُلُ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ» معناه: خرج
عن الإسلام، وخرج عن السنة، فألحقه بأي دين شئت، فإن شئت
فقل: إنه على دين المشركين، أو على دين النصارى، أو على دين
اليهود، أو على دين المجوس، فالكفر ملة واحدة، وكل ما كان
على خلاف دين الإسلام فهو كفر وباطل.

والكُفْرَةُ وإن كانت لهم ملل متعددة إلا أنهم يجمعهم شيء
واحد، وهو أنهم مخلدون في النار - نعوذ بالله ونسأله السلامة
والعافية -

وهذا فيه: تحذير من البدع؛ لأنها قد تُخرج الإنسان من
الإسلام إذا كانت مُكْفِّرَةً، وإذا لم تكن مُكْفِّرَةً فهي بريد للكفر،
فالواجب الحذر منها.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ عَطَاءٌ: «إِنَّ فِيْمَا أَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تُجَالِسُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَيُحَدِّثُوا فِي قَلْبِكَ مَا لَمْ يَكُنْ»﴾^(١).

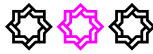
الشَّيْخُ

هذه المقالة من أخبار بني إسرائيل؛ لأن بين عطاء وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دهور وأزمة طويلة تنقطع دونها أعناق المطي.

○ قوله: «فَيُحَدِّثُوا فِي قَلْبِكَ مَا لَمْ يَكُنْ»: أي: إذا كنت على السنة وعلى الحق، وجلست لأهل البدع فإنهم يحدثون في قلبك شيئاً لم يكن فيه من قبل.

فهذا فيه: التحذير من البدع، ولا حاجة إلى الآثار الإسرائيلية، ففي الأحاديث الصحيحة والآثار التي عن الصحابة والتابعين كفاية عنها.

لكن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ نقل هذا الأثر الإسرائيلي من باب تضافر الآثار والأدلة وتناصرها.



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٦٣)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٩٥) عن عطاء، به.



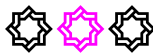
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلُّوا فِيهَا السَّيْفَ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لأبي قلابة ؛ فيها : تحذير من البدع ، وبيان أن البدع توصل إلى القتال بين المسلمين ، ويستحل فيها المبتدع قتل أهل السنة والجماعة ؛ ولهذا قال : (مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةٍ إِلَّا اسْتَحَلُّوا فِيهَا السَّيْفُ) ؛ بسبب حقدهم على أهل السنة والجماعة ، وبسبب اعتقاد أهل البدع أنهم على الحق ، وأن أهل السنة على الباطل ؛ فلأجل هذا يستحلون قتالهم ويستحلون السيف .

ولهذا يرى بعض أهل البدع حلَّ دم المسلمين ؛ فتجد بعض الجهمية يستحلون دماء أهل السنة ويعتقدون أن دمهم حلال ، والرافضة يستحلون دم أهل السنة ، وكذلك الخوارج والمعتزلة وغيرهم ، وهذا مصداق لقول أبي قلابة السابق ^(٢) .



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٩٩)، وابن المستفاض في «القدر» (٣٦٨، ٣٦٩)، والآجري في «الشرعية» (ص ٦٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٧/٢) عن أبي قلابة، به.

(٢) انظر : «مجموع الفتاوى» (٣/٢٧٩، ٣٥٧، ٣٧٥)، (١٦/٩٦)، (٢٩/٢١٢)، (٢٨/٤٩٧).

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿

﴿ وَقَالَ أَبُو قَلَابَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] قَالَ أَبُو قَلَابَةَ: «فَهِيَ جَزَاءُ كُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لأبي قلابة - أيضا - يبين فيها: أن هذه الآية تشمل المبتدعة، وهي قول الله ﷻ في عِبَادِ الْعِجْلِ من بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ... ﴾، وأن الله - تعالى - ابتلاهم بعبادة العجل حتى أَشْرَبَ في قلوبهم حبه، ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣] يعني: حُبَّ الْعِجْلِ.

وقال سبحانه في آية الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ يعني: عبدوه من دون الله، وهم بنو إسرائيل؛ حيث عبدوا العجل من دون الله، لما ذهب موسى ﷺ لميقات ربه، واستخلف أخاه هارون، قام السامري بأخذ الحلي وتصويرها بصورة العجل، وصار له خُوار، وقال لبني إسرائيل: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٨]، واستمروا على عبادتهم، وحاول هارون - عليه الصلاة والسلام - أن يمنعهم ما استطاع، وكادوا يقتلونه، و ﴿ قَالُوا لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١]. فلما جاء موسى ﷺ وقبل أن يأتي إليهم قال الله تعالى له: ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ [طه: ٨٥]،

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٨٣٠).

فعلم علم اليقين أنهم عبدوا العجل من دون الله.

ولما وصل إلى بني إسرائيل ووجدهم يعبدون العجل غضب غضباً شديداً حتى ألقى الألواح التي في يده - وفيها كلام الله - حتى إنها تكسرت من شدة الغضب، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره إليه - وهو نبي كريم مثله - قائلاً له: كيف تتركهم يعبدون العجل؟ فقال له هارون من باب الاستعطاف: ﴿يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿أَبْنِ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

ولم يؤاخذ الله - تعالى - موسى ﷺ؛ لأنه غضبان، ولأن له منزلةً عند الله، وهذا دليل على أن الرؤية ليست كالعلم، فليس الخبر كالمعاينة، فقد أخبره الله - تعالى - أنهم عبدوا العجل؛ لكنه لما جاء وراهم بعينه تغير الحال.

قال الله تعالى في عقابهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، فغضب الله عليهم، وجعل من توبتهم أن جاءتهم ظلمة وصار بعضهم يقتل بعضاً.

قال أبو قلابة: «فَهِيَ جَزَاءُ كُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ ومنهم أهل البدع؛ لأنهم مفترون، فلهم نصيب من الغضب ولهم نصيب من الذلة؛ وهذا فيه تحذير من البدع.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ ضَلَالَةٍ وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرَّبَهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ رَأْيًا أَوْ قَالَ قَوْلًا فَيَتَنَاهَى دُونَ السَّيْفِ، وَإِنَّ النَّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦١]. وَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ»، أي: أن المبتدع متوَعَّد بالنار؛ لأنه إن مات على بدعة توصله إلى الكفر، فهذه ردة والعياذ بالله.

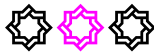
○ قوله: «فَجَرَّبَهُمْ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ رَأْيًا أَوْ قَالَ قَوْلًا فَيَتَنَاهَى دُونَ السَّيْفِ»؛ أي: جرَّب أهل البدع؛ فإنك إذا جربتهم لم تجد مبتدعًا ينتحل رأيًا ولا يقول قولًا مبتدعًا إلا يصل أمره إلى السيف؛ أي: يستحل قتال أهل السنة والجماعة يقتلهم بالسيف بسبب حقده وبغضه لأهل السنة والجماعة، واعتقاده أنه على الحق.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٨٤/٧)، والدارمي في «السنن» (١٠٠)، والهروي في «دم الكلام» (٨٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٥/٢٨) عن أبي قلابة، به. وذكره السيوطي في «الدر» (٢٤٨/٤) وعزاه لأبي الشيخ.

وأهل البدع - وإن كانت بدعهم متنوعة - لكنهم يجتمعون في الحقد على أهل السنة والجماعة، واستحلال قتالهم بالسيف، كما أن النفاق أنواع، لكن المنافقين يجتمعون في الشك والتكذيب؛ فكلهم يشكون في خبر الله سبحانه وخبر الرسول ﷺ، ويكذبون الله سبحانه ويكذبون رسوله ﷺ، والدليل على أن النفاق أنواع:

أن الله - تعالى - أخبر عنهم في سورة التوبة قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴿التَّوْبَةُ: ٧٥-٧٦﴾ هذا نوع من النفاق، وقال أيضًا: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٥٨) ﴿التَّوْبَةُ: ٥٨﴾، وهذا نوع آخر من النفاق، وكذلك قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ ﴿التَّوْبَةُ: ٦١﴾، وهذا أيضا نوع ثالث من النفاق ولكن يجمعهم شيء واحد وهو الشك والتكذيب.

وكذلك المبتدعة؛ أنواع وضروب؛ فهذا بدعته في الصحابة، وهذا بدعته في الأسماء والصفات، وهذا بدعته في الأحكام، وهذا بدعته في العمل، لكن يجمعهم شيء واحد وهو استحلال قتال أهل السنة والجماعة؛ ولهذا قال: «وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ» يعني: أهل البدع، «وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ»؛ أي: القتال، «وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ»؛ ففيه: تحذير من البدع.



وجوب لزوم الجماعة

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(١)).

الشرح

هذا القول من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيه: الوعيد على أهل البدع، وأن البدع من الكبائر، والحديث متفق عليه^(٢) بلفظ قريب، ولفظ مسلم: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَضْرِبْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(١) أخرجه الخطابي في «غريب الحديث» (١٤٦/١) من طريق ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنحوه.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٨٩/١٠)، وفي «الأوسط» (٣٤٠٥)، والخطيب البغدادي في «الفتاوى» (٤١٦/١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً. وقد ورد الحديث عن جماعة من الصحابة مرفوعاً منهم: أبو الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١٨٦٥)، وابن حبان في «الصحيح»، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ١٥٣٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥٧). قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

وجاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٧٥٨)، وابن أبي عاصم في «السنن» (٨٩٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤)، والقضاعي في «الشهاب» (٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا الحديث يدل على أن الخروج على ولاة الأمور من كبائر الذنوب، وأنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور ولو ظهرة المعاصي في البلد، وإنما المعاصي ينكرها الإنسان بقدر استطاعته؛ فينكر باليد إن استطاع، فإن عجز فباللسان، فإن عجز فبالقلب كما يمكنه أن يُبلِّغ أهل العلم، فيخاطب أهل العلم وُلاة الأمور بما يليق بهم، فإن استطاع أن يفعل ذلك فالحمد لله، وإلا فهو معذور، وليس له الخروج على ولاة الأمور؛ لأن هذه طريقة أهل البدع، وهي من كبائر الذنوب.

ومعنى: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ» أي: إذا رأيت المعاصي فاصبر ولا تقاتل؛ لأنك إذا خرجت على ولي الأمر ارتكبت مفسدة أعظم، فأنت تريد أن تدفع مفسدة صغرى بمفسدة كبرى وهذا خطأ جسيم.

ولهذا قال العلماء: إذا رأى الإنسان منكراً وأراد أن يغيره فله أحوال:

الحال الأولي: أن يزول المنكر أو يخف، فينكر حينئذ.

الحال الثانية: أن يحصل منكر مثله أو أشد؛ فلا يحل له أن ينكره؛ مثاله: الإنكار على ولي الأمر لأجل معاصي وقعت بالخروج عليه؛ فهذا فيه مفسدة عظيمة؛ حيث يحصل إراقة دماء، وانقسام الناس، واختلال الأمن، واختلال الاقتصاد، واختلال التجارة والزراعة، واختلال أمور المسلمين، وتدخل الأعداء الذين يتربصون بهم الدوائر، فكل هذه المفاسد أعظم من مفسدة المنكر المراد إنكاره.

فالقاعدة عند أهل العلم التي دلت عليها النصوص: أنه إذا اجتمعت مفسدتان لا يمكن تركهما تُقدم المفسدة الصغرى لترك الكبرى، وإذا اجتمعت مصلحتان لا يمكن فعلهما تُفعل المصلحة الكبرى، ولو زالت المصلحة الصغرى^(١).

لذلك ينبغي للإنسان ألا يغلب جانب الحمس والعاطفة التي على غير بصيرة، ويرجع إلى أهل العلم إذا أشكل عليه شيء.



(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» (٦/٤)، و«مجموع الفتاوى» (٧٤/٤)، (٢١/٣٥)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٦٢٠/٢)، و«منهاج السنة» (٥٣٦/٤).

خصومة الناس في ربهم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ خُصُومَةُ النَّاسِ فِي رَبِّهِمْ»^(١).

الشرح

محمد بن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب، لكن سُمِّي محمد بن الحنفية نسبة إلى أمه؛ لأنها من سبايا بني حنيفة لما ارتدوا وارتدت العرب، فقاتل الصحابة - رضوان الله عليهم - المرتدين ومنهم بنو حنيفة، فصار من سباياهم أم محمد بن الحنفية؛ أسرَّها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصار يسمى محمد بن الحنفية تمييزاً له عن إخوته، وإلا فهو محمد بن علي بن أبي طالب^(٢).

○ قوله: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ خُصُومَةُ النَّاسِ فِي رَبِّهِمْ» المقصود: أن خصومتهم تكون في الصفات والأسماء، وفي أفعال الله، وفي قدره وقضائه.

(١) ذكره الدارقطني في «العلل» (١٩٥٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤٦/٧)، والديلمي في «الفردوس» (٧٥١٧) عن ابن الحنفية، وأورده المؤلف في «الإبانة الكبرى» (١٩٢/٣) رقم (١٤٦) من قول النبي ﷺ.

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» (١٤٧/٢٦).

وهذا فيه: التحذير من الخصومات والنزاع والشقاق في الأسماء والصفات وفي القدر؛ لأنه يولد الشبهات؛ والشبهات تولد البدع.

وإنما قال محمد بن الحنفية ما قاله استناداً إلى النصوص الكثيرة التي فيها النهي عن البدع والخصومات والنزاع، وأنه يجب على الإنسان أن يُسَلِّمَ لله ولرسوله ﷺ، وليس له أن يعترض على أفعال الله ولا صفاته، فلا يسأل عن صفات الله فيقول: كيف؟ أو يقول في أفعال الله: لِمَ؟

وقد تأدب بذلك الصحابة والتابعون ومن بعدهم، فلزموا كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، وأعرضوا عن الشبهات والخصومات، أما المتأخرون؛ فإنه بسبب بعدهم عن مشكاة النبوة، واختلاطهم بالأعاجم، وبسبب ترجمة كتب اليونان والرومان، نشأت الخصومات والنزاع في القدر، وفي أفعال الله وفي صفاته وأسمائه.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُوشِكُ أَنْ تَظْهَرَ شَيَاطِينُ مِمَّا أُوثِقَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفَقِّهُونَ النَّاسَ»).

الشَّجْ

هذا الأثر عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه عبدالرزاق في «المصنّف»، وأخرجه مسلم، وأخرجه الدارمي - أيضًا - في «سننه» في المقدمة، فقال: أخبرنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن ليث، عن طاوس، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(١).

والشيطان: إسم للمتمرد من كل جنس؛ فالمتهمرد من الجن يسمى شيطانًا كافرًا، أما المؤمن من الجن فلا يسمى شيطانًا، وكذلك المتمرد من الإنس يسمى شيطانًا، فالشياطين يكونون من الإنس ومن الجن؛ وكذلك من الدواب قال سبحانه: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

○ قوله: «يُوشِكُ»؛ أي: يقرب أن تظهر الشياطين.

○ قوله: «يُفَقِّهُونَ النَّاسَ»؛ أي: يزعمون أنهم يفقهون الناس في الدين، وهم يلبسون على الناس، ويدخلون في الدين ما ليس منه، و يغيرون الدين رأسًا على عقب.

(١) أخرجه مسلم في «المقدمة» (٧)، وعبدالرزاق في «المصنّف» (٢٠٨٠٧)، والدارمي في «السنن» (٤٢٨)، وابن وضاح في «البدع» (٢٢٦) عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، به.

وهذا فيه: التحذير من الإصغاء إلى ما تلقيه شياطين الجن وشياطين الإنس من الشبهات التي تتولد منها البدع، المخالفة للدين، والشهوات التي تتولد منها المعاصي.

ولهذا ثبت في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وفي لفظ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

إذن فالبدع ليست من الدين؛ وإنما هي حدث في الدين، ولكن هؤلاء الشياطين من تلبسهم للناس يزعمون أنهم يفقهونهم في الدين من باب التلبيس.



(١) أخرجه البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧)،

ومسلم في الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٢) بهذا اللفظ علقه البخاري قبيل (٢١٤٢، ٧٣٥١)، ووصله مسلم (١٧١٨).

لا تقل في القرآن برأيك واتبع قول الصحابة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: «قَالَ لِي أَبُو قَلَابَةَ: يَا أَيُّوبُ؛ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا: لَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْقَدَرَ، وَإِذَا ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسِكْ، وَلَا تُمَكِّنْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ مِنْ سَمْعِكَ فَيَنْفِذُوا فِيهِ مَا شَاءُوا»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «يَا أَيُّوبُ؛ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا»، هي وصية ليست خاصة بأيوب، بل هي عامة، فكل مسلم عليه أن يحفظ هذه الأربع؛ لأن الوصية والنصيحة والتوجيه والإرشاد والأمر إذا جاء في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين أو من بعدهم من العلماء؛ فإنما يقصد بها النصيح لكل من تبلغه، فالنبي ﷺ لما سأله رجل: قال: أوصني، قال: «لَا تَغْضَبْ»، فردد مرارًا: قال: «لَا تَغْضَبْ»^(٢)، فهذه ليست وصية خاصة للرجل، بل هي وصية للأمة كلها؛ لأن الشريعة عامة إلا ما دل الدليل على تخصيص

(١) أخرجه المؤلف في «الإبانة الكبرى» (٤٠٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٣٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٤٦، ١٢٧٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٥/٢٨) من طريق أيوب، به.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحد، كما في الجذعة التي ضحى بها خال البراء رضي الله عنه قال له: عندي جذعة خير من مسنة، قال: «اذبحها وَلَنْ تُجْزَى عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»^(١)، فهذا دليل على الخصوصية، وأما إذا لم يدل دليل على الخصوصية فتبقى الشريعة على عمومها، وكذا الوصايا.

فهذه الوصية التي أوصى بها أبو قلابة التابعي الجليل أيوب هي عامة له ولغيره، ينتفع بها كل مسلم.

الوصية الأولى: «لَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ»؛ أي: لا تفسر القرآن برأيك، فالقرآن لا يفسر بالرأي، إنما يُفَسَّرُ كلامُ الله بكلام الله، أو بحديث الرسول ﷺ إن لم يوجد، أو بلغة العرب، أو بالرأي المستند إلى النصوص، أما الرأي المجرد فهو مبني على الهوى والضلال؛ ولهذا ثبت عن الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه أنه قال لما سُئِلَ عن تفسير آية في القرآن وهي قوله: ﴿وَفَكَهْمًا وَأَبًّا﴾^(٢) [عَبَسَ: ٣١] قال: «أَيَّ سماءَ تظَلَّنِي، وأي أرضَ تَقَلَّنِي إن أنا قلت في كتاب الله برأيي» أو «بما لا أعلم؟!»^(٣).

فلا يجوز للإنسان أن يقول في القرآن برأيه، ومن قال في القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب.

الوصية الثانية: «وإِيَّاكَ وَالْقَدَرَ»؛ يعني: إياك أن تخاصم وتجادل في القدر، وإياك أن تعارض القدر، وتنكره، فاحذر الخصومة أو النزاع أو المعارضة أو الإنكار.

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الأكل يوم النحر (٩٥٥)، ومسلم في الصيد والذبائح، باب وقتها، رقم (٧/١٩٦١) - وهذا لفظه - من حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه.

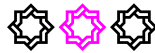
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٠٣)، (٣٠١٠٧)، والخطيب في «الجامع» (١٥٨٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٧٨) من طرق عن أبي بكر رضي الله عنه. وجزم بثبوته عن أبي بكر ابن حزم في «المحلى» (١٩٣/٢)، وانظر: «فتح الباري» (٢٧١/١٣).

الوصية الثالثة: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسِكْ»؛
 أي: لا تسبهم ولا تعبههم ولا تنتقصهم؛ فسبُّ الصحابة لا يصدر من قلب مؤمن، وإنما يحصل ممن في قلبه مرض وزيف ونفاق ودغل.
والواجب: الإمساك عما شجر بين الصحابة، والترضي عنهم، ومعرفة منزلتهم وسابقتهم وفضلهم، واعتقاد أن لهم من الفضل والحسنات والسبق إلى الإسلام والجهاد مع النبي ﷺ، وتنفيذ شرع الله ما يغطي ما صدر عنهم من هفوات ^(١).

وما ورد في الأخبار مما صدر عنهم، فهو على أقسام:

- منه ما هو كذب لا أساس له من الصحة.
- ومنه ما له أصل لكن زيد فيه أو نقص وغير عن وجهه.
- ومنه ما هو صحيح، والصحيح هم فيه:
- ما بين مجتهد مصيب له أجران.
- وما بين مجتهد مخطئ له أجر ^(٢).

الوصية الرابعة: «وَلَا تُمَكِّنْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ مِنْ سَمْعِكَ فَيُنْفِذُوا فِيهِ مَا شَاءُوا»: أصحاب الأهواء هم أصحاب البدع كالجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم من أهل البدع؛ فلا تمكنهم من سمعك؛ فإنك إذا مكنتهم من سمعك أنفذوا فيه ما شاءوا؛ بل أعرض عنهم، ولا تُصغ لهم، فكم من إنسان أصغى لأهل البدع وظن أنه لن يتأثر، ولكن سرعان ما تأثر، ونفذت فيه شبههم.



(١) انظر: «الشرعية» للآجري (٢٨٥/٥ - ٢٥١٠)، و«الحجة في بيان المحجة» (٥٠٦/٢).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية (٢٤٩).

ذم أصحاب البدع والأهواء

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٦٤] قَالَ: «هُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ»^(١).

الشَّجْحُ

هذا الأثر عن إبراهيم النخعي - وهو تابعي صغير من أصحاب عبدالله بن مسعود - في تفسير هذه الآية؛ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٦٤] قَالَ: «هُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ»، يعني: البدع.

والآية إنما هي في أهل الكتاب من اليهود؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ولكن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إنها تشمل أهل البدع بعمومهم؛ لأن لهم شَبَهًا باليهود، فاليهود بينهم عداوة وخصومة وبغضاء، وكذلك أهل البدع بينهم العداوة والخصومة والبغضاء.

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٥٨/٦ - ١٥٩)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٣٤) عن إبراهيم النخعي، بنحوه. وذكره السيوطي في «الدر» (٤٢/٣)، وزاد نسبه لعبد بن حميد.

ولذلك تجد كل أهل بدعة يضلّون أهل البدعة الأخرى؛ فتجد الجهمية يضلّون المعتزلة، والعكس؛ حيث إن الجهمية تنفي الأسماء والصفات؛ أما المعتزلة فيثبتون الأسماء دون الصفات، والجبرية تضللّ وتعادي القدرية، والعكس؛ يقولون: إن العبد مجبور، وأنه كالريشة في الهواء، والقدرية يقولون: العبد يخلق أفعال نفسه، فكل فرقة تضلل الأخرى، فتحل بينهم العداوة والبغضاء فيصبحون فرقاً متعددة وأحزاباً كاليهود.

ولعل من صور ذلك: يهود فلسطين تفرقوا أحزاباً متعددة: فبعضهم متشددون في يهوديتهم يسمونهم: أصوليين، وبعضهم متساهلون، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى.

فلهذا بين إبراهيم النخعي رحمّه الله أن هذه الآية وإن كانت نزلت في اليهود إلا أنها تشمل في عمومها أهل البدع؛ لأن بينهم عداوة وبغضاء؛ كما أن اليهود بينهم العداوة والبغضاء.

وفيه: التحذير من البدع؛ لأن الواجب على المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ولا ينبغي أن يكون بينهم غل ولا حقد ولا حسد.

ولهذا؛ أمر الإسلام المسلمين أن يتعاونوا، وأن يسلم بعضهم على بعض، وأن يعطف بعضهم على بعض، وأن يُحسن بعضهم إلى بعض، وأن يتسامح الإنسان عن حقه، كل هذا لأجل أن تكون القلوب سليمة، وأن يكون المؤمنون إخوة متحابين متآلفين، وأن تزول بينهم الوحشة والعداوة والبغضاء؛ فأهل البدع ليسوا كذلك بل بينهم عداوة وبغضاء كاليهود.





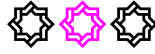
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ: «الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تَمْحَقُ الْأَعْمَالَ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر عن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني العالم الجليل.

○ قوله: «تَمْحَقُ»؛ أي: تُذهب بركتها؛ لأن الخصومات تورث العداوة والبغضاء، وتورث الشُّبه والشكوك في الأذهان والأفكار، وبالتالي: محقت بركة الدين، فالشخص الذي في نفسه وساوس وشكوك وأوهام، وفي نفسه غل وحقد على بني جنسه؛ لا شك أنه ممحوق البركة.



(١) أخرجه الأجرى في «الشرعية» (ص ٦٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٦٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٢١)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٩٨) عن معاوية بن قرة، به.

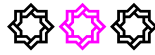


قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: «النَّظَرُ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ يُطْفِئُ نُورَ الْحَقِّ مِنَ الْقَلْبِ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا لأن الإنسان إذا أدمن النظر إلى صاحب بدعة وخالطه وعاشره، تزول الوحشة من بدعته، ويألف هذه البدعة، وإذا أَلِفَ البدعة طُفِئَ نور الحق، أي: ينطفئ النور الكامل فيبقى نور الحق ونور الإيمان في قلبه ضعيفاً بسبب كثرة نظره إلى صاحب البدعة ومخالطته ومماسّته، وقديماً قيل: إذا كثر الإمساس قلّ الإحساس، فإذا كثر الإمساس بأهل البدع والاختلاط بهم زال استقباح هذه البدع وزالت النفرة منها؛ فيألف الإنسان البدعة ولا يستقبحها.



(١) وأخرجه ابن وضاح في «البدع» (١١٣) عن الحسن بلفظ: «لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك».



❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: «إِذَا كَانَ طَرِيقُكَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ،
فَغَمَضَ عَيْنَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ إِلَيْهِ»﴾^(١).

❦ الشَّيْخُ ❦

هذا الأثر لبشر بن الحارث فيه: التحذير من أهل البدع، وأنه ليس للإنسان أن يركن إلى صاحب البدع، وألا ينظر إليه، وعليه أن يغمض عينيه قبل أن يصل إليه سدًّا للذريعة؛ لأنه إذا فتح عينيه مرة فتحها مرة أخرى، ثم ثالثة، ثم سَهْل عليه ما بعد ذلك، فسَهْل عليه الجلوس معه، والنظر إليه، ثم سهْل عليه مصاحبته فزال بذلك استقباح هذه البدعة حتى يَأْلِفَهَا، فيكون شريكًا له في الإثم؛ ويكون هذا سببًا في ضعف إيمانه.



(١) وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٨٤٧)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٥٩) عن يحيى بن أبي كثير قال: «إذا رأيت المبتدع في طريق فخذ في غيره».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَطَّابُ: «إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ فَلَقِيكَ
صَاحِبُ بَدْعٍ فَارْجِعْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ مُحِيطَةٌ بِهِ»).

الشَّيْخُ

هذا من باب سد الذرائع؛ لأن المسلم إذا لم يرجع ولقي
صاحب البدعة والشياطين محيطة به، فتُحَسِّنْ له، وتسهل عليه
مقاربتة، والوقوف معه، ومجالسته.

فإذا تساهل المسلم في أول الأمر فإنه لا يزال يتساهل شيئاً بعد
شيء حتى يجالس أهل البدع، ثم لا ينكر عليهم، فيكون شريكاً لهم
في الإثم؛ فلهذا سداً للذريعة ينبغي للإنسان إذا لقي صاحب بدعة أن
يرجع ولا يقابله؛ حتى لا تتدرج به الحال إلى أن يستحسن بدعة
بسبب الشياطين المحيطة به، والتي تسهل عليه هذه البدعة.



التحذير من الجدل

❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ يَسَارٍ: «إِيَّاكُمْ وَالْجِدَالَ! فَإِنَّهَا سَاعَةٌ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَفِيهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ»)^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لمسلم بن يسار البصري العابد فيها: تحذير من الجدل والخصومات؛ لأن الجدل يولد الشبهات، والشبهات تولد البدع، فيحذر رَحِمَهُ اللَّهُ من الجدل؛ حتى لو صدر من عالم فإنها ساعة جهل، وتساهل، وقد يزل فيصدر منه شيء أثناء الجدل، يولد له شبهة وتتولد من الشبهة البدعة.

والشيطان يبتغي الزلة ويلقي هذه الكلمة التي فيها إيهام أو فيها شبهة في قلب بعض الناس فتولد في قلبه شبهة، ثم ينشأ من الشبهة بدعة؛ فلهذا حذر مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ من الجدل سداً للذريعة.



(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٨٧/٧)، والدارمي في «السنن» (٣٩٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٤)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٩٤/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٥/٥٨) عن مسلم بن يسار، به.

صاحب البدعة لا يُقبل له عمل

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ لَا يُقْبَلُ لَهُ صَوْمٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا حَجٌّ، وَلَا عُمْرَةٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ»﴾^(١).

الشرح

هذه المقالة من الحسن من باب التشديد، بل إنما هذا محمول على البدعة المكفرة، فالبدعة المكفرة لا يُقبل من صاحبها صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل. ○ قوله: «وَلَا صَرْفٌ» الصرف: الفريضة. والعدل: النافلة، وقيل: الصرف: هو التوبة.

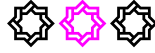
البدعة بدعتان:

الأولى: بدعة مُكفِّرة، وهذه صاحبها لا يُقبل منه صلاة ولا صوم ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا حج ولا جهاد ولا صرف

(١) أخرجه ابن المستفاض في «القدر» (٣٧٦)، والآجري في «الشرعية» (ص ٦٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧١) عن الحسن البصري، به. ورواه ابن وضاح في «البدع» (٦) عن الأوزاعي، وقد أخرجه أيضاً في باب كل محدثة بدعة (٦٧) من قول هشام بن حسان، ولعله سقط من إسناده «الحسن البصري» والله أعلم.

ولا عدل في حال كفره إلا إذا تاب قبل موته.

الثانية: بدعة غير مكفرة: فهذه صاحبها ضعيف الإيمان، ولكن تقبل وتصح أعماله؛ لأنه ليس بكافر، لكن قد توصله هذه البدعة إلى البدعة الكفرية فلا يقبل منه صوم ولا صلاة ولا صدقة ولا حج ولا عمرة.



فضل العلم والعلماء

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «الْاِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبِضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعِشُ الْعِلْمَ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

هذا المقال للزهري - وهو تابعي صغير وإمام مشهور -: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، الإمام المحدث المعروف، الذي لا تخفى شهرته وعلمه؛ وهذه المقالة منه رَحِمَهُ اللَّهُ مقالة عظيمة.

○ قوله: «الْاِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»؛ أي: نجاة من الفتن والبدع، وبالتالي نجاة من النار، فإذا نجا الإنسان من الفتن ومن البدع واستقام على الشريعة وعلى السنة، واعتصم بشرع الله ودينه؛ فإنه يكون من الناجين، وهذا طريق السعادة وطريق السلام.

○ قوله: «وَالْعِلْمُ يُقْبِضُ قَبْضًا سَرِيعًا»؛ فهو كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٩٦)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥)، ١٣٦، ١٣٧، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٣٦٩)، وابن بطّة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦)، والبيهقي في «المدخل» (٨٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٩/٥٥) عن الزهري، به.

بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ^(١)، يموت العلماء الأخيار واحدًا بعد واحد، ثم يقبض العلم، فلا يبقى إلا الجاهل، فيكونون رؤوس الناس، فيفتون بغير علم، فيضلّون ويضلّون؛ فالعلم يقبض قبضًا سريعًا.

○ قوله: «فَنَعَشُ الْعِلْمَ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا»؛ نعش العلم أي: وجود العلم وظهوره وانتشاره بين الناس: ثبات للدين والدنيا. وإذا خفي العلم عمّ الجهل وفاض، ثم هلك الناس، وخفاء العلم واندثاره هلاك في الدين والدنيا؛ ولهذا قال: «وَذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ» وقد صدق ﷺ.

وفيه: الحث على أخذ العلم عن العلماء قبل ذهابهم، ولا سيما علماء أهل السنة والجماعة: العلماء الربانيون، علماء الحق. وفيه: تحذير من البدع، ومن الأخذ عن أهل البدع.



(١) أخرجه البخاري في العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم (١٠٠)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه...، رقم (٢٦٧٣) - وهذا لفظه - من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.



حديث: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ»﴾^(١).

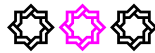
❏ الشَّيْخُ ❏

وهذا المقال لعمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد رَحِمَهُ اللَّهُ معروف عدله وورعه - رَضِيَ عَنْهُ - وإصلاحاته في زمانه مع قِصَر خلافته - التي هي سنتان - إصلاحات عظيمة، وهو أول من أمر بجمع الحديث.

❏ قوله: «غرضًا»؛ أي: هدفًا يرمى، يجعله الناس بحيث يترامونه.

❏ قوله: «أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ»؛ أي: يتنقل من شيء إلى شيء فلا يثبت على الدين ولا على السنة.

وفيه: التحذير من الخصومات التي تولد الشبهات والبدع.



(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٠٢)، والدارمي في «السنن» (٣٠٤، ٣٠٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢١٦)، وابن المستفاض في «القدر» (٣٨٥)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٦١، ٦٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٨/٩) عن عمر بن عبدالعزيز، به.

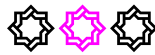
حديث: لا تجالسوا أصحاب الخصومات

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ؛ فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ)^(١).

الشيخ

هذا محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رحمته الله ينهى عن مجالسة الذين يخاصمون ويجادلون؛ لأنه تتولد من خصوماتهم وجدالهم الشبه، وتتولد من الشبه البدع، فهم يخوضون في آيات الله بغير علم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨].
ففيه: التحذير من الخصومات وأهل الخصومات، والأمر بلزوم السنة والجماعة، ولزوم الكتاب والسنة والتسليم لكتاب الله ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.



(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٢١/٥) الدارمي في «السنن» (٢١٥، ٤٠٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» باب التحذير من مصاحبة قوم يمرضون القلوب (٣٨٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٥٨) عن محمد بن علي، به.

من لزِم بدعة ترك سنة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ غُضَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ: «لَا تَظْهَرُ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ مِثْلُهَا مِنَ السَّنَةِ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا المقال لُغْضِيفِ بْنِ الْحَارِثِ السَّكُونِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ.
❏ قَوْلُهُ: «لَا تَظْهَرُ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ مِثْلُهَا مِنَ السَّنَةِ» هَذَا صَحِيحٌ؛ فَإِنَّهُ
كَلِمًا ظَهَرَتْ بِدْعَةٌ خَفِيَ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ السَّنَةِ، وَكَلِمًا ظَهَرَتْ سَنَةٌ خَفِيَ مَا
يُقَابِلُهَا مِنَ الْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ تُقَابِلُ الْبِدْعَةَ، وَالْبِدْعَةَ تُقَابِلُ السَّنَةَ.
فَمِثْلًا بِدْعَةُ الْمَوْلِدِ: مِنْ فَعْلِهَا تَرِكَ السَّنَةَ، لِأَنَّ السَّنَةَ عَدَمُ فَعْلِ
الْمَوْلِدِ، وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ فَعَلَ السَّنَةَ.
وَهَذَا فِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الْبِدْعِ وَإِظْهَارُهَا وَالْحَثُّ عَلَى لَزُومِ
السَّنَنِ.



(١) لَمْ أَجِدْهُ مَوْقُوفًا، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٠٥/٤)، وَابْنُ قَانَعٍ فِي «مَعْجَمِ
الصَّحَابَةِ» (٣١٦/٢)، وَاللَّالِكَاثِيُّ فِي «اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ» (١٢١)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي
«تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٨٢/٤٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَبِيدِ
الرَّحْبِيِّ، عَنْ غُضَيْفِ مَرْفُوعًا، بِهِ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (١٨٨/١): «وَفِيهِ أَبُو
بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ».



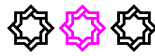
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «مَا كَانَ الرَّجُلُ مَعَ الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى
الطَّرِيقِ»﴾^(١).



○ قوله: «مَا كَانَ الرَّجُلُ مَعَ الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ»؛ الأثر:
معناه السنة، فالأثر يطلق على السنة وعلى الآثار عن الصحابة
والتابعين، فمتى ما كان الرجل مع الأثر ولزم السنة فهو على الطريق
المستقيم، وإذا حاد عن الآثار والسنن فإنه يكون مع البدع فيحيد عن
الطريق المستقيم.

ففيه: التحذير من البدع، والحث على لزوم السنن.



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٤٠، ١٤١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٥٠)،
والهروي في «ذم الكلام» (٣٣٨)، والآجري في «الشرعة» (ص ٢١)، واللالكائي في
«اعتقاد أهل السنة» (١٠٩، ١١٠، ١١١)، والبيهقي في «المدخل» (٢٣٠) عن ابن
سيرين، به.

إتباع السلف الصالح

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

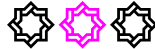
﴿وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «لَوْ بَلَغَنِي عَنْهُمْ - يَعْنِي: الصَّحَابَةُ - أَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِزُوا بِالْوُضُوءِ ظُفْرًا مَا جَاوَزْتُهُ، وَكَفَى عَلَى قَوْمٍ إِزْرَاءً أَنْ تُخَالِفَ أَعْمَالَهُمْ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «لَوْ بَلَغَنِي عَنْهُمْ - يَعْنِي الصَّحَابَةُ - أَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِزُوا بِالْوُضُوءِ ظُفْرًا مَا جَاوَزْتُهُ»؛ فيه: الحث على لزوم السنة وتتبعها وعدم الحيد عنها والإفراط عنها ولو قيد شعرة؛ أي: ألزم السنة وألزم طريق الصحابة والتابعين، ولا أحيد عنه ولو شيئًا يسيرًا.

○ قوله: «وَكَفَى عَلَى قَوْمٍ إِزْرَاءً أَنْ تُخَالِفَ أَعْمَالَهُمْ»؛ أي: كفى بك احتقارًا وعبثًا وذمًّا للقوم أن تخالف أعمال الصحابة أو أقوالهم التي هي على السنة.

ففيه: التحذير من البدع والأمر بلزوم السنن.



(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢١٨) عن إبراهيم النخعي، بنحوه.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

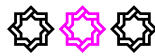
﴿ وَقَالَ شَرِيحٌ : « إِنَّمَا أَفْتَنِي الْأَثَرَ فَمَا وَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ » ^(١) .

الشَّيْخُ

هذه المقالة لشريح بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ القاضي المشهور.

○ قوله : « إِنَّمَا أَفْتَنِي الْأَثَرَ » ؛ أي إنما اتبع سنة الرسول ﷺ وأثر الصحابة والتابعين.

○ قوله : « فَمَا وَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ » أي : أنني لا أبتدع ، فما وجدت من الآثار شيئاً قد سُبِقْتُ إليه حدثكم به ، وما لم أجد شيئاً سُبِقْتُ إليه لم أحدثكم به ، وهذا فيه : بيان لحرصه رَحِمَهُ اللَّهُ على لزوم السنة واتباع الآثار وبعده عن البدع ؛ وهكذا ينبغي على كل مسلم ؛ فهذه نصيحة منه لمن تبلغه هذه النصيحة ، أنه ينبغي اتباع الآثار والسنن والحذر من البدع.



(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٣٦/٦) عن شريح ، به.

البراءة من الفرق الضالة

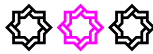
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «وُلِدْتُ قَبْلَ الْاِعْتِزَالِ»».**

الشَّجْع

هذا من عيبه للاعتزال، والمعتزلة جماعة اعتزلوا مجلس الحسن البصري وابتدعوا بدعًا. ومن بدعهم: القول بأن الفاسق يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

ومن بدعهم: إنكار الصفات وإثبات الأسماء لله سبحانه. وقد ظهر هؤلاء في أوائل المائة الثانية وكانوا في أول الأمر مع الحسن البصري يتتبعون الحديث والسنن، ثم بعد ذلك خذلوا واعتزلوا مجلس الحسن البصري وابتدعوا البدع^(١).

فالاعتزال حادث، والحدث في الدين بدعة، والنبى ﷺ يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)؛ فهو تحذير من الاعتزال وطريقة المعتزلة في رد الصفات؛ ومن القول بأن العاصي يخرج من الإيمان وكذلك سائر البدع، فينبغي أن يحذَرهم المسلم وأن يبتعد عنهم وأن يلزم السنة.



(٢) سبق تخريجه.

(١) انظر: «الملل والنحل» (ص ٤٢).



❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كُنْتُ وَلَا رِفْضَ فِي الدُّنْيَا).

❏ الشَّيْخُ ❏

❏ قوله: «رِفْضٌ»؛ - بكسر الراء - أي: مذهب الرافضة؛ أما الرِفْضُ بكسر الراء - وأما بفتح الراء - فهو الترك، يقال: فلان رَفَضَ كذا؛ أي: ترك كذا.

❏ قوله: «كُنْتُ وَلَا رِفْضَ فِي الدُّنْيَا»؛ أي: قبل أن يوجد مذهب الرافضة، فدل على أن مذهب الرافضة مذهب خبيث محدث مبتدع ليس له أصل في الشرع، مما يدل على بطلانه وفساده، وأنه ينبغي الحذر منه.

❖ والشيعة طبقات وفرق، وهم أكثر من أربع وعشرين فرقة:

ومن أعلى فرقهم:

١- النصيرية، فهم يعتقدون أن الله حلَّ في علي رضي الله عنه، وأن عليًّا هو الإله. ومنهم من يقول: إن عليًّا في السحاب وسيرجع، فهم يؤلهون عليًّا.

٢- ثم المخطئة، وهم يخطئون جبريل، ويقولون: إن جبريل أرسله الله إلى عليٍّ فخان وأعطاهما محمدًا؛ فيقولون: خان الأمين جبريل وصَدَّ الرسالة عن حَيْدَرَةٍ - وهو لقب علي - وهذا كفر بإجماع المسلمين.

٣- ثم الرافضة من غلاة الشيعة الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم ويقولون: لم يبق من القرآن إلا الثلث وضاع الثلثان؛ أي: أن القرآن غير محفوظ، ويعبدون آل البيت، وهذا كله كفر.

٤- ومنهم: فرق الزيدية؛ وهم الذين يفضلون عليًّا على عثمان؛ وهم طبقات: منهم الكافر، ومنهم المبتدع^(١).
وقول الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه: تحذير من مذهب الرافضة.



(١) انظر: «الملل والنحل» (ص ١٥٣-١٧٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَذَكَرَ الْقَدْرُ عِنْدَ مُجَاهِدٍ فَقَالَ: «كَفَرْتُ بِدِينٍ وُلِدْتُ قَبْلَهُ»).

الشَّيْخُ

وهذه المقالة لمجاهد بن جبر التابعي الجليل، لما ذكر عنده القدر قال: «كَفَرْتُ بِدِينٍ وُلِدْتُ قَبْلَهُ»؛ وهو دين القدرية^(١) الذين ينكرون قدر الله ويقولون: إن الله لم يعلم بالأشياء قبل كونها، ولم يكتبها في اللوح المحفوظ.

❁ القدرية درجات:

القدرية الأولى: الذين ينكرون العلم والكتابة، وهم كفر - وقد انقضوا -.

القدرية المتوسطة: يثبتون العلم والكتابة، ولكن ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق.

فمجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ يبين أن دين القدرية حادث؛ إذا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ مولود قبل أن يوجد هذا الدين؛ فهو كافر بهذا الدين.

أما دين الله فهو الذي بعث به أنبياءه ورسله وآخرهم محمد ﷺ.

والمقصود: التحذير من مذهب القدرية، وبيان أنه مذهب مُبْتَدَع، وأنه يخالف الشرع.



(١) انظر: «الفرق بين الفرق» (ص ١٨).



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «قِيلَ لِرَجُلٍ عِنْدَ الْمَوْتِ: عَلَى أَيِّ دِينٍ تَمُوتُ؟ فَقَالَ: عَلَى دِينِ أَبِي عِمَارَةَ. وَكَانَ رَجُلًا يَتَوَلَّاهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ. فَقَالَ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَدْعُ دِينَ أَبِي الْقَاسِمِ وَيَمُوتُ عَلَى دِينِ أَبِي عِمَارَةَ؟!«).

الشَّيْخُ

هذه مقالة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام المشهور إمام دار الهجرة. وأبو عمارَةَ هذا مبتدع من أهل الأهواء، ومما يدل على أن هذا الذي يحكي الإمام مالك خبره قد تمكنت البدعة من نفسه، أنه لما قيل له: «عَلَى أَيِّ دِينٍ تَمُوتُ؟ قَالَ: عَلَى دِينِ أَبِي عِمَارَةَ».

○ قوله في ذكر حال أبي عمارَةَ: «وَكَانَ رَجُلًا يَتَوَلَّاهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ»؛ أي: يميل إليه ويوافقه في مذهبه.

فبين الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ منكرًا عليه: أن هذا الرجل يترك دين النبي ﷺ ويموت على دين أبي عمارَةَ المبتدع.

ففيه: التحذير من البدع.

وفيه: أن البدع - والعياذ بالله - قد تستولي على صاحبها حتى إنه عند الموت يصر عليها، كما أصر هذا الرجل، ولم يقل: أموت على دين الإسلام؛ لأن الإنسان إذا شبَّ على شيء شاب عليه في الغالب؛ وإذا شاب على شيء مات عليه، إلا من عصمه الله.



وجوب اتباع النبي ﷺ

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ شُعَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الرَّاجِيَّانِ الْكُفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: نَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ^(١)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي مُعَاوِيَةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ -: «أَنْتَ عَلَى مِلَّةِ عَلِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ -؟ قُلْتُ: لَا، وَلَا عَلَى مِلَّةِ عُثْمَانَ، أَنَا عَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ سندًا كما في «الكبرى»^(٣)، قال: حدثنا أبو الفضل شعيب بن راجيان الكفي، قال: حدثنا علي بن حرب، قال: أنبأنا سفیان بن عیینة، عن ابن طاووس، عن أبيه - وهو طاووس بن كيسان اليماني التابعي الجليل المعروف - عن ابن عباس قال: قال لي معاوية: أنت على ملة علي؛ لأن ابن عباس كان ممن

(١) الصواب: «ابن طاووس» كما في مصادر التخریج، وهو: عبدالله بن طاووس بن كيسان اليماني، أبو محمد الأبنائي، ثقة فاضل عابد، روى له الجماعة. [تهذيب الكمال (١٥/١٣٠)، الكاشف (١/٥٦٣)، تهذيب التهذيب (٥/٢٣٤)، التقريب (٣٣٩٧)].

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٩٨٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٢٩)، وابن حزم في «إحكام الأحكام» (٤/٦٠٧) و(٦/٣١٥).

(٣) «الإبانة الكبرى» (٢٤٥).

شايح علياً وكان معه وقاتل معه؛ لأنه لما حصل الخلاف بين الصحابة: بين علي ومعاوية - رضوان الله عليهم ومن معهم - انضم أكثر الصحابة إلى علي رضي الله عنه، ورأوا أنه الخليفة الراشد الذي بايعه أكثر أهل الحل والعقد، وأنه يجب السمع والطاعة له عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّنُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

فانضم أكثر الصحابة إلى علي رضي الله عنه، ورأوا أنه هو الخليفة الراشد، وأن معاوية وأهل الشام بغاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ»^(١) وعمار رضي الله عنه مع علي رضي الله عنه وهذا هو الحق، وأهل الشام ومعاوية رضي الله عنه ومن معه لا يعلمون أنهم بغاة، بل هم مجتهدون، ولكن أخطؤوا، فلهم أجر الاجتهاد، وعلي رضي الله عنه ومن معه اجتهدوا وأصابوا، فلهم أجر الاجتهاد ولهم أجر الإصابة، وابن عباس رضي الله عنه ممن انضموا إلى علي رضي الله عنه.^(٢)

فمعاوية رضي الله عنه يقول لابن عباس رضي الله عنهما: أنت على ملة علي لما انضمت إليه؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لَا، وَلَا عَلَىٰ مِلَّةِ عُثْمَانَ، أَنَا عَلَىٰ مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»، أما غير الرسول صلى الله عليه وسلم فهو يخطئ ويصيب، فعلي وعثمان رضي الله عنهما وإن كانا على الحق، ولكن قد يخطئون في بعض الأشياء، وقد تكون لهم اجتهدات، فأنا لست أتبعهم في كل شيء؛ وهذا هو الحق، وهذا هو النور، فالإنسان يلزم السنة ولا يتبع

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، رقم (٢٨١٢) وهذا لفظه، ومسلم في الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت، رقم (٢٩١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/٥٥، ٥٦، ٧٧، ٨٨)، (٤/٤٣٩-٤٤٢).

الرجال؛ وإنما دين الله هو الذي يجب اتباعه؛ وأما الرجال فهم يخطئون ويصيبون ولو كانوا من الصحابة، والرجال إنما يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال، فمن أصاب الحق عرفنا أنه مصيب. أما الحق فلا يعرف بالرجال.



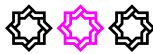
النهي عن الفرقة والخصومة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي الدِّينِ فَأَفْتَرَقَا حَتَّى يَفْتَرِيَا عَلَى اللَّهِ ﷻ»^(١)).

الشَّيْخُ

فيه: تحذير من الخصومات والجدال في الدين؛ لأن الخصومات تولد الشبه، والشبه تولد البدع؛ ولهذا قال ابن عباس رَحِمَهُمَا: «مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي الدِّينِ فَأَفْتَرَقَا حَتَّى يَفْتَرِيَا عَلَى اللَّهِ ﷻ»؛ لأنهما إما أن يكونا على الباطل أو يكون أحدهما على الحق والآخر على الباطل؛ فيكون الذي على الباطل قد افترى على الله؛ حيث إنه زعم أن البدعة التي نشأت من الشبهة حق، وهي خلاف الحق؛ فيكون قد افترى على الله وإن كان لم يصرح، فعمله الآن وفعله وكونه يتبنى هذه البدعة ويخاصم في دين الله حتى تتولد الشبهات؛ ثم تنشأ من الشبهات البدع يؤدي إلى الافتراء على الله. ففيه: التحذير من الخصومات في الدين، والتحذير من البدع، والأمر بلزوم الجماعة والسنة.



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٦١٥) عن ابن عباس، به.

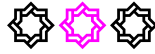


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «مَا خَاصَمْتُ قَطُّ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لإبراهيم النخعي، التابعي المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «مَا خَاصَمْتُ قَطُّ»؛ لأن الخصام يؤدي إلى الشُّبه، والشبه تؤدي إلى البدع - كما سبق - فلهذا ابتعد عن الوسيلة رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن الخصومة وسيلة إلى الشبهة، والشبهة وسيلة إلى البدعة. فعل العبد أن يبتعد عن الوسائل حتى لا تحصل الغايات، وهذا من الفقه في الدين، ويدل على إيمان العبد وقوته في دين الله.



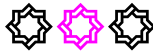
(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٧٣/٦)، والفسوي في «المعرفة» (٣٤٧/٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٢٩٨) عن إبراهيم، به.

وجوب لزوم الجماعة وذم التفريق والابتداع

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
(وَقَالَ مُعَاذٌ : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ
بِشُدُوذِهِ»)(١) .

الشَّيْخُ

○ قوله : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ الْجَمَاعَةِ» ؛ أي : يد الله مع جماعة أهل السنة وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة والعلماء .
فالواجب لزوم طريقهم ؛ لأن الصحابة والتابعين على الحق ، وهم الفرقة الناجية ، وهم خير وأفضل الناس بشهادة التنزيل ، وسمعوا كلام النبي ﷺ ، فلا كان ولا يكون بعدهم أفضل منهم (٢) .
○ قوله : «وَمَنْ شَذَّ - أي : عنهم - لَمْ يُبَالِ اللَّهُ بِشُدُوذِهِ» ؛ أي : بخروجه عن الحق ؛ لأن الحق في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وما درج عليه الصحابة والتابعون ، ومن شذَّ شذ في النار ولم يبال الله بشدوذه .
وهذا فيه : التحذير من الشذوذ والبدع والشبهات .
وفيه : الأمر بلزوم السنة والجماعة .



(١) وأخرجه مرفوعاً الترمذي رقم (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما . واستنكره البخاري كما في «العلل الكبير» للترمذي رقم (٥٩٧) .

(٢) انظر : «مجموع الفتاوى» (١١٩/٧) ، (٢٤٣/١٣) ، و«فضل علم السلف» لابن رجب ، و«الصارم المنكي» (ص ٤٢٧) ، و«الأم» للشافعي (٦٥/٧) .



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُصْعَبٌ: «لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتَابِعَهُ، أَوْ يُؤْذِيكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ»^(١)).

❏ الشَّيْخُ ❏

❏ قوله: «لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا» أي: مبتدعاً؛ لأن المبتدع مفتون في دينه.

❏ قوله: «فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتَابِعَهُ أَوْ يُؤْذِيكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ»، فأنت متضرر على كل حال، فهذا جليس السوء؛ كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمَسْكِ وَالْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَّ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً»^(٢)؛ فهو إما أن يهدي لك هدية، أو تشتري منه، أو يعلق بك رائحة طيبة، فأنت مستفيد على كل حال.

فالجليس الصالح يحضُّك على الخير، أو يحذرك من الشر ومن البدع، وأما جليس السوء فإنك متضرر منه على كل حال: «كَنَافِخِ

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٦٥) عن مصعب بن سعد، به.

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨) - وهذا لفظه - من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً، فكَذَلِكَ جَلِيسُ السَّوِّءِ إِمَّا أَنْ يَحْسِنَ لَكَ الْبَدْعَ وَالْمَعَاصِي، وَإِمَّا أَنْ يُوَقِّعَكَ فِيهَا، وَإِمَّا أَنْ يَهْوَنَ مِنْ شَأْنِهَا فِي نَفْسِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَصْعَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ» أَي: لَا تَسْلَمُ فِي الْغَالِبِ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ خَصْلَتَيْنِ:

الخصلة الأولى: «إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتُتَابِعَهُ»؛ أَي: يُوْثِّرُ عَلَيْكَ وَيَحْسِنُ هَذِهِ الْبَدْعَةَ وَالشَّبْهَةَ فِي نَفْسِكَ حَتَّى تَوَافِقَهُ وَتَعْتَنِقَهَا.

الخصلة الثانية: «أَوْ يُؤْذِيكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ»؛ أَي: يُوْذِيكَ بِكَلَامِهِ وَبِشَبْهِهِ الَّتِي يُوْرِدُهَا حَتَّى يُوْذِيكَ وَيُوْغِرَ صَدْرَكَ، وَتَتَأَلَّمَ إِذَا كَانَتْ فِي قَلْبِكَ حَيَاةٌ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْحَيَّ يَتَأَلَّمُ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَدْعِ وَالْمَعَاصِي.

وهذا فيه: التحذير من البدع، والأمر بلزوم السنة والجماعة.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عَلِيٌّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ -: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ»، هذه من بعض النساخ، ولا يختص بها علي عن غيره، فالصحابا كلهم كرم الله وجوههم ورضي الله عنهم^(٢)؛ فتخصيص علي رضي الله عنه بقول: كرم الله وجهه، أو عليه السلام، هذا من ناسخ فيه تشيع

○ قوله: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»، وهذا من باب الوعيد مما يدل على أن ذلك من الكبائر؛ فمن فارق الجماعة فقد ارتكب كبيرة؛ كما جاء في الحديث الآخر: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيُضِرِّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(٣)، فهذا الحديث من باب الوعيد والتغليظ، مما يدل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٧، ٣٧١٥٥)، والمصنف في «الإبانة الكبرى» (١٢٥، ١٢٦) عن علي رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» (٦٧٧/٣): «قد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوّى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله أجمعين».

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي سترون بعدي، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

على أن ذلك من الكبائر، ولا يدل على أنه كافر. فمفارقة الجماعة مفارقة للسنة، ومخالفة لها، ومن خالف السنة يُخشى عليه الهلاك. والكبيرة: قد تكون: كبيرة مُكفّرة، وقد تكون: غير مُكفّرة. فإن كانت مفارقتها الجماعة مفارقةً لهم في أصل الدين؛ بأن ارتكب شركاً في العبادة أو ناقضاً من نواقض الإسلام فهذا كفر ورده.

وإذا كان دون ذلك فهو كبيرة من كبائر الذنوب. وفيه: الحث على لزوم الجماعة؛ وأن مفارقة جماعة المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: «دَخَلْتُ مَعَ طَاوُسٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَقُولُ فِي الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْقَدَرَ؟ قَالَ: أَرُونِي بَعْضَهُمْ، قُلْنَا: صَانِعٌ مَاذَا؟ قَالَ: أَنَا أَجْعَلُ يَدِي فِي رَأْسِهِ ثُمَّ أَدُقُّ عُنُقَهُ حَتَّى أَقْتَلَهُ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا القول لأبي الزبير، وهو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: دخلت مع طاوُس على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له طاوُس: «مَا تَقُولُ فِي الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْقَدَرَ؟» أي: يردون قدر الله وقضائه، والذين يردون القدر على طائفتين - كما سبق - إما أنهم:

الطائفة الأولى: لا يؤمنون بعلم الله وكتابته، فأولئك هم القدرية الأولى الذين يقولون: إن الأمر أنف - أي: مستأنف وجديد - وإن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها حتى تقع، وينكرون كتابة الله للأشياء في اللوح المحفوظ، وهؤلاء كفرة، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن أنكروا كفروا). وأخرجهم العلماء من الثنتين والسبعين فرقة

(١) أخرجه ابن المستفاض في «القدر» (٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٩١١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٣٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٤/٥٩) عن أبي الزبير، به. وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٤٧/٢٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٠/٥)، جامع التحصيل (٢٦٩/١)، مشاهير علماء الأمصار (١١١/١).

لكفرهم وضلالهم، وهؤلاء هم الذين سئل عنهم ابن عباس، فقال: «أُرُونِي بَعْضَهُمْ». قلنا: «صَانِعُ مَاذَا؟» أي: ماذا تصنع فيهم؟ قال: «أَنَا أَجْعَلُ يَدِي فِي رَأْسِهِ ثُمَّ أَدُقُّ عُنُقَهُ حَتَّى أَقْتُلَهُ».

وهذا يدل على: أن ابن عباس يرى أنهم كفار يستحقون القتل لكفرهم وضلالهم وهؤلاء هم القدرية الأولى.

الطائفة الثانية: القدرية المتوسطة وهم عامة القدرية الذين يثبتون علم الله وكتابته للأشياء، ولكن ينكرون عموم الإرادة، وعموم الخلق. فهم ينكرون عموم الإرادة حتى لا تشمل إرادته للمعاصي والطاعات، وينكرون عموم الخلق حتى لا تشمل أفعال العباد، ويقولون: العباد هم الذين أرادوا أفعالهم وخلقوها مستقلين، والله تعالى لم يخلق أفعال العباد، لا الطاعات ولا المعاصي.

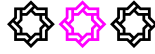
ولهذا يوجبون على الله أن يثيب المطيع، ويوجبون عليه أن يعاقب العاصي؛ لأنه هو الذي خلق فعل نفسه طاعة ومعصية. فهؤلاء لهم شبهة فليسوا كفاراً ولكنهم مبتدعة.

فالذين يقصدهم ابن عباس هم القدرية الأولى: الكفرة؛ ولهذا رأى أنهم يستحقون القتل.

وكان قد عَمِيَ ابن عباس رضي الله عنه؛ ولهذا قال: أُرُونِي بعضهم. وفي لفظ: قيل له: هنا قدرتي ينكر القدر. فقال: والله لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ولأدقن رقبته حتى أقتلها^(١).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/٣٣٠) من طريق محمد بن عبيد المكي، عن عبدالله بن عباس قال: قيل لابن عباس: إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه - وهو يومئذ قد عمي - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات، =

وهذا يدل على أنه ﷺ يرى أنهم كفار^(١).
وفيه: التحذير من أهل البدع القدرية وغيرهم.



= هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده، لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً.
(١) انظر: «الملل والنحل» (١/٣٠)، و«ميزان الاعتدال» (٣/٣٣٨)، و«نشأة الفكر الفلسفي» للنشار (١/٣١٩).

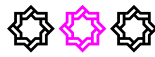
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»)^(١).

الشَّيْخُ

مفارقة الجماعة تكون بمخالفة السنة وفعل البدعة، فمن فارق جماعة أهل السنة بأن شذَّ عنهم وفعل البدعة؛ فإنه يكون مفارقاً للجماعة، ومن فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية؛ وهذا من باب الوعيد والمعنى: أنه مرتكب للكبيرة والبدعة؛ كقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢)؛

○ قوله: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ»؛ بأن ترك السنة وفعل البدعة، «فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» أي: يكون مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب. وهذا فيه: التحذير من البدع. وفيه: الأمر بلزوم السنة والجماعة، والتحذير من الشذوذ ومخالفة السنة.



(١) أخرجه البخاري في الفتن، باب قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سترون بعدي...، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما مرفوعاً ولفظه: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(٢) تقدم تخريجه.

حرمة التكذيب بآيات الله

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨] قَالَ: «يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا»^(١).

الشيخ

هذا الأثر عن مجاهد بن جبر المكي في قول الله ﷻ: ﴿يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨] فسرّها بقوله: يكذبون، ويدخل في عمومها: أهل البدع فإنهم يخوضون في آيات الله، ويكذبون بالسنن، ويرتكبون البدع، فالذين يخوضون في آيات الله بالباطل، ويُعرضون عن السنن وعما دلّت عليه النصوص، ويعتنقون البدع لهم نصيب من هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨].

ففيه: التحذير من الخوض في آيات الله بغير علم؛ والتحذير من وسائل البدع - وهي الخوض في آيات الله بالباطل، وتكذيب النصوص وردّها وتأويلها وحملها على غير محملها -؛ لأنّ من خاض في آيات الله بغير علم تنشأ عنده الشُّبه، تنشأ من الشبه البدع.

فالواجب على المسلم أن يؤمن بآيات الله وبالسنن، وأن يلتزم ما دلت عليه النصوص، وأن يستقيم على الدين، وأن يحذر من البدع.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢٩/٧) عن مجاهد، به.

رد أعمال أهل البدع

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهُ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ عَمَلًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ أَبَدًا لَا صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا زَكَاةً وَلَا حَجًّا وَلَا جِهَادًا وَلَا عُمْرَةً وَلَا صَدَقَةً. حَتَّى ذَكَرَ أَنْوَاعًا مِنَ الْبِرِّ وَقَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ أَحَدِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَرَادَ سَفَرًا هَاهُنَا فَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ وَجْهِهِ الَّذِي أَرَادَهُ إِلَّا بُعْدًا؟! وَكَذَلِكَ الْمُبْتَدِعُ إِذْ لَا يَزْدَادُ بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِلَّا بُعْدًا»^(١).

الشيخ

وهذا الأثر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، محمول على المبتدع الذي بدعته مكفرة؛ فإن الله لا يقبل منه عملاً، لا صلاة ولا صياماً ولا زكاة حتى يتوب من كفره وضلاله، فجميع أعماله حابطة؛ لأن الكفر لا يقبل معه العمل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا

(١) أخرجه ابن المستفاض في «القدر» (٣٧٦)، والآجري في «الشرعية» (ص ٦٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٠) عن الحسن البصري مختصراً. وقد تقدم في «حديث صاحب البدعة لا يقبل له صوم ولا صلاة».

مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

○ قوله: «إِنَّمَا مَثَلُ أَحَدِهِمْ» يعني: المبتدعة الذين بدعتهم مكفرة؛ «كَمَثَلِ رَجُلٍ أَرَادَ سَفَرًا هَاهُنَا فَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ وَجْهِهِ الَّذِي أَرَادَهُ إِلَّا بُعْدًا؟!» وكذلك المبتدع في سفره إلى الله لا يزداد بما يتقرب به إلى الله ﷻ إلا بعدًا؛ لأن الكافر عمله حابط، أما المبتدع الذي بدعته لا توصل للكفر فهذا مؤمن، ولكن إيمانه ضعيف ومرتكب للكبيرة؛ فالمعاصي والبدع بريد الكفر، فإذا كانت البدع لا توصل للكفر فإن عمله مقبول وصحيح وهو ضعيف الإيمان مرتكب لكبيرة وعليه الرأي؛ أما المبتدع الذي بدعته مكفرة فهو الذي لا تقبل أعماله وهذا هو الذي قصده الحسن رَحِمَهُ اللهُ.



ذَمُّ الْأَهْوَاءِ وَأَنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

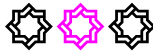
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ مُرَّةُ الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٤٣) قَالَ: «مُنْحَرَفَةٌ عَنِ الْحَقِّ لَا تَعِي شَيْئًا» (١).

الشَّجْحُ

هذا مُرَّةُ الطَّيِّبِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٤٣) [إبراهيم: ٤٢-٤٣] يقول: منحرفة عن الحق لا تعي شيئاً، وهم الظالمون والمبتدعة من الظلمة، فقد فسر ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٤٣) بأنها خالية عن الحق.

﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٤٣) [إبراهيم: ٤٣] في الدنيا لخلوها من الخير عن الحق، وفي الآخرة من شدة الخوف بسبب أعمالهم الخبيثة، وهذا في يوم القيامة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) [إبراهيم: ٤٢].

وهذا فيه: التحذير من أهل البدع؛ لأن أهل البدع يشاركون الكفرة في هذا، وإن كان المبتدع الذي بدعته غير مكفرة عنده أصل الإيمان إلا أن إيمانه ضعيف، أما المبتدع الذي بدعته مكفرة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة.



(١) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٤٨٨٤)، وابن جرير في «التفسير» (٢٤٠/١٣) عن مرة الطيب بلفظ: «متخرقة لا تعي شيئاً».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

(وَقَالَ أَبُو حَمْرَةَ: «سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ: أَيُّهَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْذَ بِرَأْيِكَ؟ فَقَالَ: مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ»^(١)).

الشَّيْخُ

قول إبراهيم النخعي وهو من صغار التابعين من أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، من أهل الكوفة.

○ قوله: «مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»؛ أي أن كل البدع شر، ليس فيها خير قط.

ومن قال من أهل العلم: إن البدع تنقسم إلى: بدعة حسنة وبدعة سيئة - فهذا ليس بصحيح، فالبدع كلها سيئة، ليس في البدع شيء حسن، وتوهم بعضهم ذلك من قول عمر رضي الله عنه: «نعمة البدعة هذه»، - في التراويح - فعمر رضي الله عنه سماها بدعة وهي ليست بدعة؛ أما البدع فكلها ضلالات، كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، كل البدع شر ليس فيها خير^(٢)؛ كما قال إبراهيم هنا: «مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٢/٤) وابن أبي زمنين في «رياض الجنة» (ص ٣٠١ رقم ٢٣٠)، عن النخعي، بنحوه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٧٠/١٠) و«الاعتصام» (١/١٤٠ - ١٤٤)، و«فتح الباري» (٢٥٤/١٣).

مِنْهَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» فالبدع ليس فيها خير أبداً، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار^(١).

■ **مسألة:** بعض الناس يستدل بأن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة بما في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

● **الجواب:** ليس المراد: بـ«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً...» يعني: من ابتدع بدعة في الدين، وإنما المراد: من أحيا السنة، وبادر إليها وعمل بها، «فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده»، والمراد من قوله ﷺ: «وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً...» يعني: من عمل بالبدعة، وتقدم الناس حتى اقتدوا به؛ «فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ».

وسبب الحديث؛ أنه جاء إلى النبي ﷺ جماعة عامتهم من فقراء مضر، ثيابهم مقطعة مخرقة من شدة الفقر، فالنبي ﷺ تأثر ورق لحالهم، فدخل وخرج، وأمر بلالاً فأذن، ثم لما صلى قام النبي ﷺ وحث على الصدقة على هؤلاء الفقراء، وقال: «تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ»، فقام رجل من الأنصار وأتى بكفٍّ من طعام حتى كادت يده تعجز عنها، فوضعها، ثم تتابع الناس واقتدوا به، حتى اجتمع عند النبي كومان من طعام ومن لباس، حتى تهلل وجه رسول الله ﷺ كأنه مُذهبة، ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ

(١) سبق الحديث.

أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمِنْ سَنٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

فهذا الأنصاري هو الذي تقدم الناس وأتى بكفٍّ من طعام، ثم تتابع الناس واقتدوا به، فسن سنة حسنة؛ حين بادر إلى الإنفاث وسبق إليه وعمل به أولاً، ومثاله: أنك لو ذهبت إلى بلد ووجدتهم لا يعرفون صلاة الضحى، ثم أرشدتهم وقلت: سنة الضحى مشروعة، والنبى ﷺ حث عليها أبا هريرة^(٢)، وأبا الدرداء^(٣) ووصَّاهما بها، ثم توضأت للضحى وصليت، فاقتدى بك الناس وصاروا يصلون الضحى، فقد سنت سنة حسنة، لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فأنت هنا لم تحدث سنة، وإنما أظهرت سنة عند قوم أضاعوها؛ فالمراد بإحياء السنة إظهارها، فلا يفهم من هذا الحديث جواز إظهار البدع.

○ قوله: «وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»، الشيطان يزين البدعة ويحسنها في قلوب معتققيها.

○ قوله: «وَمَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ»؛ أي: ما الأمر المقبول عند الله إلا الأمر الأول الذي عليه الرسول ﷺ والصحابة والتابعون

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم، باب صيام أيام البيض... رقم (١٩٨١)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه بنحو حديث أبي هريرة السابق.

وهو لزوم الكتاب والسنة والاستقامة على الدين وما تلقوه عن نبيهم

ﷺ

فالواجب: لزوم السنن والاستقامة على الدين والحذر من
الأنواء والبدع؛ فإنها زينة للشيطان؛ وليس فيها شيء من الخير.



ذم الرّفص

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «نِعْمَتَانِ لِلَّهِ عَلَيَّ لَا أَذْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ - أَوْ قَالَ: أَعْظَمُ - أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، وَالْأُخْرَى أَنْ عَصَمَنِي مِنَ الرَّافِضَةِ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذه مقالة لأبي العالية الرياحي بين فيها أن لله على العبد نعمتان:

النعمة الأولى: «أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ».

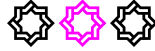
النعمة الثانية: «أَنْ عَصَمَنِي مِنَ الرَّافِضَةِ» سياق الكلام يقتضي أن يقال: أن عصمني من الرّفص؛ أي: مذهب الرافضة. ويحتمل معناه: أن عصمني من الرافضة فلم أكن معهم؛ وذلك أن الرافضة يُكْفَرُونَ الصحابة، وَيُفَسِّقُونَهُمْ؛ ويعتقدون أن القرآن غير محفوظ، وأنه لم يبق إلا الثلث، ويعبدون آل البيت؛ وهذا تكذيب لله، وكفر

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١١٤/٧)، والهروي في «ذم الكلام» (٨٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٨/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٠٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧٩/١٨) عن أبي العالية بنحوه. وأخرجه الدارمي في «السنن» (٣٠٩)، والهروي في «ذم الكلام» (٧٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٩٣/٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٠٨) عن مجاهد بنحو كلام أبي العالية.

وضلال، فلهذا قال أبو العالية: «نِعْمَتَانِ لِلَّهِ عَلَيَّ لَا أَذْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ أَوْ قَالَ: أَعْظَمُ».

والحقيقة أن النعمة الأولى هي الأصل، والثانية داخلية فيها؛ لأنه إذا هدى الله المسلم للإسلام فقد عصمه من الرفض؛ فإن الرفض ينافي الإسلام؛ لأنه كفر وضلال.

وهذا فيه: التحذير من البدع ومن الرفض - أي: مذهب الرافضة - والحث على لزوم السنة والجماعة والاعتصام بالدين.



ذَمُّ التَّجْهِمِ

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ شَقِيقٍ: «كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْمُبَارَكِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ ذَاكَ الْجَهْمِيُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي فَلَا تَعُدْ إِلَيَّ. قَالَ الرَّجُلُ: فَأَنَا تَائِبٌ. قَالَ: لَا، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْ تَوْبَتِكَ مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ بَدْعَتِكَ»).

الْتِمَاحُ

هذه المقالة للحسن بن عمر بن شقيق الجرمي، يروي عن عبدالله بن المبارك العالم الزاهد الإمام المشهور أنه جاءه رجل كأنه لم يعرفه ولم يتحقق منه، فقال له: «أَنْتَ ذَاكَ الْجَهْمِيُّ» أي الذي تقول بمذهب الجهمية؟ وهم الذين ينكرون أسماء الله وصفاته ويقولون: إن الله بكل مكان^(١) «قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي فَلَا تَعُدْ إِلَيَّ»، هجرًا له لكفره وضلاله؛ وهذا يدل على: وجوب هجر أهل البدع وإبعادهم، وأنه يجب المسلم أن يبعدهم من مجلسه، وألا يكونوا جلساء له. فقال الرجل: «فَأَنَا تَائِبٌ» وهذا في وقت ظهرت فيه السنن، والبدع كانت قليلة؛ حيث كان أهل السنة والأئمة والعلماء مكانة ولهم قوة، وأهل البدع مخذولون.

(١) انظر: «الفرق بين الفرق» (ص ١٩٩).

ولهذا قال هذا المبتدع لعبد الله بن المبارك: «فَأَنَا تَائِبٌ» قال: «لَا»، لا أقبل منك «حَتَّى يَظْهَرَ مِنْ تَوْبَتِكَ مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ بِدْعَتِكَ»، أي: فكما أظهرت بدعتك فأظهر السنة في الأمكنة التي أظهرت فيها البدعة؛ حتى يكون ذلك علامة على توبتك، أما دعوى باللسان فلا أقبل.

فدل على وجوب هجر أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج حتى تظهر توبتهم؛ ولهذا لم يقبل منه عبدالله بن المبارك قوله ولا كلامه حتى تظهر توبته بالفعل.



إعتزال أهل البدع ووجوب النصيحة لهم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ: «قَالَ لِي ثَابِتُ بْنُ عَجْلَانَ: أَدْرَكْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَعَامِرًا الشَّعْبِيَّ، وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، وَالْحَكَمَ بْنَ عُتَيْبَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَعَطَاءً، وَطَاوُسًا، وَمُجَاهِدًا، وَابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَمَكْحُولًا، وَسُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى، وَالْحَسَنَ، وَابْنَ سِيرِينَ، وَأَبَا عَامِرٍ، وَأَبُو عَامِرٍ أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ غَيْرِهِمْ قَدْ سَمَّاهُمْ، فَكُلُّهُمْ يَأْمُرُنِي بِالصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، وَيَنْهَانِي عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ. حَتَّى قَالَ: وَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٍ أَوْثَقُ فِي نَفْسِي مِنْ مِشْيَتِي إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ، وَلَرُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ الْوَالِي كَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَرَأَيْنَاهُ، فَلَا نَدْعُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة نقلها بقية بن الوليد عن ثابت بن عجلان يبين أنه أدرك وهؤلاء الأئمة من التابعين ومن بعدهم كلهم يأمرونه قال:

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٣٩)، والطبراني في «الشاميين» (٢٢٥٧)، والفسوي في «المعرفة» (٣/٣٧٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/١٣٣) عن طريق بقية به.

«بِالصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، وَيَنْهَانِي عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ»؛ أي: بلزوم السنة والجماعة.

ومن لزوم السنة: لزوم جماعة المسلمين بأن يصلي مع المسلمين في جماعتهم، ويحذر من الشذوذ، فمن ترك الجماعة فقد شذ عن المسلمين، والجماعة واجبة، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] وقال: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ولم يرخص النبي ﷺ لابن أم مكتوم وكان رجلاً ضريب البصر فلما جاءه قال له النبي ﷺ: «أَتَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ» ثم قال: «فَأَجِبْ»^(١) فالصلاة في جماعة، هذا من لزوم جماعة أهل السنة. وفيه: تحذير من البدع

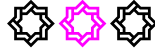
○ قوله: «مَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَوْثَقُ فِي نَفْسِي مِنْ مِشْيَتِي إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ»؛ أي: مشيتي إلى هذا المسجد وصلاتي مع المسلمين ولزوم جماعتهم أراه من أوثق الأعمال التي أعملها وأرجو برّها وذخرها عند الله.

○ قوله: «وَلَرُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ الْوَالِي كَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَرَأَيْنَاهُ، فَلَا نَدْعُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ» أي: أنه في العصر الأول كان الأمراء يصلون بالناس وقد يكون عليهم بعض الشيء؛ أي: بعض المعاصي. «وَقَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَرَأَيْنَاهُ، فَلَا نَدْعُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ».

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المساجد على من سمع النداء (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلّي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم، قال: «فأجب».

ومقصوده: أن لزوم جماعة المسلمين من أوثق الأعمال حتى ولو كان الإمام الذي يصلي عليه بعض الملحوظات؛ لكن المصيبة في البدع والشذوذ.

والواجب على المسلم لزوم جماعة المسلمين في معتقداتهم، وفي صلواتهم، وفي عباداتهم، وفي أوطانهم، وبلدانهم، والحذر من الشذوذ والبدع.



قال المؤلف رحمه الله:

(وقال ابن وهب: «سئل مالك عن أهل القدر: أيكف عن كلامهم أو خصومتهم أفضل؟ قال: نعم، إذا كان عارفاً بما هو عليه. قال: وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر وتخيرهم بخلافهم ولا يواضعوا ولا تصل خلفهم، قال مالك: ولا أرى أن يناكحوا»^(١)).

الشرح

هذه مقالة ابن وهب قال: «سئل مالك عن أهل القدر» أي: الذين يتكلمون في القدر، وهم طائفتان كما سبق: الطائفة الأولى: ينكرون علم الله وكتابته.

الطائفة الثانية: ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق.

فسئل مالك بن أنس: «أيكف عن كلامهم أو خصومتهم أفضل؟ قال: نعم، إذا كان عارفاً بما هو عليه»، فإذا كان يُعرف ما هو عليه، وأنه مُصِرٌّ على ذلك، فلا يجادل ولا يخاصم، ولكن يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر؛ ولهذا قال: «وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتخيرهم بخلافهم»؛ يعني: تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر من غير جدال ولا خصومة، وتخيرهم بأنهم مخالفون لما عليه أهل السنة والجماعة.

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٨٤٧)، وأورده القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٩١/١).

○ قوله: «قَالَ مَالِكٌ: وَلَا أَرَى أَنْ يُنَاكِحُوا» فيه: أن القدري لا يُزَوِّج، ولا يصلى خلفه؛ لأنه كافر، فالذي لا يؤمن بعلم الله وكتابته للأشياء كافر لا يزوج ولا يصلى خلفه؛ أما عامة القدرية الذين ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق ويقولون: إن العباد خالقون لأفعالهم، فهؤلاء بدعتهم كبيرة تنقص الإيمان وتضعفه، ولا يُكْفَر ولا يرتب إمامًا للمسلمين، ولكن إذا لم يوجد غيره وُضِّلَ خلفه فالصلاة صحيحة في أصح قولي العلماء.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قَالَ^(١): «وَسُئِلَ مَالِكٌ: عَنْ تَزْوِيجِ الْقَدَرِيِّ فَقَالَ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١]»^(٢)).

الشيخ

قول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يدل على أنه يرى أن القدرى كافر لا يُزَوِّج؛ ولهذا تلا هذه الآية: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] فدل على أنه يرى أن القدرى مشرك، فالمشرك لا يزوج وهذا محمول على القدرى الغالى، وهم القدرية الغلاة الأول الذين ظهرُوا في عصر الصحابة وأنكروا علم الله وكتابته للأشياء، أما عامة القدرية المتأخرين فهم مبتدعة

ومراتب القدر أربع لا بد من الإيمان بها:

المرتبة الأولى: علم الله بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابة الله في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: إرادته للأشياء قبل كونها.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد.

(١) أي: ابن وهب.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٩ رقم ٢١٠٦)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٢٥٦ رقم ١٨٥٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٣٢ رقم ١٣٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦) عن مالك، به.

والفرق بين الطائفتين: أن القدرية الأولى ينكرون المرتبتين الأوليين؛ وهم كفرة، والمتوسطون يقرون بالمرتبتين الأوليين والمرتبتين الأخريين وينكرون العموم. فيقولون: أراد الله كل شيء إلا أفعال العباد والخلق. فيقولون: خلق الله كل شيء إلا أفعال العباد فهم الخالقون لها. وهذا بسبب الشبهة التي حصلت لهم، فهؤلاء مبتدعة.

ومراد مالك رَحِمَهُ اللهُ: أن الذي لا يُزَوِّج هو من كان من القدرية الأولى؛ ولهذا تلا الآية: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] فدل على أن القدرية مشرك لا يزوج. ففيه: التحذير من بدعة القدرية وغيرها.





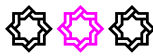
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ^(١): سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: «كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَادْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلَكَ فَخَاصِمُهُ»^(٢).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لمالك رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا تابعة لما نقله ابن وهب، وهذا يدل على أن المبتدعة أهل شكوك وليس عندهم يقين.

فالواجب: الحذر من أهل البدع حتى لا يشككوا الإنسان في دينه وعقيدته: في ربه وفي أسمائه وصفاته؛ مثل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم.



(١) أي ابن وهب.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٢٤/٦)، (١١٢/٩)، والذهبي في «السير» (٩٩/٨)، وفي «العلو» (٣٧٩) من طريق الشافعي عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ قَالَ: وَقَالَ مَالِكٌ: «يَلْبِسُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مَنْ يُعَرِّفُهُمْ»)).

الشَّيْخُ

قول مالك هذا تابع - أيضاً - لما نقله ابن وهب عنه.
وفيه: وصف أهل الأهواء، أهل البدع، الذين يَلْبِسُونَ على أنفسهم أو يَلْبِسُونَ على أنفسهم، ويطلبون مَنْ يُعَرِّفُهُمْ، فهم الذين لَبَّسُوا على أنفسهم باعتناق البدع، وقبول الشبه، والتعرض لها، والصد عن النصوص، والبعد عن النصوص الواضحة الجلية.
فلما أعرضوا عنها عوقبوا ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥] نسأل الله السلامة والعافية.

فالواجب: الحذر من أهل البدع والإصغاء إلى شبههم.



ومن يتق الله يجعل له مخرجاً

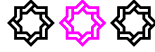
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مَالِكُ: «قَالَ لِي رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ فِي هَذِهِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: فَأَنَا أُخْبِرُكَ، لِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَأَنَّكَ لَا تَتَّقِي اللَّهَ، وَلَوْ كُنْتَ تَتَّقِي اللَّهَ لَجَعَلَ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ مَخْرَجًا»).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لمالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «قَالَ لِي رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ فِي هَذِهِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا فَلَمْ أَرْ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا» المراد بالأديان: البدع المتعددة؛ لأن كل أهل بدعة يدينون ببدعتهم ويعتقدونها، «فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: فَأَنَا أُخْبِرُكَ، لِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَأَنَّكَ لَا تَتَّقِي اللَّهَ، وَلَوْ كُنْتَ تَتَّقِي اللَّهَ لَجَعَلَ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ مَخْرَجًا»؛ يعني: عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٧﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فمن اتقى الله وجاهد نفسه وعمل بالنصوص وابتعد عن البدع جعل الله له مخرجاً من أمره، وعرف سبيل الحق، واستقام على الدين، ولزم السنة والجماعة.

ومن لم يتق الله فإنه يُخذل بسبب بُعده عن قبول الحق، وبعده عن النصوص وعدم قبولها، فعوقب - نسأل الله العافية - بأنه لم يستقر في نفسه شيء من الخير، ولا يرى شيئاً مستقيماً، بل عنده شكوك وشبهه، وليس عنده يقين؛ عقوبة من الله بسبب إعراضه وتركه الحق الواضح، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥] - نسأل الله السلامة والعافية -.



حكم أهل البدع

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَبُو سُهَيْلٍ - عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -: «شَاوَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْقَدْرِيةِ فَقُلْتُ: أَرَى أَنْ تَسْتَتِيبَهُمْ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا ضَرَبْتَهُمْ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ: ذَاكَ رَأْيِي^(١)، وَكَذَلِكَ كَانَ يَرَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَالْحَسَنُ^(٢) فِيهِمْ»).

الشَّجْ

كل هؤلاء العلماء الأجلاء: عم مالك بن أنس - على الصحيح -^{(٣) (٤)}، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك بن أنس، والحسن؛ كلهم يرون أن القدرية يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا، فإن كانت

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٥٩٧)، والدارمي في «النجاش» (٩٠٤ - ٩٠٥)، وابن المستفاض في «القدر» (٢٧٣: ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٧ - ١٩٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٨٢٠)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٣١٥: ١٣١٧)، والبيهقي في «السنن» (٢٠٦٧٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/٤١٨) من طريق أبي سهيل، بنحوه.

(٢) ذكره البيهقي في «مرهم العلل المضلة» (ص ١٣٤) عن الحسن.

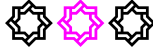
(٣) هذا هو الصواب: أنه عم مالك بن أنس؛ وذلك كما في مصادر التخريج، ومصادر ترجمته.

(٤) هو: نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي حليف بني تميم من قريش المدني هو أبو سهيل عم مالك بن أنس سَمِعَ أَبَاهُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَوَى عَنْهُ الزُّهْرِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/٨٦)، الطبقات الكبرى (٣١٦/١)، الكنى والأسماء للإمام مسلم (٤١٦/١).

بدعتهم توصل إلى الكفر - وهم القدريّة الأولى - فيقتلون لكفرهم وضلالهم، وهذا هو الغالب؛ لأن القدريّة الأولى يرون أن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، نسبوا الله إلى الجهل فكفروا.

وأما القدريّة الثانية؛ فإنهم يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا؛ منعاً لشركهم وفسادهم.

وفيه: التحذير من البدع والشبهات التي تنشأ منها البدع.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ لَا يَرَاهُمْ مُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ).

الشَّيْخُ

○ قوله: «لَا يَرَاهُمْ مُسْلِمِينَ»: يعني القدرية الأولى؛ وذلك لإنكارهم علم الله وكتابتة الأشياء قبل كونها - كما هو رأي كثير من العلماء - وهو الصواب، ولهذا أخرجوهم من الثنتين والسبعين فرقة التي قال فيها النبي ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسُفِّرَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(١).

○ قوله: «وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ»: يعني: أن الحسن بن محمد يرى أن الخوارج كفار عملاً بالنصوص التي ظاهرها كفرهم وضلالهم؛ كقوله ﷺ في الخوارج: «يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢)، وفي رواية أنه ﷺ قال: «ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ»^(٣)، ومثل

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه في الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه. وصححه ابن حبان (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، والحاكم (١٠، ٤٤١، ٤٤٢)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». قال الحاكم: «هذا حديث كثر في الأصول، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك عن رسول الله ﷺ مثله...».

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٠)، ومسلم في الكسوف، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق...، رقم (٧٥٦٢).

قوله ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ عَادٍ»^(١)؛ شَبَّهَهُمْ بِعَادٍ وَهُمْ قَوْمُ كُفَّارٍ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

فظاهر النصوص أنهم كفار.

وهذا هو القول الأول وبه أخذ بعض أهل العلم، ومنهم الحسن بن علي، وهو رواية عن الإمام أحمد^(٣).

والقول الثاني الذي عليه الجمهور: أن الخوارج مبتدعة، وليسوا كفارًا، وهو الذي عليه الصحابة؛ فالصحابة عاملوا الخوارج معاملة المبتدعة، ولم يعاملوهم معاملة الكفار؛ لأنهم متأولون، ولما سئل عليٌّ رضي الله عنه عن الخوارج: أهم كفار؟ قال: من الكفر فرؤوا^(٤).

فالصحابة - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٥) : عاملوهم معاملة العصاة، والجمهور أيضًا على ذلك.



(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، رقم (٧٤٣٢)، ومسلم في الكسوف، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل الخوارج والملحد، رقم (٦٩٣٠)، ومسلم في الكسوف، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦) - وهذا لفظه - من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٣٥٣/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٧٨٤٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٦٥٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣٣٥/٢٣)، وفي «الاستذكار» (٥٠١/٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٥/١) عن علي. وانظر: «فتح الباري» (٣٠١/١٢).

(٥) انظر: «منهاج السنة» (٢٤١/٥).

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «مَنْ تَعَاطَى الْكَلَامَ تَزْنَدَقَ»)^(١).

الشَّجْ

هذه المقالة مروية عن عدد من أهل العلم، وهي تعني أن من اشتغل بالكلام وترك النصوص من الكتاب والسنة، وصار همه مقالات أهل الكلام أي مقدماتهم وشبههم، فإنه يصل إلى الزندقة.

والزندقة معناها: النفاق - والعياذ بالله -.

وأصل كلمة الزندقة: كلمة فارسية معربة، والزنديق: هو الخارج عن الدين.

وكانوا يسمونهم في عهد الصحابة «منافقين».

ثم بعد عهد الصحابة صار المنافق يسمى «زنديقاً».

وفي عصرنا يسمى المنافق - الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر -: «علمانياً»، ويوجد العلمانيون والمنافقون في المجتمع إذا كان المسلمون أقوياء، ويوجد شباب كثيرون مؤمنون بالله ورسوله وعندهم حماس للدين، لكنهم أي العلمانيين حينئذ يخفون الكفر ويظهرون الإسلام، فينشرون الشر والكفر، ويحاولون نشر الفساد على الأمة لإفساد الأخلاق، وإفساد المرأة باسم الإصلاح، وباسم التجديد، وباسم التطور، وباسم المدنية والحضارة، يريدون القضاء على

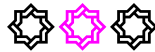
(١) سيأتي بعده من كلام أبي يوسف القاضي.

الإسلام والمسلمين، فهم يتسترون؛ لأنهم إذا أظهروا الكفر قُتلوا، أما إذا ضعف الإيمان وكان المجتمع ضعيفاً؛ أظهر العلمانيون كفرهم علانية؛ لأنه لا يوجد من يمنعهم.

وقد ذكرهم الله في أول سورة البقرة؛ فذكر أهل الإيمان باطنًا وظاهرًا في أربع آيات، وذكر الكفار ظاهرًا وباطنًا في آيتين، وذكر المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر في ثلاث عشرة آية بسبب تلبسهم؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] يظهرون الإسلام بالسنتهم ويبطنون الكفر، فهم ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩] والخداع وصف لهم. وكذلك يسمون الفساد صلاحًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] وهم يسمون الإيمان سفهًا، ويصفون المؤمنين بالسفه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣].

الخلاصة: من تعاطى الكلام، واعتمد على الشبه، وأعرض عن النصوص؛ فإنه يصل إلى الزندقة وإلى النفاق.

ففيه: التحذير من تعاطي الكلام والشبه والشكوك والبدع؛ فإنها توصل إلى الزندقة وهي النفاق - نعوذ بالله -.



التحذير من مجالسة المبتدعة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذَّكْرِ، فَاَنْظُرْ مَعَ مَنْ يَكُونُ مَجْلِسُكَ، لَا يَكُونُ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَعَلَامَةُ التَّفَاقِ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ وَيَقْعُدَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذَّكْرِ» فانظر مع من يكون مجلسك، فمجالس العلماء من أهل السنة والجماعة وأهل العلم تحضرها الملائكة، أما مجالس البدع فلا تحضرها الملائكة. جاء في الأثر عن محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(٢)؛ فالإنسان إذا تعلم إنما يحضر مجالس علماء السنة، ويحذر من مجالس أهل البدع.

(١) الصواب أن هذا القول للفضيل بن عياض، كما أخرجه المؤلف في «الإبانة الكبرى» (٤٤١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٧/٤٨) عن الفضيل بن عياض، به. أما قول ابن المبارك فقد أخرجه المؤلف (٤٥٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٨١) عن ابن المبارك بلفظ: «يكون مجلسك مع المساكين وإياك أن تجالس أصحاب بدعة».

(٢) أخرجه مسلم في «المقدمة» (١٤/١).

○ قوله: «وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ وَيَقْعُدَ مَعَ صَاحِبِ
 بِدْعَةٍ»؛ أي: إذا كان الإنسان يصاحب أهل البدع؛ فهذا دليل على
 مرض في قلبه قد يصل به إلى النفاق - نعوذ بالله -، وإذا كان
 الإنسان يجالس أهل السنة فاعلم أنه على استقامة وعلى الجادة،
 وهو دليل على سلامة معتقده، فالمرء على دين جليسه.



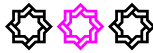


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ: «مَنْ أَصْغَى بِسْمَعِهِ إِلَى
صَاحِبِ بِدْعَةٍ نَزَعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةَ، وَوُكِّلَ إِلَى نَفْسِهِ»^(١).

الشَّيْخُ

تُنَزَعُ الْعِصْمَةُ مِمَّنْ أَصْغَى بِسْمَعِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ لِأَنَّهُ هُوَ
الَّذِي اخْتَارَ الْبِدْعَةَ بِنَفْسِهِ، فَالْوَاجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الْبِدْعِ، وَلِزُومِ السَّنَةِ
وَالْجَمَاعَةِ حَتَّى يَعِصِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْفِتَنِ؛ فَإِذَا اخْتَارَ الْإِنْسَانُ الْبِدْعَةَ
وَتَعَرَّضَ لِلْفِتَنِ، وَمَشَى إِلَى مَوَاقِعِ الرَّيْبِ؛ فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ الْعَطْبُ
وَالْهَلَاكُ، وَيُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ تُنَزَعَ مِنْهُ الْعِصْمَةُ مِنَ الْفِتَنِ، وَأَنْ يُوَكَّلَ
إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ وُكِّلَ إِلَى نَفْسِهِ هَلَكَ.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٥٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٩٤٨)،
وابن الجوزي في «تلبس إبليس» (ص ٢٤) عن محمد بن النضر، به.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿ وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ : «أَدْرَكْتُ خِيَارَ النَّاسِ كُلَّهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ، يَنْهَوْنَ عَنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ، وَصَاحِبِ سُنَّةٍ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ فَإِنِّي أَرْجُو لَهُ، وَصَاحِبِ بِدْعَةٍ لَا يَرْفَعُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا وَإِنْ كَثُرَ»^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله : «يَنْهَوْنَ عَنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ» ؛ ذلك لأن أصحاب البدع مخالفون للسنن، وهم عصاة معرضون للفتنة .

○ قوله : «وَصَاحِبِ سُنَّةٍ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ فَإِنِّي أَرْجُو لَهُ» : يعني : أرجو له الخير؛ أن يثاب، وأن يبارك الله في عمله ولو كان قليلاً، بخلاف صاحب البدعة، ولو كان عمله كثيراً فإنه لا بركة فيه.

فالعامل الكثير مع البدعة لا يصح، والعمل القليل مع السنة يبارك الله فيه ويثيب عليه ثواباً كثيراً.

فالواجب لزوم السنن، والبعد عن البدع والمحدثات في الدين.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٧) عن الفضيل مختصراً.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ السَّرْحَسِيُّ عَالِمُ الْحَرَنِ ^(١) صَاحِبُ ابْنِ
الْمُبَارَكِ: «أَكَلْتُ عِنْدَ صَاحِبِ بَدْعَةٍ أَكَلَةً، فَبَلَغَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فَقَالَ: لَا
أُكَلِّمُكَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا» ^(٢).

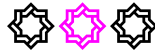
الشَّيْخُ

هذه المقالة يرويها عبدالله بن عمر - صاحب ابن المبارك - أنه
لما دعاه صاحب بدعة وجلس معه وأكل معه أكلة، فبلغ ذلك ابن
المبارك، هجره ثلاثين يومًا تأديبًا له.

وهذا فيه: التحذير من البدع.

وفيه: أن من جالس أهل البدع يُعزَّر ويؤدَّب.

أن الأئمة والعلماء يُحذِّرون من أهل البدع، ويعززون مَنْ
جالسهم، تأديبًا لهم وتحذيرًا لهم من الإصغاء إلى شبههم.



(١) كذا في الأصل، وقد سماه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٥٠): «صاحب الحزن».

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٤)، وذكرها أيضا ابن حبان في
«الثقات» (٨/ ٣٥٠).



قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ الطُّوسِيُّ: «قَالَ لِي ابْنُ الْمُبَارَكِ: يَكُونُ مَجْلِسُكَ مَعَ الْمَسَاكِينِ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُكَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مَقْتَ اللَّهِ ﷻ»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قول ابن المبارك لإسماعيل الطوسي: «يَكُونُ مَجْلِسُكَ مَعَ الْمَسَاكِينِ»: هذا خبر بمعنى الأمر، والمعنى: ليكن مجلسك مع المساكين، والمساكين أي: من أهل السنة.

○ قوله: «وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُكَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مَقْتَ اللَّهِ ﷻ»: المقت: هو الغضب، وهو أشد البغض، فهذه وصية من ابن المبارك لإسماعيل الطوسي أن يكون مجلسه مع المساكين - أهل السنة ولو كانوا ضعفاء - ما داموا متمسكين بالسنة، وأن يحذر من مجالسة أهل البدع ولو كانوا من الأكابر، لأنه إذا جلس معهم يخشى عليه نزول السخط والغضب والبغض من الله ﷻ.

فدل هذا على: أن الأئمة والعلماء يحذرون من أهل البدع، ويرون: أن مجالس أهل البدع مجالس سخط وغضب ومقت من الله ﷻ؛ وذلك لبعدهم عن السنة، وانحرافهم عن الجادة والصراط المستقيم.



(١) أخرجه المؤلف في «الإبانة الكبرى» (٤٥٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٨/٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٨١).



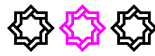
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الفضيل: «إِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مَقَتَ اللَّهِ ﷻ»)^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة للفضيل كمقالة ابن المبارك؛ فيها: التحذير من الجلوس مع أصحاب البدع.

○ قوله: «إِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»: يعني: أُنْذِرُكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، ثم بين العاقبة بقوله: «إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مَقَتَ اللَّهِ»، وهذا دليل على: أن العلماء يُحذِّرون من مجالسة أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والقدرية وغيرهم.



(١) تقدم بنحوه في الأثر السابق.

الزندقة تذهب الشرائع

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ: «بَعَثَ اللَّهُ آدَمَ ﷺ بِالشَّرِيعَةِ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ آدَمَ حَتَّى ظَهَرَتِ الزَّنَدَقَةُ، فَذَهَبَتْ شَرِيعَةُ آدَمَ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا ﷺ بِالشَّرِيعَةِ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ نُوحٍ فَمَا أَذْهَبَهَا إِلَّا الزَّنَدَقَةُ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حَتَّى ظَهَرَتِ الزَّنَدَقَةُ، وَذَهَبَتْ شَرِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى ﷺ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى ﷺ حَتَّى ظَهَرَتِ الزَّنَدَقَةُ، فَذَهَبَتْ شَرِيعَةُ مُوسَى، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى ﷺ فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ عِيسَى حَتَّى ظَهَرَتِ الزَّنَدَقَةُ، فَذَهَبَتْ شَرِيعَةُ عِيسَى، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ ﷺ مُحَمَّدًا ﷺ بِالشَّرِيعَةِ فَلَا يُخَافُ عَلَى ذَهَابِ هَذَا الدِّينِ إِلَّا بِالزَّنَدَقَةِ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذه المقالة عن منصور بن المعتمر فيها التحذير من الزندقة، والزندقة - كما سبق - هي: النفاق والخروج من الإسلام.

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٦١) من كلام زيد بن ربيع بلفظ: «بعث الله نوحا عليه السلام وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله موسى ﷺ وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة [موسى] فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله عيسى ﷺ وشرع له الدين فما أطفأها إلا الزندقة»، وذكره السيوطي في «الدر» (٣٤٠/٧) وعزاه لابن المنذر عن زيد بن ربيع.

قال منصور بن المعتمر: «بَعَثَ اللَّهُ آدَمَ ﷺ بِالشَّرِيعَةِ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَى شَرِيعَةِ آدَمَ حَتَّى ظَهَرَتِ الزُّنْدَقَةُ»: وهذا فيه نظر؛ لأن شريعة آدم كانت على التوحيد ولم يحصل زندقة ولا كفر عشرة قرون، حتى وُجد الشرك في زمن نوح - عليه الصلاة والسلام -.

وقد جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَاسٍ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] قال: كانوا على التوحيد^(١)، كان الناس على التوحيد والإسلام عشرة قرون، حتى ظهر الشرك في زمن نوح، فلما ظهر الشرك في زمن نوح بعث الله نوحًا، فنوح - عليه الصلاة والسلام - أول رسول بعثه الله في الأرض بعد وقوع الشرك، وإلا فقد كان قبله آدم وكان نبيًا مكلّمًا، وقبله أيضًا شيث ﷺ كان نبيًا، لكن لم يقع شرك في زمن آدم ولا في زمن شيث؛ إنما وقعت المعصية في زمن آدم ﷺ؛ حيث قتل قابيل أخاه هابيل، ولم يقع الشرك إلا في زمن نوح ﷺ؛ وآدم ﷺ أُرْسِلَ إلى بنيهِ فقط، أما نوح ﷺ فأُرْسِلَ إلى بنيهِ وغير بنيهِ، أُرْسِلَ بعد وقوع الشرك؛ فكان نوح ﷺ أول رسول بعثه الله إلى الأرض.

فقول منصور بن المعتمر السابق فيه نظر.

○ قوله: «ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ»؛ وهذا فيه أيضًا اختصار، وإلا فقد بعث الله هودًا قبل إبراهيم، ثم بعد ذلك لما وقع الشرك بعث الله صالحًا ﷺ، ثم بعد ذلك بعث الله إبراهيم ﷺ وبعد ذلك كانت النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم واستمر الناس.

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢٦٠٦) عن ابن عباس قال: على الإسلام كلهم. وذكره السيوطي في «الدر» (٥٨٢/١) وزاد نسبة ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بسند صحيح. وابن جرير في «التفسير» (٣٤٧/٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنه.

○ قوله: «ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ ﷺ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» بعد ذلك، ثم كُلف الأنبياء - الذين جاءوا بعد موسى كلهم - بالعمل بالتوراة حتى ظهر الشرك بعد ذلك فبعث الله عيسى عليه السلام، ثم بعد ذلك وقع الشرك في الفترة بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - فبعث الله محمداً - عليه الصلاة والسلام - بالشرعة.

○ قوله: «فَلَا يُخَافُ عَلَى ذَهَابِ هَذَا الدِّينِ إِلَّا بِالزُّنْدَقَةِ» أي: يُخشى من ذهاب هذا الدين بالنفاق والشرك؛ وهذا فيه تحذير من أسباب الشرك، فإن البدع يريد الشرك، وهي أقرب إليه من المعاصي.

ففيه: التحذير من الشرك وأسبابه وهي البدع.



التحذير من اتباع رؤساء الدنيا

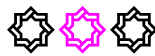
❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «لَا تُطِيعُوا رُؤَسَاءَ الدُّنْيَا فَيُنْتَسَخَ الدِّينُ مِنْ قُلُوبِكُمْ»).

الشيخ

هذا فيه التحذير من طاعة رؤساء الدنيا في المعاصي والبدع؛ فمن أطاع الرؤساء أو الأمراء أو الأغنياء أو الوجهاء في المعاصي والبدع فإنه يخشى عليه أن يُنسخ الدين من قلبه؛ لأن المعاصي والبدع بريد الكفر، والبدع أشد.

ففيه: التحذير من البدع والمعاصي؛ وأنه لا يُطاع أحد في المعاصي ولا في البدع، «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١) لا رئيس، ولا أمير، ولا وجيه، ولا عالم، ولا كبير، ولا أب، ولا زوج، ولا سيد، فلا أحد يطاع في المعاصي أيًا كان.



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٣١/١) رقم (١٠٩٥) عن علي بن أبي طالب، وأخرجه أيضًا (١/٤٠٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي (٦٦/٥) عن عمران بن حصين والحكم بن عمرو الغفاري. والحديث عند البخاري: المغازي (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩/١٨٤٠) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

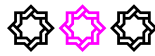


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

﴿وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «إِذَا أَطَاعَ النَّاسُ سُلْطَانَهُمْ فِيمَا يَبْتَدِعُ لَهُمْ،
أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَسْكَنَهَا الرُّغْبَ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا تحذير من الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طاعة السلطان في البدع؛ لأن البدع بريد الكفر، فإذا أطاعوه في البدع أخرج الله من قلوبهم الإيمان الكامل، وبقي أصل الإيمان الضعيف، ولا تزال البدع بالإنسان بدعة بعد بدعة حتى توصله إلى الكفر.
ففيه: التحذير من طاعة السلطان وغير السلطان في البدع والمعاصي.



(١) سيأتي بنحوه من قول يونس بن عبيد في أثر «إذا خالف السلطان السنة».

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْحَسَنُ: «سَيَأْتِي أُمَرَاءُ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، فَتُطِيعُهُمُ الرِّعْيَةُ خَوْفًا عَلَى ذَهَابِ دُنْيَاهُمْ، فَعِنْدَهَا سَلْبُهُمُ اللَّهُ الْإِيمَانَ، وَأُورَثَهُمُ الْفَقْرُ، وَنَزَعَ مِنْهُمْ الصَّبْرَ، وَلَمْ يَأْجُرْهُمْ عَلَيْهِ»).

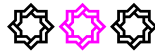
الشرح

هذه المقالة من الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في التحذير من طاعة الأُمراء فيما يخالف السنة من البدع، وأن هذا يكون في آخر الزمان.

○ قوله: «سَيَأْتِي أُمَرَاءُ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، فَتُطِيعُهُمُ الرِّعْيَةُ خَوْفًا عَلَى ذَهَابِ دُنْيَاهُمْ»: فعندها يعاقبون بنقيض قصدتهم؛ لأنهم أطاعوا الأمير خوفًا من ذهاب دنياهم.

○ قوله: «سَلْبُهُمُ اللَّهُ الْإِيمَانَ، وَأُورَثَهُمُ الْفَقْرُ»؛ أي: من أطاع السلطان خوفًا على ماله ودنياه عاقبه الله بالفقر، وسلب منه الإيمان، ونزع منه الصبر، ولم يأجره عليه.

وهذا فيه: التحذير من البدع، وأنه لا يطاع أحد في البدع والمعاصي، لا السلطان ولا الأمير ولا العالم ولا الكبير ولا الغني ولا الزوج ولا الأب ولا السيد: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١).



(١) سبق تخريجه.



قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ^(١): «إِذَا خَالَفَ السُّلْطَانُ السُّنَّةَ، وَقَالَتْ الرِّعْيَةُ: قَدْ أَمَرْنَا بِطَاعَتِهِ، أَسْكَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمُ الشَّكَّ، وَأَوْرَثَهُمُ التَّطَاعُنَ»^(٢)).

الشَّيْخُ

هذا فيه: دليل على أن صاحب البدعة يعاقب.

○ قوله: «إِذَا خَالَفَ السُّلْطَانُ السُّنَّةَ، وَقَالَتْ الرِّعْيَةُ: قَدْ أَمَرْنَا بِطَاعَتِهِ»: هذا غلط من هؤلاء القائلين، والصواب أن الرعية أمروا بطاعة الأمير في طاعة الله لا في معصيته؛ ولهذا قال النبي ﷺ «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(٣)، وفي الحديث الآخر: «أَطِيعُوا مَا أَمَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤)، وكذلك قوله ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٥) فقيّد - عليه الصلاة والسلام - طاعة الأُمراء بطاعة

(١) هو: يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبدالله، قال الذهبي: «أحد أئمة البصرة، من العلماء العاملين الأثبات»، تقدمت ترجمته في «حديث إني لأرى الشاب على كل حالة منكرة».

(٢) تقدم بنحوه من كلام الشعبي في أثر «إذا اطاع الناس سلطانهم فيما يبتدع لهم».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرج معناه ابن ماجه في الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، رقم (٢٨٦٥) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: «.... لا طاعة لمن عصى الله». وانظر: «معركة السنن والآثار» (٢٨٨/٦).

(٥) أخرجه البخاري كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، رقم (٧٢٥٧)، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء في غير معصية، رقم (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله ورسوله؛ فإذا أطاع الرعية الأمراء في المعصية وقالوا: أمرنا بطاعتهم، أورثهم ذلك الشك؛ بسبب قبول البدعة ومخالفة السنة، وسلط الله بعضهم على بعض، وأورثهم ذلك التطاعن فيما بينهم، بأن يعيب بعضهم بعضًا، وقد يؤدي ذلك إلى القتال والفتنة بسبب مخالفة السنة وقبول البدعة التي تورث الشك، وبالتالي تورث البغضاء والعداوة والتطاعن والقتال.



المرء على دين خليله

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «دِينُ الْمَرْءِ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(١)، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : «لَا تَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ بِشَيْءٍ حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يُخَادِنُ»^(٢)).

الشَّيْخُ

○ قوله : «دِينُ الْمَرْءِ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» يعني : صاحبه وصديقه.

○ قوله : «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» : فإذا كان صديق الإنسان وجليسه صاحب سنة فهو من أهل السنة، وإذا كان صاحب بدعة فهو من أهل البدعة، وإذا كان صاحب معصية فهو من أصحاب

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، والطيالسي في «المسند» (٢٥٧٣)، وأحمد (٣٠٣/٢)، رقم ٣٣٤، و٨٠٢٨ و٨٤١٧، والحاكم في «المستدرک» (٧٣١٩)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» (٣٥٩، ٣٦٢)، وابن وضاح في «البدع» (١٢٤)، والقضاعي في «الشهاب» (١٨٧، ١٨٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٢٠٦، ١٢٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب». وقال الحاكم : «صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه». وانظر : «العلل» للدارقطني (١٥٩٥).

(٢) أخرجه المؤلف في «الإبانة الكبرى» (٤٦٠) من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، قال : قال سليمان بن داود... فذكره.

المعاصي؛ فالإنسان على دين خليله، ولهذا يقول الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلُّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي^(١)

وهذا فيه: التحذير من مصاحبة أهل البدع وأهل المعاصي؛ لأنهم يجرونه إلى ما هم عليه، فإذا خالط الإنسان أهل الشرك جروه إلى الشرك، وإذا صاحب أهل البدع جروه إلى البدع، وإذا صاحب أهل المعاصي جروه إلى المعاصي، وكما سبق الحديث: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٢).

وكذلك قول سليمان بن داود عليه السلام: «لَا تَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ بِشَيْءٍ حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يُخَادِنُ»: يعني: لا تحكم على الشخص حتى تنظر قرينه وصاحبه وصديقه وجليسه، فإنك تجده مثله، إن كان قرينه مشرکًا فالغالب أنه يوافقه في الشرك، وإن كان قرينة مبتدعًا فهو مبتدع، وإن كان قرينه عاصيًا فهو عاصٍ، وإن كان قرينه مطيعًا ومن أهل السنة فهو مطيع ومن أهل السنة.

■ **مسألة:** ذكر أن حماد بن أبي سليمان ينهى عن الأهواء والبدع، وورد في كتاب الإيمان لابن تيمية^(٣): أنه أول من قال

(١) البيت لعدي بن زيد، ذكره ابن جرير في «التفسير» (٨٨/٥). وقال: «يريد بالقرين الصاحب والصديق». وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤٩٨/١).

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالس الصالحين، رقم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد تقدم في شرح حديث «لا تجالس مفتونا».

(٣) ضمن «مجموع الفتاوى» (٥٠٧/٧).

بالإرجاء، فكيف نوفق بين ذلك؟

• **الجواب:** صحيح أن حماد بن أبي سليمان - شيخ الإمام أبي حنيفة - أول من قال بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، والعلماء يسمونهم مرجئة الفقهاء، فليسوا من أهل البدع؛ ولهذا قال العلماء: هم طائفة من أهل السنة.

والفرق بينهم وبين جمهور أهل السنة؛ أن أهل السنة يقولون: الأعمال داخلة في مسمى الإيمان^(١)، وهم يقولون: إنها غير داخلة، وكل منهم يقول: الأعمال مطلوبة، وإن الإنسان إذا عمل واجبات يثاب عليها، وهي من التقوى ومن البر، وإذا عمل المعاصي فإنه يعاقب عليها، ويقام عليه الحد.

لكن الفرق: هل تُسمى إيماناً أو لا؟ بخلاف المرجئة المحضة، فهم يقولون: الأعمال غير مطلوبة؛ فلهذا مرجئة الفقهاء لا يُسمون من أهل البدع.

وقال بعض العلماء: إن بدعتهم بدعة لفظية^(٢).

والتحقيق في هذا: أن الخلاف بينهم وبين الجمهور ليس خلافاً لفظياً، ولكنه معنوي، إلا أنهم وإن كانت بدعتهم بدعة لفظية، فقد قال بعض العلماء: بدعتهم أشد من بدعة الأزارقة.

فحماد بن أبي سليمان لا يرى أنه على بدعة، يرى أن هذا الخلاف بينهم وبين الجمهور خلاف لفظي، فليس هو من الخوارج وليس من المعتزلة، وليس من الرافضة وليس من القدرية، لكن مسأله مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وبهذا يتبين ويزول الإشكال.

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٧٨).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ١٨٢).

■ **مسألة:** كثير من الناس عندما يسمع هذه الآثار يظن أن هذه الآثار خاصة بالأزمنة المتقدمة، وأنه لا وجود لأهل البدع في هذا الزمان، فهل هذا الفهم صحيح؟

● **الجواب:** أن البدع الموجودة في الأزمنة السابقة موجودة في هذا الزمان؛ فالجهمية موجودون الآن في كل مكان، يقولون: إن الله حالٌّ في كل مكان في الأرض وفي السماء، تعالى الله عما يقولون. والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة كل هؤلاء موجودون في هذا الزمان؛ بل موجود ما هو أدهى من هذا مثل أصحاب وحدة الوجود والاتحاد والحلول، وأكثر ما تجدهم في الطرق الصوفية، وغير ذلك كثير.





﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى مُوسَى: «يَا مُوسَى كُنْ يَقْظَانٍ وَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ إِخْوَانًا، وَكُلُّ خَدْنٍ لَا يُؤَاتِيكَ عَلَى مَسَرَّتِي فَأَحْذَرُهُ، فَإِنَّهُ لَكَ عَدُوٌّ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا من الآثار الإسرائيلية المأخوذة عن بني إسرائيل، وكان على المؤلف ألا يأتي بها اكتفاء بالنصوص من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة عن السلف؛ لكنه أراد أن يذكر ما ورد في الباب؛ من باب الاستشهاد.

وقد أراد بهذا التحذير من أخذان السوء، فالخدن: وهو الصديق والصاحب، إذا كان على بدعة غير مكفرة، عدو لله بقدر ما فيه من البدعة، وإن كانت بدعته مكفرة فهو عدو لله كامل العداوة. ولكن هذا من الآثار الإسرائيلية التي ليس لها زمام ولا خطام؛ لأنه لا بد في الأثر: أن يكون بسند متصل، ولم يعز المؤلف ﷻ هذا إلى أحد، وأحياناً يُعزى لمن يأخذ عن بني إسرائيل من التابعين وبينه وبين موسى ﷺ دهور تنقطع دونها أعناق المطي، فمن الذي سمع من موسى - عليه الصلاة والسلام -.

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٨٥)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥٣/٦١)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» (٣٦٦) عن محمد بن النضر الحارثي.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

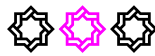
«وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «مَنْ خَفِيََتْ عَلَيْنَا بِدَعْتِهِ لَمْ تَخَفْ عَلَيْنَا
إِلْفَتُهُ»^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «مَنْ خَفِيََتْ عَلَيْنَا بِدَعْتِهِ لَمْ تَخَفْ عَلَيْنَا إِلْفَتُهُ» أي: لو
أخفى المبتدع بدعته فإنه لا تخفى إلفته ومصاحبته، فلا بد أن
يصاحب أهل البدع، فإذا صاحب أهل البدع عرفنا أنه مبتدع وإن
أخفى بدعته، فكونه يصاحب أهل البدع، ويألفهم، ويركن إليهم؛
فهذا دليل على بدعته.

ففيه: التحذير من أهل البدع.

وفيه: أن من الأدلة على أن الرجل من أهل البدع أن
يصاحبهم، فمن صاحب أهل البدع فهو منهم، ومن صاحب أهل
المعاصي فهو منهم، ومن صاحب الكفار وافقهم، وهكذا.



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٤٠) إلا أنه من طريق ابن المبارك، عن
الأوزاعي، به. وأخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٥٧) من وجه آخر عن
الأوزاعي.

السلطان إذا اتبع الهوى

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ لِلْمَجُوسِ دِينَ وَكِتَابٌ، فَوَقَعَ مَلِكٌ مِنْهُمْ عَلَى أُخْتِهِ - وَقَدْ كَانَ هَوِيَهَا - فَخَافَ رَعِيَّتَهُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي صَنَعْتُ حَلَالٌ، ثُمَّ قَتَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَقِيَ فِي الْمَجُوسِ نِكَاحُ الْأَخَوَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَبَطَلَتْ شَرِيعَتُهُمُ الْأُولَى)^(١).

الشَّيْخُ

هذا معروف عند المجوس؛ أنهم يجيزون نكاح الأمهات والأخوات، ويقال: إنه كان لهم دين وكتاب، وأنه وقع ملك منهم على أخته فرفع كتابهم، والله أعلم بهذا.

والمجوس: هم الذين يعبدون النار، وهم ملحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية؛ وقد بين الله تعالى في كتابه العظيم أن أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية، في قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ

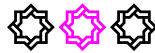
(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٢٦٢)، والشافعي في «المسند» (ص ١٧٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٨٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١١٩-١٢٠) عن علي بن أبي طالب عليه السلام. وحسنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٦١). قال ابن عبد البر: «وأكثر أهل العلم يأبون ذلك ولا يصححون هذا الأثر». وذكره السيوطي في «الدر» (٨/ ٤٦٧) ونسبه لعبد بن حميد عن علي.

أَلْحَقَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى يُخَيَّرُونَ بين الإسلام أو الجزية أو السيف، وأما سائر الكفرة من المشركين والوثنيين وغيرهم فيخَيَّرُونَ بين شيئين: بين الإسلام أو السيف؛ لأن أهل الكتاب لما كان لهم كتاب خف كفرهم، فصارت لهم أحكام خاصة، فصار يحل نكاح نسائهم وتحل ذبائحهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وطعامهم: أي: ذبائحهم. قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] يعني: حل لكم، أما المجوس؛ فإنهم يلحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية، لما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١).

ويقال: إن لهم شبهة كتاب، وهو أن لهم كتاباً رُفِعَ - والله أعلم - فهم ملحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية، لكن ليسوا ملحقين بأهل الكتاب في الأحكام الأخرى، في حل نسائهم وذبائحهم.

هذا الأثر لا يظهر وجه إيراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ له إلا من جهة أن أهل البدع قد توصلهم بدعتهم إلى الكفر، والشيطان يتدرج بالإنسان فينقله من البدعة إلى الكفر؛ إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية.



(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦١٧) عن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبدالرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». وذكر ابن كثير في «التفسير» (٢١/٢) أنه لا يثبت بهذا اللفظ لإرساله. وأخرج البخاري (٣١٥٧) من طريق بَجَالَةَ بن عبدة: لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ الْحَسَنُ: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ مَتِينًا مَا لَمْ تَقَعِ الْأَهْوَاءُ فِي السُّلْطَانِ، هُمْ الَّذِينَ يُدِينُونَ النَّاسَ، فَإِذَا وَقَعَ فِيهِمْ فَمَنْ يُدِينُهُمْ؟!»﴾^(١).

﴿ الشَّيْخُ ﴾

○ قوله: «وقال الحسن: لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ مَتِينًا» يعني: قويًا. وهذا فيه التحذير من البدع، وأن البدع تضعف الدين والإيمان، وإذا كانت البدعة مكفرة فإنها تقضي على الإيمان. فإذا وقعت الأهواء في السلطان صاروا يجبرون الناس على البدع «فَمَنْ يُدِينُهُمْ؟!»، فإن الناس على دين ملوكهم. ومثال هذا: ما حصل للمأمون الخليفة العباسي؛ فإنه اعتنق بدعة القول بخلق القرآن، وحمل الناس على ذلك، وأجبر العلماء على القول بها، ومن لم يقل بخلق القرآن رَجَّ به في السجون، سُجن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وضُرب على بدعة القول بخلق القرآن فامتنع وصبر، وصار شامخًا كالجبل لا يتزعزع^(٢).

فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ثبته الله وصار إمام أهل السنة والجماعة، ولكن من العلماء من تأول، ولهم رخصة في هذا؛ لأنهم أكرهوا

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٨٦) إلا أنه عن أبي حازم قوله، بنحوه.

(٢) انظر: محنة الإمام أحمد في ترجمته من «تهذيب الكمال» (٤٣٧/١).

على هذا بالسجن والضرب والقتل، حتى أذن الله بانتهاء المحنة،
وجاء المتوكل فأظهر السنة وأزال البدعة، فإذا اعتنق السلطان البدعة
حمل الناس عليها، وهذا من البلاء والمصائب - نسأل الله السلامة
والعافية -.





❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِذَا وَقَعَ النَّاسُ فِي الشَّرِّ فَقُلْ: لَا أُسْوَةٌ لِي فِي الشَّرِّ، لِيُوطِّنَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ كَفَرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَمْ يَكْفُرُ»^(١)).

❏ الشَّيْخُ ❏

○ قوله: «وقال ابن مسعود: إِذَا وَقَعَ النَّاسُ فِي الشَّرِّ فَقُلْ: لَا أُسْوَةٌ لِي فِي الشَّرِّ»: يعني: لا أتأسى بأهل الشر، وإنما أتأسى بأهل الخير؛ فإذا وقع الناس في البدع والشر فلا تتأسَّ بهم، فإنه لا أسوة في الشر ولا في أهل الشر وأهل البدع، ولكن تأسَّ بالرسول - عليه الصلاة والسلام - والصحابة والتابعين والأئمة وأهل السنة والجماعة؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

○ قوله: «لِيُوطِّنَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ كَفَرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَمْ يَكْفُرُ» أي: على الإنسان أن يوطن نفسه أنه عبد مأمور بالعمل بالكتاب والسنة، ولو كفر الناس كلهم فإنه لا يكفر؛ وإن ابتدعوا لم يبتدع، وإن عصوا لم يعص.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٤٠، ٨٦٤١)، وابن حزم في «إحكام الأحكام»

(٢٩٣/٦) عن ابن مسعود، بنحوه.

وهذا فيه: التحذير من البدع، والتحذير من اتباع الناس، فبعض الناس إمعة يتبع كل ناعق، إذا رأى الناس كفروا كفر - والعياذ بالله -، وإذا رأى الناس ابتدعوا ابتدع، إذا رأى الناس عصوا عصى معهم، فلا تقلد دينك الرجال، بل وطن نفسك على أن تعمل بالكتاب والسنة ولا تتأس بالأشرار ولا بأهل البدع.



وجوب طاعة الأمير في غير معصية

❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِسُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ: «إِنَّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَأَطِعَ الْأَمِيرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعًا، إِنْ ظَلَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى أَمْرٍ يَنْقُضُ دِينَكَ فَقُلْ: دَمِي دُونَ دِينِي»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَأَطِعَ الْأَمِيرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعًا»: مجدعًا: يعني مجدع الأطراف؛ مقطوع الأنف أو الأذن أو اليد أو الرجل.

والمعنى: أنه يجب طاعة ولاية الأمور في طاعة الله ﷻ وفي الأمور المباحة، ولو كان عبدًا حبشيًا، كما في الحديث الآخر، فعمر بن الخطاب في هذا الأثر أخذ بالحديث الآخر؛ حديث أبي ذر رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إِنْ خَلِيلِي أَوْ صَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»، وفي لفظ: «عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»^(٢).

(١) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٣٨٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٥٩/٨)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٥٤٤/٦) رقم (٣٣٧١١)، وابن زنجويه في «الأموال» (ص ٣٤)، والخلال في «السنة» (١١/١) رقم (٥٤) عن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، رقم (١٨٣٧). هو رواية من الحديث السابق.

والمعنى: أن الولاية تثبت لولي الأمر إذا غلب الناس بسيفه وسلطانه، وثبت أيضا باختيار أهل الحل والعقد، كما اختار الصحابة الصديق رضي الله عنه وكما اختار أهل الحل والعقد عثمان وعليًا رضي الله عنهما، وتثبت أيضا بولاية العهد من الأمير والخليفة السابق؛ كما ثبتت الخلافة لعمر رضي الله عنه بولاية العهد من أبي بكر الصديق، كما في الحديث: «اسمع وأطع وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زُبَيْبَةٌ»^(١).

أما إذا كان الاختيار والانتخاب لأهل الحل والعقد؛ فإنهم يختارون من توفرت فيه الشروط، كما اختاروا من قريش إذا وجد فيهم من هو أهل لذلك؛ كما في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ»^(٢)، لكن بقيد، قال صلى الله عليه وسلم: «مَا أَقَامُوا الدِّينَ»^(٣)، فإذا وُجد من يقيم الدين - والاختيار والانتخاب للمسلمين - وجب أن يختاروا منهم، وإذا لم يوجد من يقيم الدين يُختار من غيرهم.

○ قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ ظَلَمَكَ فَاصْبِرْ»، وفي الحديث المرفوع: «وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ»^(٤): أي: إن ظلمك فاصبر ولا تخرج على ولي الأمر، ولا تقاتله، ولا تؤلب الناس عليه ولو كنت مظلومًا؛ لأن هذا يترتب عليه مفساد، فكونه ظلمك، أو ضرب ظهرك، أو أخذ مالك، هذه مفسدة، لكن مفسدة الخروج على ولي

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، رقم (٦٩٦) عن أنس بن مالك، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب قريش، رقم (٣٥٠١)، ومسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم (١٨٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب قريش، رقم (٣٥٠٠) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة، رقم (٥٢/١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً.

الأمر أعظم، لأنها يترتب عليها إراقة الدماء، واختلال الأمن، وتربص الدوائر، واختلال حياة الناس، إلى غير ذلك من الفتن التي تأتي على الأخضر واليابس؛ ولهذا قال: «فَأَطِعِ الْأَمِيرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعًا، إِنْ ظَلَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ».

○ قوله: «حَرَمَكَ» يعني: أخذ مالك، أو حرملك من حقك، أو ظلمك بأخذ مالك أو بضرب ظهرك.

○ قوله: «وَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى أَمْرٍ يَنْقُضُ دِينَكَ فَقُلْ: دَمِي دُونَ دِينِي»: يعني: لا توافق على أمر ينقض دينك؛ فلا توافق على الكفر، ولا على المعاصي، واصبر حتى ولو قُتلت، فدين الإنسان مقدم على دمه وماله، لكن المُكْرَه له رخصة إذا أُكْرِه على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وهذا الأثر وإن لم يكن فيه كلام في البدع، لكنه عام، فيصبر المسلم على ولي الأمر ولو حصلت منه المعصية أو حصلت منه البدعة، لكن لا يوافق على فعل المعاصي ولا على فعل البدع.



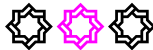
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «مَنْ بَذَلَ دِينَهُ دُونَ مَالِهِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْفَقْرَ، وَحَشَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَنْ يَحْمِلُ الرَّايَةَ بَيْنَ يَدَيِ إِبْلِيسَ إِلَى جَهَنَّمَ».

الشَّيْخُ

○ قوله: «مَنْ بَذَلَ دِينَهُ دُونَ مَالِهِ» أي: طُلِبَ منه الكفر، أو طُلِبَت منه البدعة أو طُلِبَت منه المعصية؛ فقدم المال على الدين فأخذه ودفع دينه في المقابل. «أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْفَقْرَ، وَحَشَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَنْ يَحْمِلُ الرَّايَةَ بَيْنَ يَدَيِ إِبْلِيسَ إِلَى جَهَنَّمَ»: هذا إذا بذل دينه وفعل الكفر، فلا شك أنه كافر، أما إذا بذل دينه بفعل المعصية فيما دون الشرك وفيما دون الكفر؛ فإنه يكون ضعيف الإيمان، وناقص الإيمان، إذا لم يستحل هذه الكبيرة.

وفيه: التحذير من البدع، فالبدعة إذا كانت مكفرة، وبذل دينه دون ماله فله هذا الحكم؛ أورثه الله الفقر ويحشر يوم القيامة مع إبليس إلى جهنم مع الكفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] وإن كانت البدعة غير مكفرة ودون الشرك فهو ضعيف الإيمان، وهو على خطر.



أوثق عرى الإيمان

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الفضيل بن عياض: «أوثق عرى الإسلام: الحب في الله والبغض في الله»^(١)).

الشيخ

هذا لفظ الحديث المرفوع^(٢)، ومعنى «الحب في الله»: أن تحب ما يحبه الله؛ من شخص، أو فعل، أو حكم؛ فتحب المستقيم على طاعة الله، الذي يؤدي فرائض الله وينتهي عن محارم الله، ويبتعد عن البدع، ويستقيم على دينه، تحبه ولولم يكن من قبيلتك، ولو لم يكن من قرابتك، ولو لم يكن من أهل بلدك، ولو كان أعجمياً وأنت عربي، تحبه لدينه ولاستقامته، هذا هو الحب في الله.

ومعنى «البغض في الله»: أن تبغض الإنسان إذا كان منحرفاً؛ فتبغض الكافر لكفره، والفاسق لفسقه، والمبتدع لبدعته ولو كان أخاك من أبيك وأمك، ولو كان أقرب الناس إليك، ولو كان أباك لا تحبه لدينه، ولكن تعامل الوالدين - ولو كانا كافرين - معاملة حسنة، كما قال الله تعالى في الوالدين الكافرين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا

(١) وجاء من قول مجاهد عند ابن أبي شيبة في «المصنف»، رقم (٣٠٤٢١).

(٢) أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٧٤٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴿١٥﴾ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] فصاحب الوالد - ولو كان كافراً - في الدنيا معروفاً،
فتحسن إليه، وتنفق عليه، وتتلطف معه وإن كان عدواً لك من جهة
الدين. وكذلك الابن، وكذلك الأخ، هذا هو الحب في الله والبغض
في الله.



التحذير من أهل البدع

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «صَاحِبُ بَدْعٍ لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِكَ، وَلَا تُشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بَدْعٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْعَمَى»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «صَاحِبُ بَدْعٍ لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِكَ» أي: لا يُؤْمَنُ؛ لأنَّ عنده نوعاً من الخيانة، فمن خان الله فلم يلتزم بعقد الإسلام والإيمان فلا يُؤْمَنُ.

وإذا كانت بدعته لا تُكْفَرُ فهو ضعيف الإيمان، فلا يُؤْمَنُ صاحب بدعة على دينك، ولا تشاوره في أمرك لأنه ليس أهلاً للمشورة، ولا تجلس إليه، فإن الجلوس إليه يضرُّك ويؤثر عليك، إلا على وجه النصيحة والدعوة إلى التزام السنة والبعد عن البدعة.

أما أن تجلس إليه مداهنة فهذا ممنوع؛ ولهذا قال: «وَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بَدْعٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْعَمَى» أي: العمى في بصيرته، لأن المعاصي والبدع نوع من العمى، والعمى الكامل هو الكفر - والعياذ بالله -.

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٨) عن الفضيل، به.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿ وَقَالَ الْفَضِيلُ : «نَظَرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى الْمُؤْمِنِ جِلَاءُ الْقَلْبِ، وَنَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى صَاحِبِ الْبِدْعَةِ يُورِثُهُ الْعَمَى - يَعْنِي فِي قَلْبِهِ - »^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله : «نَظَرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى الْمُؤْمِنِ جِلَاءُ الْقَلْبِ» : - جِلَاءٌ بكسر الجيم - : أي : يجلوه عما علق به من مخالطة الأشرار وأهل المعاصي ؛ فإذا نظرت إلى مؤمن فإنه يجلو قلبك ؛ لأنك تألفه وتستفيد منه وتقتدي به ، أما نظر الرجل إلى صاحب البدعة فيورث الإنسان العمى ، عمى البصيرة ؛ لأن المعاصي تعمي القلب شيئاً فشيئاً حتى يصل الإنسان إلى الكفر - نعوذ بالله - .



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٣/٨) عن الفضيل ، وهو مقارب لمعنى حديث الباب السابق.

الحياة الطيبة في ظل القرآن والسنة

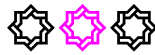
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «اسْلُكْ حَيَاةً طَيِّبَةً: الْإِسْلَامَ وَالسُّنَّةَ»^(١).

الشيخ

الحياة الطيبة: هي ما سلك الإنسان فيها سبيل الإسلام والسنة؛ بأن وحّد الله، وأخلص له العبادة، وعمل الصالحات، وأدى الفرائض، وانتهى عن المحارم، واستقام على الدين، فإن الله يحييه حياة طيبة؛ كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فالحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح، ولزوم السنة، والبعد عن أسباب الشر من البدع والمحدثات في الدين.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٩).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿

﴿ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قَالَ: «حُسْنُ الرَّأْيِ، يَعْنِي: السُّنَّةُ»^(١).

الشَّيْخُ

هذا في تفسير الحياة الطيبة؛ والمعنى: أن من الحياة الطيبة حسن الرأي ولزوم السنة، والحياة الطيبة هي الطمأنينة التي تكون في قلب المؤمن، والاطمئنان والرضى والراحة التي يجدها بسبب توحيده وإخلاص العبادة لله، وأداء حقه، والانتفاء عن محارمه، فيجد لذةً ونعيمًا وسرورًا في قلبه، فتكون حياته طيبة، حتى ولو كان مسجونًا، ولو كان معذبًا يؤذى، فالأذية إنما تكون في جسده؛ أما قلبه فإنه يحيا حياةً طيبة بسبب الطمأنينة إلى ما هو عليه من الحق، حيث إنه من المؤمنين ومستقيم على شرع الله ودينه.



(١) تقدم من قول مجاهد بلفظ: «أفضل العبادة حسن الرأي يعني: السنة».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: طُوبَى لِمَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ بَكَى الْفُضَيْلُ عَلَى زَمَانٍ تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدْعَةُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «وَقَالَ الْفُضَيْلُ: طُوبَى لِمَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ»
طوبى: اسم للجنة، أو اسم لشجرة في الجنة، والمعنى: هنيئاً لمن مات على الإسلام والسنة. والذي يموت على الإسلام والسنة هو الذي يكون بعيداً عن البدع والمحدثات في الدين، ففيه: التحذير من البدع؛ لأن من مات على البدع لم يمت على الإسلام والسنة.

○ قوله: «ثُمَّ بَكَى الْفُضَيْلُ عَلَى زَمَانٍ تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدْعَةُ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ»: وتتمتها: لا قوة إلا بالله. يعني: أن الله تعالى قدر ذلك لحكمة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا قوة إلا بالله، ولا تحوّل من حال إلى حال إلا بمعونة الله، فالإنسان يتحوّل من البدعة إلى السنة بمشيئة الله وبقوته وإعانتة.

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ جاء إلى أبي موسى الأشعري، فقال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٧٤)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٤٨) عن الفضيل، به.

كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»^(١).

وشرع لمن سمع المنادي - المؤذن - وهو يقول: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» أن يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢)؛ لأن المؤذن يدعوك إلى الصلاة، فأنت تجيبه تقول: لا حول لي ولا قوة لي على إجابة دعوتك إلا بمعونة الله وتوفيقه.

فإذا ظهرت البدع فيشرع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، آمنت بالله ورسله، ويسأل الله الثبات على دينه.



(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبه، رقم (٦٣٨٤)، ومسلم في الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب خفض الصوت بالذكر، رقم (٤٤/٢٧٠٤) بنحوه من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، رقم (٣٨٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



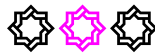
التحذير من مجالسة المبتدعة

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ الْفَضِيلُ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

لا شك أن أهل البدع بعيدون عن الحكمة، والحكمة هي: العلم النافع، هذه الحكمة مأخوذة من الكتاب والسنة، وأهل البدع ليس عندهم علم نافع، حيث غيروا وبدلوا واعتنقوا البدع فلم يُعطوا الحكمة، بل عندهم البدع، وعندهم آراء وشبه وشكوك تنافي العلم. والعلم النافع ينشأ من لزوم السُّنة؛ فمن لزم السنة وعمل بالكتاب فقد آتاه الله الحكمة، وهو مغبوط: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].



(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٤٨٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٣/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٤٨) عن الفضيل، به. وانظر: «السير» (٤٣٥/٨)، و«التذكرة» (٢٤٦/١).

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ»: اللعنة: هي الطرد والإبعاد من رحمة الله؛ وذلك لأن صاحب البدعة مرتكبٌ الكبيرة؛ وأهل الكبائر والمعاصي التي ليست من البدع لعن أصحابها، فمثلاً: لعن الله شارب الخمر^(٢)، ولعن الله السارق يسرق البيضة^(٣)، ولعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه^(٤)؛ فإذا كان العصاة ملعونين، وهم قد فعلوا الكبائر التي ليست بدعاً؛ فصاحب البدعة من باب أولى أنه ملعون؛ لأن ذنبه

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٤٧٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٤٨) عن الفضيل بن عياض.

(٢) أخرجه الترمذي في البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلا، رقم (١٢٩٥)، وابن ماجه في الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، رقم (٣٣٨١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث أنس».

(٣) أخرجه البخاري في الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم، رقم (٦٧٨٣)، ومسلم في الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم (١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في الطلاق، باب لعن آكل الربا ومؤكله، رقم (١٥٩٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه و(١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه. وأخرج البخاري (٥٩٦٢) بعضه من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

أعظم من ذنب صاحب الكبيرة؛ فذنبه أعظم من ذنب الزاني والسارق وشارب الخمر؛ لأن هؤلاء - على كبائرهم - يعلمون أنهم عصاة ويرجى أن يتوبوا، أما صاحب البدعة فيعتقد أنه على حق فلا يتوب، فذنبه أعظم من صاحب الكبيرة؛ ولهذا قال الفضيل رحمته الله: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ» أي: أن تنزل اللعنة عليه وأنت معه فيصيبك ما أصابه.

وهذا فيه: تحذير من أهل البدع.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ
الْإِسْلَامِ»^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ»: يعني: من احترامه وقَدَّره
وبَجَّلَه وعظمه فقد أعان على هدم الإسلام؛ لأنه لا يُبَجَّلُ وإنما
ينصح، فإن لم يقبل النصيحة فإنه يهجر ويُبتعد عنه، ولا يُقَدَّرُ ولا
يُعْظَمُ ولا كرامة له، بل هو محتقر إذا لم يقبل النصيحة واستمر على
بدعته، فمن وقَّره فقد أعان على هدم الإسلام؛ لأنه شارك في إظهار
البدع وإخفاء السنن، وإذا انتشرت البدع خفيت السنن، وهذا نوع
من هدم الإسلام؛ ولهذا قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المقالة.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٣) من قول إبراهيم بن ميسرة. وقال
شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٤٦/١٨): «هذا الكلام معروف عن
الفضيل بن عياض». وقد تقدم مرفوعاً.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا تَحِيًّا بِهِمُ الْبِلَادُ، وَهُمْ أَصْحَابُ السَّنَةِ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَعْقِلُ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِي حِزْبِ اللَّهِ ﷺ»^(١)).

الشَّيْخُ

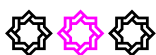
○ قوله: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا تَحِيًّا بِهِمُ الْبِلَادُ، وَهُمْ أَصْحَابُ السَّنَةِ» أي: الذين يلزمون السنة ويستقيمون عليها، فلا شك أنهم تحيا بهم البلاد؛ حيث إنهم يظهرون السنن وينشرونها بين الناس ويدعون إليها، فتتحيا بهم البلاد والعباد.

ومن ذلك: «مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَعْقِلُ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ»: يعني يبتعد عن الحرام والمتشابه، فلا يأكل الربا، ولا يأكل الرشوة، ولا يجحد حقوق الناس، ولا يُلَفِّقُ سلعته بالحلف الكاذب، ولا يسرق، ولا ينهب المال بغير حق، ولا يغش، ولا يخادع؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد أكل الحرام، وأدخل إلى جوفه الحرام عن طريق الربا أو السرقة أو الغش أو الخداع أو بتلفيق السلعة بالحلف الكاذب أو إخفاء عيب السلعة.

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٤/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٣/٤٨) عن الفضيل، به.

فالذي يتجنب هذه الأشياء ويعقل ما يدخل في جوفه فهو من أصحاب السنة الذين تحيا بهم البلاد.

ومن كان كذلك فهو من حزب الله، وحزب الله - كما قال الله تعالى -: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].



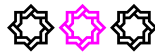
التحذير من اتباع جناز المبتدعة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «مَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»﴾^(١).

الشَّيْخُ

قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام لأن اتباع جنازة المبتدع فيه نشر لهذه البدع، وإقرار عليها، وبالتالي يقتدي العوام، فيظنون: أن صاحب هذه البدعة على حق، فلولا أنه على حق لما تبع جنازته فلان. وهذا فيه مخالفة للشرع، وارتكاب لكبيرة؛ ولهذا قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ» بسبب إقراره للبدع؛ فتنتشر البدع وتختفي السنن.



(١) ذكره ابن مفلح في «المقصد الأرشد» (ص ٣٣٠) عن الفضيل بن عياض. وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٥٣) من قول ابن عيينة.

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لِرَجُلٍ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ جَنَازَةِ
فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: لَا حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ، اسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلَا تَعُدْ،
نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ يُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُ
جَنَازَتَهُ!!؟»^(١)).

الشَّيْخُ

سفيان بن عيينة هو ابن عمران الهلالي الإمام المشهور^(٢).

○ قوله: «وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لِرَجُلٍ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ:
مِنْ جَنَازَةِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»: كان هذا الميت مبتدعاً يبغض الصحابة،
فاتبع الرجل جنازته، فهجره سفيان وقال: «لَا حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ،
اسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلَا تَعُدْ» أن تتبع جنازة مبتدع يبغض أصحاب رسول الله.
ثم قال: «نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ يُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَاتَّبَعْتُ جَنَازَتَهُ!!؟»؛ لأن هذا فيه تأييد وإقرار له على بدعته،
وبالتالي يظن الناس والعوام أنه على حق، وأن ما يعتنقه من بغض
أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم ونشر مساوئهم أن هذا محمود؛

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة»، رقم (٢٨١٦) عن سفيان بن عيينة.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك
بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي،
الكوفي، ثم المكي. ولد: ١٠٧ هـ وتوفي: ١٩٨ هـ بمكة.

انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٤)، الطبقات الكبرى (٤/ ٤١).

ولهذا هجره سفيان فقال: «لَا حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ»، ونصحه بقوله: «اسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلَا تَعُدْ».

فدل على أنه: لا يجوز تشييع أهل المعاصي ولا إقرار أهل البدع على بدعهم، ولا اتباع جنازتهم، ولا عيادة مرضاهم حتى يتوبوا.

فالواجب هجر أهل البدع، والبعد عنهم.



حكم من سبَّ أبا بكر رضي الله عنه

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ هَارُونُ بْنُ زِيَادٍ: «سَمِعْتُ الْفَرِيَابِيَّ - وَرَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَمَّنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ؟ - قَالَ: كَافِرٌ. قَالَ: فَنُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، فَسَأَلَتْهُ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: لَا تَمْسُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، اذْفَعُوهُ بِالْخَشَبِ حَتَّى تُوَارُوهُ فِي حُفْرَتِهِ»^(١)).

الشيخ

○ قوله: «قَالَ هَارُونُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ الْفَرِيَابِيَّ»: هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفريابي الثقة الفاضل المعروف^(٢)، وقد سُئِلَ عن رجل شتم أبا بكر رضي الله عنه فقال فيه: إنه كافر، وذلك لأن أبا بكر رضي الله عنه الصديق الأكبر، وهو أفضل الناس بعد الأنبياء بإجماع أهل السنة والجماعة، فمن شتم أبا بكر فهذا دليل على مرض في قلبه ونفاق، ولولا نفاقه وكفره لما شتم أبا بكر. ولهذا روي عن الإمام أحمد^(٣): أن من شتم الشيخين أبا بكر

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٩٤) من طريق موسى بن هارون بن زياد، عن الفريابي، به. وذكره ابن قدامة في «المغني» (٢١٩/٢)، وابن تيمية في «الصارم المسلول» (١٠٦١/٣).

(٢) الفريابي محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عبدالله الضبي مولاهم، نزيل قيسارية الساحل من أرض فلسطين. ولد: سنة بضع وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤)، تاريخ دمشق (٣٢٢/٥٦).

(٣) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٣٦٣/٢).

وعمر فإنه كافر، وكذلك من سب الخلفاء الراشدين الأربعة.

أما من سب غيرهم، الواحد أو الاثنين، أو سب معاوية أو غيره فهذا يفسق ولا يكفر، لكن من سب الصحابة كلهم، أو كفّرهم، أو شتمهم، أو سب الخلفاء الراشدين؛ فهذا يكفر كما قال الفريابي رحمته الله.

○ قوله: «قَالَ: فَنُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا»؛ لأن الكافر لا يُصَلَّى عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، ثم ذكر العلة فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، فدل على أن من كفر بالله ورسوله لا يُصَلَّى عليه، ومن لم يكفر بالله ورسوله كالفاسق، والعاصي، والمبتدع فإنه يصلى عليه، وقد لا يصلى عليه بعضهم، فأعيان الناس من الوجهاء والعلماء والأمراء وغيرهم يتأخرون عن الصلاة على بعض أهل البدع.

كما كان النبي ﷺ أول الأمر لا يصلي على من كان عليه دين^(١)؛ وكما جاء النهي عن أنه لا يُصَلَّى على قاتل نفسه^(٢)، ولا على الغال^(٣) وما أشبه ذلك، تحذيرًا للأحياء، لكن يصلي عليه سائر الناس.

(١) أخرجه البخاري في الحوالات، باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع، رقم (٢٢٩٨)، ومسلم في الطلاق، باب من ترك مالا فلورثته، رقم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل «هل ترك لدينه فضلاً»، فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلى وإلا قال للمسلمين: «صلوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته».

(٢) أخرجه مسلم في الكسوف، باب ترك الصلاة على قاتل نفسه، رقم (٩٧٨) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

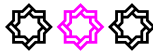
(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب تعظيم الغلول، رقم (٢٧١٠)، والنسائي في «المجتبى» في الجنائز، باب الصلاة على من غل، رقم (١٩٥٩)، وابن ماجه في الجهاد، باب الغلول، رقم (٢٨٤٨) عن زيد بن خالد رضي الله عنه، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

○ قوله: «قَالَ فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ نَصْنَعُ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»؛ يعني: أنه لا يفيد قول: لا إله إلا الله؛ فإذا قال الإنسان: لا إله إلا الله، ثم فعل مكفراً - كأن يسب الصحابة، أو يشتم أبا بكر وعمر - انتقضت وبطلت كلمة (لا إله إلا الله).

ومن قال: لا إله إلا الله ثم دعا غير الله وذبح لغير الله، بطلت، فمثله كمثل الإنسان الذي توضأ وأحسن الوضوء وتطهر وأحسن الطهارة ثم خرج منه بول أو غائط أو ريح.

كذلك التوحيد، إذا قال: «لا إله إلا الله» ثم سجد للصنم، أو سب الله، أو استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، أو قال: الصلاة غير واجبة، أو شتم الصحابة أو شتم أبا بكر بطلت كلمة التوحيد وصار كافراً؛ ولهذا قال: «لَا تَمْسُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، اذْفَعُوهُ بِالْخَشَبِ حَتَّى تَوَارُوهُ فِي حُفْرَتِهِ»؛ لأنه نجس ليس له حرمة، فهو جيفة كجيفة الحمار، أو الكلب، يُسحب ويدفن في حفرة حتى لا يتأذى الناس برائحته، بخلاف المسلم - المؤمن - فإنه يُغسَّل ويُصلى عليه ويكفن ويدفن في مقابر المسلمين.

وهذا فيه: التحذير من البدع والكفر، والتحذير من سب الصحابة وشتمهم ولا سيما الصديق الأكبر وعمر والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.





التحذير من الصلاة على من سب أصحاب النبي ﷺ

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: «قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ: أَخْضُرْ جَنَازَةً مِنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ مِنْ عَصَبَتِي مَا وَرَثْتُهُ»).

الشَّيْخُ

هذه المقالة من محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري، روى عنه أصحاب الكتب الستة كلهم: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه^(١).

وعبدالرحمن بن مهدي إمام مشهور معروف، حافظ من النقاد^(٢).

○ قوله: «أَخْضُرْ جَنَازَةً مِنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» هذا دليل على أن عبدالرحمن بن مهدي يكفر من سب أصحاب النبي

(١) بNDAR محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان الإمام، الحافظ، راوية الإسلام، أبو بكر العبدي، البصري بNDAR، لقب بذلك، لأنه كان بNDAR الحديث في عصره ببلده. والبNDAR: الحافظ. ولد: سنة سبع وستين ومائة. ومات اثنتين وخمسين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٢/٤٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٢/١٤٤).

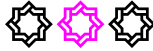
(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري الإمام، الناقد، المجدود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري - وقيل: الأزدي - مولا هم، البصري، اللؤلؤي. ولد: سنة خمس وثلاثين ومائة. ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١١/٥١٢)، سير أعلام النبلاء (٩/١٩٢).

ﷺ؛ لأن من سبهم أو كفرهم أو فسقهم فقد كذب الله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، فالذي يسبهم ويكفرهم مكذب بالله، ومن كذب الله كفر.

ولأنهم نقلة الدين، وحملة الشريعة، فإذا سب الصحابة أو كفروا أو فسقوا لم يكن هناك وثوق بالدين، كيف نثق بدين حملته كفره أو فساق ويشتمون ويسبون؟!

ولهذا كفر عبدالرحمن بن مهدي من سب أصحاب النبي ﷺ، وقال: «لَوْ كَانَ مِنْ عَصَبِي مَا وَرِثْتُهُ» أي: لأنه كافر وأنا مسلم، وقد قال النبي ﷺ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»^(١).

ففيه: التحذير من بدعة الروافض الذين يسبون أصحاب النبي ﷺ ويكفرونهم ويفسقونهم.



(١) أخرجه البخاري في الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، رقم (٦٧٦٤) - وهذا لفظه -، ومسلم في الطلاق، باب قدر الطريق إذا اختلفوا فيه، رقم (١٦١٤) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ: «لَا أَصْلِي عَلَى رَافِضِيٍّ وَلَا حَرُورِيٍّ؛ لَأَنَّ الرَّافِضِيَّ يَجْعَلُ عُمَرَ كَافِرًا، وَالْحَرُورِيَّ يَجْعَلُ عَلِيًّا كَافِرًا»)^(١).

الشَّيْخُ

هذا الأثر عن أبي بكر بن عياش بن سالم الأسدي؛ وهو ثقة عابد^(٢).

○ قوله: «لَا أَصْلِي عَلَى رَافِضِيٍّ»: الرافضي: هو المنسوب إلى مذهب الرافضة، والرافضة: هم الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم ويزعمون أنهم يحبون أهل البيت ويعبدونهم، بينما هم يكفرون الصحابة ويفسقونهم، وهذا دليل على: أن أبا بكر بن عياش يكفر الرافضي.

○ قوله: «وَلَا حَرُورِيٍّ»: الحروري: من الخوارج، وهم يسمون الحروريين؛ نسبة إلى بلدة تسمى حروراء قرب العراق^(٣) تجمع فيها الخوارج فصاروا ينسبون إليها، فيقال لهم: حرورية،

(١) ذكره ابن قدامة في «المغني» (٢/٢١٩) عن أبي بكر بن عياش.

(٢) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، الحنات - بالنون - المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحذب ولد سنة خمس أو ست وتسعين. مات سنة اثنتين وتسعين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٤٥).

ويقال للواحد: حروري، وهم معروف عنهم أنهم يعترضون ولا يعملون بالسنة.

ولما جاءت امرأة لعائشة رضي الله عنها تسأل: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ ففهمت أنها معترضة - لأن الخوارج يعترضون على السنن - فقالت: أحرورية أنت^(١)؟ قالت: لا، لست بحرورية، ولكنني أسأل.

فأبو بكر بن عياش؛ يكفر الرافضي والخارجي، إذ أن الرافضة: يكفرون الصحابة ويعبدون آل البيت، والخوارج: ينصبون العداوة لأهل البيت ويكفرون عليًا.

ففيه: التحذير من بدعة الروافض وبدعة الخوارج.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، رقم (٣٢١)، ومسلم في كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض، رقم (٣٣٥) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: «الرَّافِضَةُ لَا تُنْكَحُ نِسَاءَهُمْ، وَلَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ رِدَّةٍ»).

الشَّجْج

هذه المقالة لطلحة بن مصرف رَحِمَهُ اللَّهُ، فيها: دليل على أنه يرى كفر الرافضة.

○ قوله: «لَا تُنْكَحُ نِسَاءَهُمْ»؛ لأنهم كفرة وثنيون أشد من اليهود والنصارى؛ لأن اليهود والنصارى تُنْكَحُ نِسَاءُهُمْ، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَزْوَاجٌ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] فالوثنيون والمشركون لا تحل ذبائحهم، ولا تُنْكَحُ نِسَاءُهُمْ، فدل على أنه يرى أن الرافضة أشد كفراً من أهل الكتاب؛ لأن أهل الكتاب خَفَّ كفرهم، فحلت ذبائحهم، وحل نكاح نِسَائِهِمْ، وأما الوثنيون فلا يُنْكَحُ نِسَاءُهُمْ ولا تحل ذبائحهم.

والرافضة نوع واحد لا أنواع، أما الشيعة فهم أنواع وطبقات، منهم الكافر ومنهم غير الكافر، فهناك الزيدية، وهناك الغرابية، وهناك الْمُخَطَّئَةُ الَّذِينَ خَطَّوْا جَبْرِيلَ.

فالشيعة اسم عام يشمل طوائف متعددة، والرافضة طائفة واحدة من طوائف الشيعة كما لو قسمت الناس إلى أقسام، - مثلاً - قلت: أهل السنة أربعة أقسام: مالكية وشافعية وحنابلة وحنفية، فكلمة

(أهل السنة) عامة، تحتها أربع طبقات، فكذلك (الشيعة) عامة، تحتها أربع وعشرون فرقة، والرافضة فرقة من الفرق.

فالذي يعتقد هذا الاعتقاد، ويكفر الصحابة ويعبد آل البيت ويزعم: أن القرآن فُقد ثلثاه ولم يبقَ إلا الثلث، فهذا كفر وردة؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذي يعبد أهل البيت ويتوسل بهم فهذا أيضاً كافر، والذي يكفر الصحابة كافر أيضاً، ومن يتبرأ من هذه الاعتقادات ولا يسب الصحابة ولا يعبد آل البيت ويصدق الله في أن القرآن محفوظ فليس منهم.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: «إِنَّ فُلَانًا غَسَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ. فَقَالَ: عَرَّفُوهُ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ نُصَلِّ عَلَيْهِ»).

الشَّيْخُ

هذا الأثر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، فيه: التحذير من أهل البدع، وأن أهل البدع لا يُغَسَّلُونَ، ولا تُتَّبَعُ جنائزهم؛ تحذيرًا للأحياء حتى لا يفعلوا مثل فعلهم.

○ قوله: «عَرَّفُوهُ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ نُصَلِّ عَلَيْهِ»: هذا تعزيز له.





❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَنَظَرَ ابْنُ سِيرِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ مَحَالِّ الْبَصْرَةِ فَقَالَ لَهُ: «يَا فُلَانُ، مَا تَصْنَعُ هَا هُنَا؟ فَقَالَ: عُذْتُ فُلَانًا مِنْ عِلَّةٍ - يَعْنِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ - فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ: إِنْ مَرِضْتَ لَمْ نَعُدَّكَ، وَإِنْ مِتَّ لَمْ نُصَلِّ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَتُوبَ، قَالَ: تُبْتُ»).

❦ الشَّيْخُ ❦

○ قول ابن سيرين: «عُدْتُ فُلَانًا مِنْ عِلَّةٍ أَي: من مرض، وهو من أهل البدع، فزجره ابن سيرين وقال: «إِنْ مَرِضْتَ لَمْ نَعُدَّكَ، وَإِنْ مِتَّ لَمْ نُصَلِّ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَتُوبَ، قَالَ: تُبْتُ»، فقال الرجل: تبْتُ الآن، لا أعود مريضاً من أهل البدع.

وهذا فيه: التحذير من أهل البدع، والحذر من مجالستهم ومصاحبتهم، وعيادة مريضهم، واتباع جنائزهم، وتغسيل موتاهم.





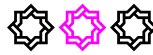
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿ وَقَالَ الْفُضَيْلُ : « أَكُلْ طَعَامَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَلَا أَكُلْ طَعَامَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ » ^(١) .

الشَّيْخُ

○ قوله : « أَكُلْ طَعَامَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ » ؛ لأن الله أحل لنا ذبائحهم في قوله : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] ، فاليهودي والنصراني معروف ومنكشف أمره ، قد أعلن كفره وضلاله ، وخفَّ كفره ؛ لأنه صاحب كتاب ، والله - تعالى - خفف الأحكام ، فأباح لنا أكل ذبائحهم ، ونكاح نسائهم .

أما أهل البدع ؛ فيجب الحذر منهم ؛ ولذا قال : « وَلَا أَكُلْ طَعَامَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ » لأنهم ليسوا كفارًا ، فإيمانهم ضعيف ، وقد يجرون الإنسان إلى بدعة من حيث لا يشعر ؛ فلهذا فرق الفضيل بن عياض بين اليهودي والنصراني ، وبين صاحب البدعة .



(١) أخرجه اللالكائي في « اعتقاد أهل السنة » (١١٤٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠٣/٨) عن الفضيل ، به . وتقدم طرف منه عند أثر « حديث من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة » .

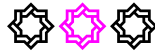
مجانبة أهل البدع

❏ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ عِنْدِي يَدًا فَيُحِبَّهُ قَلْبِي»^(١).

الشيخ

هذا فيه: التحذير من أهل البدع؛ فقلوه: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ عِنْدِي يَدًا» أي: لا تجعل له معروفًا عليّ؛ لأن الإنسان جُبِلَ على حب من أحسن إليه؛ فإذا أحسن إليك إنسان، وكان له يد عندك، فإن قلبك يحبه، فالفضيل يدعو الله ألا يكون لصاحب بدعة عليه معروف؛ حتى لا يحبه قلبه. ففيه: البعد عن أهل البدع حتى لا يُؤثِّروا على الإنسان.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٥) إلا أنه من طريق الفضيل بن عياض، عن ابن المبارك قوله.

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ رَجَوْتُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ»^(١).

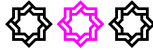
السَّبْحُ

○ قوله: «إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ رَجَوْتُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ»؛ لأن لزوم السنة مع قلة العمل خير من كثرة العمل مع البدعة.

فإذا رأيت الشخص يبغض أهل البدع، ويتعد عنهم، ويلزم السنة، فهذا على خير عظيم، ولو كان عمله قليلاً؛ كأن يؤدي الفرائض، وينتهي عن المحارم، لكنه لا يُكثِر من صيام النفل، ولا يكثِر من صلاة النفل، ولا يكثِر من حج النفل، لكنه مستقيم على السنة؛ فهذا يُرَجَى له الخير؛ لأن كراهية البدعة دليل على حب السنة، بخلاف الذي يركن إلى أهل البدع، ويحبهم ولو كان عمله كثيراً، فإنه على البدعة، وهو موافق لأهل البدع، فيُخْشَى عليه أن يتأثر بالبدعة ويُخْشَى عليه ألا يقبل منه عمله.

فالمقصود: أن لزوم السنة مع العمل القليل خير من البدعة مع العمل الكثير.

ففيه: التحذير من البدع.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٣/٨)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٧/٤٨) عن الفضيل بن عياض.

حكم مَنْ سب الصحابة

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَمَّنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ فَقَالَ: مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(١)).

الشَّيْخُ

○ قوله: «قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» - هو الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة - هذه رواية المروزي، ويحتمل المروزي؛ لأن المروزي والمروزي كلاهما يسأل الإمام أحمد؛ لكن الغالب أنه إذا أريد المروزي - بالذال - يقال: المروزي، وإذا أريد المروزي يقال: أبو بكر المروزي، فالأقرب أنه المروزي.

○ قوله: «مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ» يحتمل (ما أراه) بفتح الهمزة يعني: ما أعلمه على الإسلام، أو (ما أراه) - بضم الهمزة - يعني: ما أظنه على الإسلام.

ولولا النفاق في قلبه لما شتم الخلفاء الثلاثة وعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكونه يشتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يدل على نفاق في قلبه.

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٧٩) عن أبي بكر المروزي. وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٣٦٣/٢).

وهذا فيه: دليل على أن الإمام أحمد يُكفّر من شتم الخلفاء الثلاثة.

ورُوي - صراحة - عن الإمام أحمد: أن من شتم الشيخين - أبا بكر وعمر - فهو كافر، وهنا فيمن شتم الثلاثة وعائشة. وفيه: التحذير من سب الصحابة وشتمهم، وأن هذا من الأعمال الكفرية.

وفيه: التحذير من مذهب الرافضة.





قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «الَّذِي يَشْتُمُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ - أَوْ قَالَ: نَصِيبٌ - فِي الْإِسْلَامِ»)^(١).

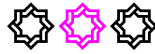
الشَّيْخُ

هذه المقالة من الإمام المشهور مالك بن أنس - إمام دار الهجرة -، وفيها تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ.

○ قوله: «لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ - أَوْ قَالَ: نَصِيبٌ - فِي الْإِسْلَامِ»: الذي ليس له نصيب في الإسلام هو خارج عن الإسلام.

وهذا دليل على: تكفير الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لمن سب الصحابة أو شتمهم أو كفرهم، وقد روي عنه^(٢) تكفير من أغاظه الصحابة في قوله - تعالى - في سورة الفتح: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ قال: الآية دليل على كفر الرافضة؛ لأن الرافضة يغيظهم الصحابة ومن أغاظه الصحابة فهو كافر بنص القرآن.

وفيه: التحذير من مذهب الرافضة.



(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٧٩) عقب قول الإمام أحمد في حديث الباب السابق. وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٣٦٣/٢).

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٦٠) عن الإمام مالك، وذكره ابن كثير في «التفسير» (٢٠٥/٤) قال: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمته الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ﷺ، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة ﷺ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء ﷺ على ذلك».



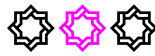
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: «مَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»).

الشَّيْخُ

هذه المقالة - أيضًا - لبشر بن الحارث في تكفير من شتم أصحاب رسول الله ﷺ وأنه كافر.

○ قوله: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»: أي: لا تنفعه صلاته وصومه مع كفره وضلاله؛ لأن الإنسان إذا فعل الكفر أحبط الله عمله فلا تفيده الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾ :

﴿ وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ﴾ : « مَنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ، وَأَبَاحَ دَمَهُ » .

الشَّيْخُ

هذا الأثر للأوزاعي صريح بكفر من شتم الصديق رَحِمَهُ اللَّهُ قال :
« مَنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ، وَأَبَاحَ دَمَهُ » أي :
دمه حلال وماله حلال لكفره وضلاله .

هذه الآثار الأربعة :

الأثر الأول : عن الإمام أحمد في تكفير من شتم الخلفاء الثلاثة .

الأثر الثاني : عن مالك بن أنس في تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ .

الأثر الثالث : عن بشر بن الحارث في تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ .

الأثر الرابع : عن الأوزاعي في تكفير - أيضاً - من شتم الصديق رَحِمَهُ اللَّهُ .

هذه الآثار عن هؤلاء الأئمة الأجلاء ، كلها في تكفير الرافضة ،
نسأل الله السلامة والعافية .





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾

(وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: «لَا حَظَّ لِلرَّافِضِيِّ فِي الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: ١٠] الْآيَةَ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا أيضًا إمام خامس، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام كفر الرافضة.

○ قوله: «لَا حَظَّ لِلرَّافِضِيِّ فِي الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ»: الذي لا حظ له في الفيء والغنيمة كافر؛ لأن الفيء والغنيمة لا تكون إلا للمسلمين.

واستدل بالآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: ١٠].

وجه الدلالة: أن الله ﷻ جعل الغنيمة لثلاث طوائف من الناس، وليس منهم الرافضة في قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

ثم ذكر الأصناف الذين يأخذون الفيء، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] هذا واحد.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٩٢) عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

إِلَيْهِمْ ﴿[الحشر: ٩] وهم الأنصار.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

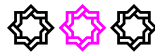
فصار الفيء لثلاثة أصناف من المسلمين:

الصنف الأول: المهاجرون.

الصنف الثاني: الأنصار.

الصنف الثالث: من جاء بعدهم ممن يستغفر لمن سبقه.

والرافضة: ليسوا من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا ممن يستغفر للصحابة؛ وإنما هم يسبون الصحابة، فدل على أنهم ليسوا من المسلمين.



﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: «كُنْتُ مَعَ أَيُّوبَ، وَيُونُسَ، وَابْنِ عَوْنٍ، فَمَرَّ بِهِمْ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفَ، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَازَ، فَمَا ذَكَرُوهُ»^(١)).

الشَّيْخُ

عمرو بن عبيد المعتزلي المعروف، وواصل بن عطاء هما من أسس مذهب الاعتزال في أوائل المائة الثانية، وكانا قبل ذلك يجلسان في حلقة الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم اعتزلا مجلس الحسن البصري فصارا يقرران في حلقة مستقلة أن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فقليل لهم من ذلك الوقت (المعتزلة)؛ لأنهم اعتزلوا الجماعة، واعتزلوا مجلس الحسن البصري.

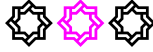
لما مر عمرو بن عبيد على هؤلاء الرهط من العلماء: حماد بن زيد، وأيوب، ويونس، وابن عون سلم عليهم ووقف، فلم يردوا عليه السلام هجرًا له؛ ثم جاز - يعني: جاز الموضع -، فما ذكروه.

وهذا فيه: دليل على أن العلماء والأئمة يهجون أهل البدع ولا يردون السلام عليهم، فالمبتدع يُهجر، ولا يرد السلام عليه، ولا تُجاب دعوته، ولا تتبع جنازته إذا مات، ولا يعاد إذا مرض، ولا

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٩٦٥)، والمؤلف في «الإبانة الكبرى» (١٩٥١)، ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٢٩) عن رجل قال: كنت أمشي مع عمرو بن عبيد فرآني ابن عون فأعرض عني شهرين.

يُزوج، فينبغي هجره والبعد عنه؛ حتى يترك الناس البدع.
وهذا الهجر فيه: تأديب وتعزيز من العلماء لأهل البدع، وفيه:
تحذير لغيرهم من الناس أن يعتنقوا هذه البدع، وهذا محمول على
ما إذا كان الهجر يفيدهم.

أما إذا كان الهجر لا يفيدهم، بل يزيدهم شرًّا، فلا يُهجرون؛
لكن يستمر أهل السنة في نصيحتهم ودعوتهم، لعل الله أن ينفعهم.





❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ»^(١)).

❏ الشَّيْخُ ❏

❏ قوله: «يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»: الجماعة: هم أهل السنة، وهم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ولو كانوا قلة، فهم يَقْلُونَ ويكثرُونَ، وهم الطائفة المنصورة، فيد الله معهم، ومن شذ عنهم شذ في النار، قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

من شاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين، ومن سلك مسلك البدع وخرج عن مذهب أهل السنة والجماعة فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وشاق الله ورسوله، فيشمله هذا الوعيد: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وافتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاسْتَفْتَرَقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(٢) -

(١) قد تقدم من قول معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه.

وهي الجماعة^(١)، وفي لفظ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٢).

فالجماعة هم: الفرقة الناجية، وهم أهل السنة، وهم الصحابة والتابعون، ومن تبعهم من العلماء والأئمة، وهم أهل الحق، ولو كانوا قلة، فمن كان على الحق فهو من الجماعة ولو كان واحدًا كما قاله بعض السلف؛ قال: «إِنْ كُنْتُ عَلَى الْحَقِّ فَأَنْتَ الْجَمَاعَةُ وَلَوْ كُنْتُ وَحْدَكَ»^(٣)، ولهذا قال: «يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَاحِبٍ بِذَعَةٍ» لأنه شاذ وخارج عن الجماعة.



(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٧) عن معاوية بن أبي سفيان. وابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالك. وأخرجه ابن ماجه أيضًا (٣٩٩٣) عن أنس، جميعهم بلفظ: «الجماعة».

(٢) أخرجه الأصبهاني في «الحجة» (١١٩/١) ونحوه الترمذي (٢٦٤١).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٢/١) من قول عبدالله بن مسعود، ولفظه: «إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ وَحْدَكَ».



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وَقَالَ زَائِدَةُ: «قُلْتُ لِمَنْصُورٍ^(١): يَا أَبَا عَتَّابٍ، الْيَوْمَ الَّذِي يَصُومُ فِيهِ أَحَدُنَا يَنْتَقِصُ فِيهِ الَّذِينَ يَنْتَقِصُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ»^(٢)).

الشَّجْحُ

زائدة هنا يسأل منصورًا عن غيبة أهل البدع وأهل الفسق؛ فبين له منصور رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه لا غيبة لفاسق، فالفاسق الذي يُظهر البدع، ويظهر المعاصي لا غيبة له، وهو مستثنى من الغيبة، فالغيبة يُستثنى منها أشياء:

- ١- جرح الرواة في سند الحديث حماية لحديث رسول الله ﷺ.
- ٢- التعريف؛ إذا كان إنسان لا يُعرف إلا بما فيه من اللقب، كأن يقال: الأعمى، أو الأعرج، أو الأعور.
- ٣- الذي يُستفتي؛ كما قالت هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة أبي سفيان: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخْذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ»^(٣). قولها: «رجل شحيح» هذه غيبة، لكنه مستثنى.

(١) هو زائدة بن قدامة أبو الصلت الثفقي، و منصور هو ابن المعتمر، فقد ذكر الذهبي في السير (٣٧٥/٧): أن قدامة حدث عن منصور بن المعتمر.

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤١/٥) عن زائدة.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون، رقم (٢٢١١)، ومسلم في الحدود، باب قضية هند، رقم (١٧١٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤- المظلوم الذي يسأل حقه عند الحاكم.

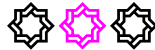
٥- الفاسق الذي يُظهر فسقه وبدعته لا غيبة له، فإنسان يحلق لحيته إن قلت في غيبته: فلان حالق لحيته، فليست بغيبة، لأنه حلق لحيته أمام الناس فكلُّ يراه حالقًا لحيته، ومثال ذلك أيضًا: من يشرب الدخان أمام الناس في الشارع، فإن قلت في مجلس: فلان يشرب الدخان؛ فليست هذه غيبة؛ لأنه هو الذي فضح نفسه أمام الناس بشرب الدخان.

٦- كذلك: المبتدع، إذا كان يُظهر بدعة المولد، أو بدعة الرفض، أو بدعة المعتزلة، أو بدعة الجهمية أو المرجئة، ثم قلت: فلان مرجئ، فلان خارجي، فلان معتزلي، فلان رافضي؛ فلا غيبة له؛ لأنه هو الذي فضح نفسه وأظهر بدعته.

إنما الغيبة: أن يكون الإنسان مستور الحال، قد أخفى معصيته، فهذا لا يُذكر في مجامع الناس بهذه المعصية، بل الذي ينبغي للإنسان أن ينصحه فيما بينه وبينه.

ولهذا لما سأل زائدة منصورًا - رحمهما الله - : «يَا أَبَا عَتَّاب، الْيَوْمُ الَّذِي يَصُومُ فِيهِ أَحَدُنَا يَنْتَقِصُ فِيهِ الَّذِينَ يَنْتَقِصُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ».

فدل على أنه لا غيبة لأصحاب البدع الذين يعيبون أصحاب رسول الله ﷺ ويتكلمون فيهم بعيبهم وذمهم، وذكر شيء من مثالبهم - بزعمهم -، فإن هؤلاء لا غيبة لهم، ولو كنت صائمًا جاز لك أن تتكلم فيهم.



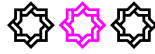


﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿

وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «لَيْسَ لِأَصْحَابِ الْبِدْعَةِ غَيْبَةٌ»^(١).

الشَّيْخُ ﴿

○ قوله: «لَيْسَ لِأَصْحَابِ الْبِدْعَةِ غَيْبَةٌ»: لأن صاحب البدعة هو الذي أظهر بدعته، وفضح نفسه أمام الناس، فلا غيبة له. لكن لو كان مستورًا، ولم يُظْهِرْ بدعته، ولا يُعلم عنه شيء، فلا تتكلم فيه حال غيبته.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠)، والخطيب في «الكفاية» (ص ٤٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦٧٩٣، ٩٦٧٥)، وجود العجلوني إسناده عن الحسن انظر: «كشف الخفا» (٢/ ٢٢٤).



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ عَطَاءٌ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي تَوْبَةٍ»^(١).

الشَّيْخُ

صاحب البدعة بعيد عن التوبة؛ لأنه يعتقد أنه على الحق، وفي الغالب أنه لا يتوب.

وقد يأذن الله له بالتوبة - وله الحكمة البالغة -.

وقد تقدم بنحوه أثر «ما يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة».



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٨/٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١١٢/٢٠) من طرق عن الأوزاعي، عن عطاء، به.

ذم الروافض واعتقادهم

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «عَاشَرْتُ النَّاسَ، وَكَلَّمْتُ أَهْلَ الْكَلَامِ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَوْسَخَ وَسَخًا، وَلَا أَقْدَرَ قَدْرًا، وَلَا أضعَفَ حُجَّةً، وَلَا أَحَقَّ مِنَ الرَّافِضَةِ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذه المقالة لأبي عبيد القاسم بن سلام الإمام المشهور؛ يبين بها: فساد مذهب الرافضة وخسته وقذارته؛ حيث إنهم يُكْفَرُونَ الصحابة ويعيبونهم، ويفسقونهم، ويلعنونهم - والعياذ بالله -، والصحابة خير الناس وأفضل الناس بعد الأنبياء ﷺ.

وهؤلاء الذين يسبون الصحابة ليس لهم حجة ولا دليل، فدينهم مبني على الكذب، وهم أكذب الطوائف؛ كما قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: «الرافضة أكذب الطوائف»^(٢).

(١) أخرجه الدوري في «تاريخ ابن معين» (٤٩٩٢)، والخلال في «السنة» (٧٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٠/٤٩) عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

(٢) قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٥٩/١): «وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب».

قال الشعبي رحمه الله: «أكذب الطوائف الرافضة، لو أردت أن يملؤوا لي هذا البيت ذهبًا لملؤوه على أن أكذب لعلي وأهل البيت»^(١).

ولهذا يقولون: إذا اختلفت الإمامية - يعني: الرافضة - في قولين وأحد القولين لا يُعرف له قائل، فالحق في القول الذي لا يُعرف له قائل، وهذا يدل على أن دينهم مبني على الدُّلْسَة وعدم الوضوح.



(١) أخرجه بحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٧٣)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٤٤/٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٨٢٣) عن الشعبي، بنحوه.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وَذَكَرَتِ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ رَقَبَةَ بْنِ مِصْقَلَةَ فَقَالَ: «أَمَّا الرَّافِضَةُ: فَإِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْبُهْتَانَ حُجَّةً، وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَعَلَى دِينِ الْمُلُوكِ، وَأَمَّا الزَّيْدِيَّةُ: فَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ رَأْيَهُمْ امْرَأَةً، وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ: فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَى ضَيْعَتِي، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَرْجِعُ إِلَّا وَهُمْ قَدْ رَجَعُوا عَنْ رَأْيِهِمْ»).

الشَّيْخُ

○ قوله: «ذَكَرَتِ الْأَهْوَاءُ»: يعني: البدع، «عِنْدَ رَقَبَةَ بْنِ مِصْقَلَةَ» فذكرت عنده هذه البدع، بدعة الرافضة والمرجئة والزيدية والمعتزلة.
○ قوله: «أَمَّا الرَّافِضَةُ: فَإِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْبُهْتَانَ حُجَّةً»: يعني: لأنهم ليس عندهم دليل، فأدلتهم البهتان والكذب، يكذبون على عليٍّ عليه السلام، وعلى أهل البيت، ويكذبون على الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -، ويكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم ويضعون الأحاديث، فاتخذوا البهتان حجة.

○ قوله: «وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَعَلَى دِينِ الْمُلُوكِ»، المرجئة - الذين يقولون: إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان، والمعاصي لا تضر -؛ على دين الملوك، أي أغلب الملوك الذين يفعلون المعاصي ولا يبالون.

○ قوله: «وَأَمَّا الزَّيْدِيَّةُ: فَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ رَأْيَهُمْ امْرَأَةً»: الزيدية: طائفة من الشيعة ولكن من أخف طوائف الشيعة،

فهم يفضلون علياً على أبي بكر وعمر؛ في حين أن علياً رضي الله عنه طلب الذين يسبون أبا بكر وعمر ليقتلهم، ففروا من سيفه البتار^(١).

وطلب الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر ليجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة - حد المفترى^(٢)؛ لأنهم افتروا؛ وذلك حد القذف - فجلدهم.

وهو كما قال: «فَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ رَأْيَهُمْ امْرَأَةً»؛ يعني: لفساده ونقصه.

○ قوله: «وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ: فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَى ضَيْعَتِي فَظَنَنْتُ أَنِّي أَرْجِعُ إِلَّا وَهُمْ قَدْ رَجَعُوا عَنْ رَأْيِهِمْ»؛ لوضوح فسادهم، فهم الذين يقولون: إن الإنسان هو الذي خلق فعل نفسه طاعة ومعصية، ويرون أن العاصي خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، ويقولون: لا مؤمن ولا كافر، في منزلة بين المنزلتين، وفساده واضح^(٣).



(١) ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/٤٠٧، ٥١٨)، (١٣/٣٤)، (٢٨/٤٧٤). وانظر: «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٣٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٤٩) و(٣٨٧)، وعبدالله بن أحمد في «السنة»، رقم (١٣١٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٣٥٨) عن علي رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/٦٤).

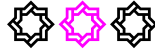


﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: «لَوْلَا أَنِّي عَلَى وُضُوءٍ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا تَقُولُ الرَّافِضَةُ»^(١).

الشَّجْجَ

يعني: لكونه مذهباً شنيعاً، وقولاً قبيحاً وسيئاً، فهو يحب أن ينزه لسانه - إذا كان متوضئاً - عن قولهم الفاسد، وسبهم للصحابة - رضوان الله عليهم -، وتكفيرهم لهم.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٥/٥). وذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٣/٤٣٦)، والذهبي في «السير» (١٩٢/٥).



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

﴿ وَقَالَ مُغِيرَةُ: «خَرَجَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَحَنْظَلَةُ الْكَاتِبُ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى نَزَلُوا قَرْقِيسِيَا وَقَالُوا: لَا نُقِيمُ بِلْدَةً يُشْتَمُ فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ»^(١). ﴾

الشَّيْخُ

خرج هؤلاء العلماء: جرير بن عبدالله البجلي، وعدي بن حاتم الطائي، وحنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي؛ - وكلهم صحابة رضوان الله عليهم من الكوفة - لما كان فيها الشيعة - حتى نزلوا قرقيسيا؛ - وهي بلدة قريبة من نهر الفرات في العراق^(٢) -، وقالوا: لا نقيم بلدة يُشتَم فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه. وإنكارهم لمذهب الرافضة دليل على أن مذهب الرافضة مذهب باطل أنكره الصحابة.



(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢١٧) من طريق المغيرة به. قال الهيثمي في «المجمع» (٩٨/٩): «رجاله رجال الصحيح إلا أن مغيرة لم يسمع من الصحابة».

(٢) انظر: «معجم البلدان» (٣٢٨/٤).

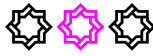


﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ: «بَاعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّيْمِيُّ دَارَهُ وَقَالَ: لَا أُقِيمُ بِالْكُوفَةِ بَلَدَةً يُشْتَمُ فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»).

الشَّيْخُ

هذا الأثر فيه: أن محمد بن عبدالعزيز التيمي باع بيته الذي في الكوفة، وانتقل إلى بلدة أخرى فراراً من البلدة التي يُشتَم فيها أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهو لا يريد أن يجاور الرافضة. وهذا يدل: على الحذر من الرافضة وأصحاب البدع، والبعد عنهم، وعدم مساكتهم.



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ الْعَوَامُّ بْنُ حَوْشَبٍ: «أَذْرَكْتُ مَنْ أَذْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بَعْضَهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَأْتِلَفَ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَتُحَرِّشُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ»^(١)).

الشرح

❏ قول العوام بن حوشب: «أَذْرَكْتُ مَنْ أَذْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»: صدر هذه الأمة هم الصحابة والتابعون، والمراد هنا التابعون.

❏ قوله: «بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» يعني: التابعون - رحمهم الله - من أدرك من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم؛ يقول بعضهم لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ.

❏ قوله: «لِتَأْتِلَفَ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ»، يعني: تجتمع القلوب على محبة أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم حملة الشريعة، ونقله هذا

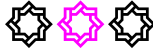
(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٨٢٨، ٨٢٩)، والخطيب في «الجامع» (١٣٥٩) من طريق شهاب بن خراش عن العوام بن حوشب. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤/٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/٢١٥) من قول شهاب بن خراش ابن أخي العوام بن حوشب. وكذا هو عند المزي في «تهذيب الكمال» (٥٧١/١٢)، والذهبي في «الميزان» (٣٨٧/٣).

الدين، ولأنهم خير الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء؛ ولأن الله اختارهم لصحبة نبيه، فلا كان ولا يكون مثلهم.

○ قوله: «وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» يعني: لا تذكروا ما حصل بينهم من الخلاف والنزاع.

○ قوله: «فَتُحَرِّشُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ» يعني: تغرؤا وتؤلبوا الناس عليهم.

فالواجب الكف عما شجر بين الصحابة من الخلاف والنزاع، وذكر محاسنهم، والترضي عنهم، وموالاتهم، أما ما شجر بينهم، وما حصل بينهم من خلاف فهم مجتهدون، ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وخطؤه مغفور، هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

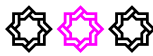
﴿ وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : « لَا يَغْلُ قَلْبُ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا كَانَ قَلْبُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَغْلًا » .

الشَّيْخُ

المعنى أنه : إذا كان هناك حقد من أحد على الصحابة ، فلا بد أن يكون حقد على المسلمين أعظم وأعظم ؛ فمثلاً :

الرافضة الذين يحقدون ويغلون على أصحاب رسول الله ﷺ ، هم على أهل السنة والجماعة أشد وأشد ، ويتمنون زوالهم ؛ بل إنهم يتقربون بإراقة دمائهم لو تمكنوا ، ويرون ذلك ديناً يدينون به ، فإذا كانوا يغلون ويحقدون على أصحاب النبي ﷺ فهم على المسلمين أشد وأعظم .

فالواجب الحذر والتحذير منهم ، والبعد عنهم وعن أخلاقهم وصفاتهم ، ونصيحة من كان يقبل النصيحة منهم .





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾:

(وَقَالَ سُفْيَانٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤] قَالَ: «أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

الشَّيْخُ

الآية تشمل أصحاب النبي ﷺ وكل من مضى كذلك.

○ قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] أي: من الحسنات.

وفي معنى هذه الآية الكريمة قول النبي ﷺ في الحديث: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(٢).

وهذا فيه: التحذير من مذهب الرافضة الذين لا يعملون بهذه الآية ولا بالحديث، بل يسبون الصحابة ويكفرونهم - نعوذ بالله من ذلك -.



(١) أخرج أبو نعيم في «طبقات المحدثين» (١١٠/٢) من طريق عصام بن يزيد قال: كنت عند حمزة الزيات جالسا فجاء رجل يسأله عن أصحاب محمد. فسكت ساعة ثم قرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات، رقم (١٣٩٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الخشبية أقل الناس عقلاً

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

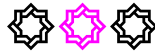
(وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «نَظَرْتُ فِي الْأَهْوَاءِ، وَكَلَّمْتُ أَهْلَهَا، فَلَمْ أَرَ قَوْمًا أَقَلَّ عَقْلاً مِنَ الْخَشِيبَةِ»^(١)).

الشَّجْج

هذه المقالة للشعبي؛ وهو إمام وتابعي صغير، وهو جبل في الحفظ وفي نقد الرجال.

❏ قوله: «نَظَرْتُ فِي الْأَهْوَاءِ»: يعني: البدع؛ كبدعة الخوارج، وبدعة المرجئة، وبدعة المعتزلة، وبدعة الجهمية، وبدعة الأشاعرة، وبدعة الرافضة.

❏ قوله: «وَكَلَّمْتُ أَهْلَهَا، فَلَمْ أَرَ قَوْمًا أَقَلَّ عَقْلاً مِنَ الْخَشِيبَةِ»: المراد بالخشبية: الرافضة؛ سُمُّوا بذلك؛ لأنهم يقتاتلون بالخشب، ويقولون: لا قتال بالسيف إلا مع إمام معصوم، فلا قتال حتى يخرج المهدي في آخر الزمان - أي: مهدي الشيعة الذي دخل سرداب سامراء في العراق سنة مائتين وستة، ولم يخرج إلى الآن - وينادي مناد من السماء: اتبعوه، وبعد ذلك يبدأ الجهاد والقتال بالسيف^(٢).



(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٧٤)، والخلال في «السنة» (٤٩٦/٣) عن الشعبي.

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٣٦/١).

ثم بعد ذلك لما رفضوا زيد بن علي بن حسين سألوه عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ فقال: هما وزيراً جدي رسول الله ﷺ وترضى عليهما فتركوه ورفضوه، قال: رفضتموني، رفضتموني؟^(١) فسموا من ذلك الوقت «الرافضة».

ومهدي الشيعة شخص لا حقيقة له؛ لأن أباه الحسن بن علي العسكري مات عقيماً ولم يولد له، فجعلوا له ولداً، وأدخلوه السرداب وهو ابن ستين أو ثلاث أو خمس سنين ولم يخرج إلى الآن.

يقول شيخ الإسلام في زمانه: مضى عليه أربعمئة سنة^(٢)، ونحن نقول: مضى عليه الآن ألف ومائتان سنة (ومائتا) سنة، وهم في كل سنة يقفون عند باب السرداب - وإلى الآن في سامراء في العراق - ويأتون ببغلة أو غيرها ويشهرون السلاح بصوت مرتفع وينادون: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا...

وهو الإمام الثاني عشر من نسل الحسين بن علي - بزعمهم -، ويقولون: إن هؤلاء الأئمة اثنا عشر إماماً نص عليهم النبي ﷺ؛ فهم أئمة معصومون منصوص عليهم، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد المهدي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر الثاني عشر من نسل الحسين: محمد بن الحسن الذي دخل سرادب سامراء ولم يخرج إلى الآن، وهو شخص موهوم لا حقيقة له.

(١) انظر: «الفرق بين الفرق» (٢٥/١)، و«منهاج السنة» (٣٥/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٥٢/٢٧)، (٤٠١/٢٨)، (٤٨٠).

هم يقولون: هؤلاء الأئمة منصوصون^(١) معصومون^(٢)، نص عليهم النبي ﷺ؛ لكن أهل السنة والصحابة كفروا وارتدوا - كذا قالوا - بعد وفاة الرسول ﷺ وأخفوا النصوص، وولوا أبا بكر زوراً وبهتاناً، ثم ولوا عمر زوراً وبهتاناً، ثم ولوا عثمان زوراً وبهتاناً، ثم وصلت النوبة إلى الخليفة الأول.

أما الآن فقد استحدثوا مسألة الوصاية؛ فلما جاء الخميني صار هناك (ولاية الفقيه) الذي ينوب عن المهدي حتى يخرج.

○ فقول الشعبي: «**فلم أر قوماً أقل عقلاً من الخشبية**» معناه أنه لو كان عندهم عقول سليمة ما قبلوا هذه الترهات.



(١) انظر: أمثلة على روايتهم المكذوبة في النص على الإمام «الكافي» (١/٥٧٢)، (١٥/٢٤٧)، (١٨/٢٩٧)، (٢٦/٣٠١)، و«عيون الأخبار» للرضا (١/٤٨، ٦١)، و«البحار» (٣٦/٢١٦، ٢٨٠، ٢٦٢، ٢٤٥).

(٢) قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: «أطردت الإمامية هذا القول. أي العصمة في الأئمة فجعلت حكمهم في ذلك حكم الأنبياء في وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها» (١١/٧).

بطلان الرجعة عند الشيعة

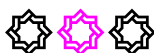
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ضُمَرَ: «قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ الشَّيْعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا يَرْجِعُ. فَقَالَ: كَذَبُوا، لَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ مَا تَزَوَّجَ نِسَاؤُهُ، وَلَا قَسَمْنَا مَالَهُ»^(١).

الشَّيْخُ

قول عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي يقول: «قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ» ابن أبي طالب: «إِنَّ الشَّيْعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا يَرْجِعُ»: المراد بالشيعة هنا: الرافضة، وهذه يسمونها (مسألة الرجعة عند الشيعة)؛ وهي قولهم: إن عليًّا في السحاب لم يموت وسيرجع مرة ثانية. ولهذا في كتب رجال الحديث يقولون: فلان رافضي يقول بالرجعة؛ وهذا يكون رافضيًّا لا تُقبل روايته.

○ فقال الحسن: «كَذَبُوا، لَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ - يعني: إنه يرجع - مَا تَزَوَّجَ نِسَاؤُهُ، وَلَا قَسَمْنَا مَالَهُ»؛ «لو»: حرف امتناع، فلو كان ما يقولون حقًّا ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ماله، لكن تزوج نساؤه، وقسمنا ماله، فعلمنا أنهم كَذَبَ.



(١) أخرجه البيهقي في «مسند ابن الجعد» (٢٥٢٣)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» (١١٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨٨/٤٢) من طريق عمرو الأصم، عن الحسن بن علي، بنحوه. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧٥٠/٩) عن عاصم بن بهدلة عن الحسن بن علي. قال الهيثمي: «رواه عبدالله وإسناده جيد».

تفضيل أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنه

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ عَابَهُمَا وَعَابَ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمَا»^(١)).

الشرح

❏ قوله: «فَقَدْ عَابَهُمَا» أي: عاب الشيخين وذمهما؛ لأنه تنقصهما، وخط من قدرهما، لأنهما أفضل الناس بعد الأنبياء وأفضل من علي.

❏ قوله: «وَعَابَ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمَا»، يعني: عاب عليًا لسكوته وعدم إظهاره ذلك، وثبت في الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه صعد منبر الكوفة وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»^(٢). فلو كان أفضل منهما لما قال هذا الكلام على منبر الكوفة.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٨/٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨٤/٤٤) من طريق وكيع عن الثوري، بنحوه. وأخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٣٠٩) من قول إبراهيم النخعي.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠٦/١ رقم ٨٣٧)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٩/٧) من طرق عن علي رضي الله عنه قال أبو نعيم: «صحيح مشهور»، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (ص ٤٧٢).

فتفضيل الإنسان علياً رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عيب لهما
وعيب لعلي رضي الله عنه.

عيب لهما رضي الله عنهما حيث حط من قدرهما.

وعيب لعلي رضي الله عنه نفسه حيث إنه سكت ولم يبين أنه أفضل
منهما.



براءة أهل البيت من التشيع

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجَعْفِيُّ: «قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا جَابِرُ؛ بَلَّغْنِي أَنَّ أَقْوَامًا بِالْعِرَاقِ يَتَنَاولُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَنَا، وَيَزْعُمُونَ أَنِّي أَمَرْتُهُمْ بِذَلِكَ، فَأَبْلِغُهُمْ أَنِّي إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ وُلِّيتُ لَتَقَرَّبْتُ بِدِمَائِهِمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ لَغَافِلُونَ عَنْهُمَا بِقَلَّةٍ حِرَاءٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١)).

النتيجة

هذه المقالة لجابر بن يزيد الجعفي، وهو من الشيعة والرافضة أيضاً.

وهو وإن كان من الرافضة؛ إلا أنه نقل هذا الكلام، فهو حجة على الرافضة أنفسهم.

○ قوله: «قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا جَابِرُ؛ بَلَّغْنِي أَنَّ أَقْوَامًا بِالْعِرَاقِ يَتَنَاولُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ» يعني: يتناولونهم بالذم والعيب والسب.

○ قوله: «وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَنَا» أي: يحبوننا نحن أهل البيت.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/١٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/٢٨٦) من طريق جابر الجعفي، به. وانظر: «صفة الصفوة» (٢/١١٠).

○ قوله: «فَأَبْلَغُهُمْ أَنِّي إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ بَرِيءٌ» أي: أبلغهم أنني إلى الله منهم بريء، وهم كذبة في محبتهم لنا، فلو كانوا يحبوننا ما سبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

○ قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ وُلِّيتُ» أي: لو كان لي ولاية أو إمارة أو خلافة «لَتَقَرَّبْتُ بِدِمَائِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» أي: لتقربت بقتلهم لأنهم كفرة.

○ قوله: «إِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ لَغَافِلُونَ عَنْهُمَا بِقُلَّةِ حِرَاءَ»: قُلَّة حراء: رأس جبل حراء، وكأنه يشير إلى الحديث الذي فيه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ كَانُوا عَلَى حِرَاءَ، فَتَحْرَكَ الْجَبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُثْبِتُ حِرَاءَ، أُثْبِتُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(١).

الصدیق أبو بکر رضي الله عنه والشهیدان عمر وعثمان رضي الله عنهما.

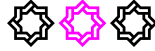
وثبت أيضاً هذا في جبل أحد أنه تحرك، وقال له: «أُثْبِتُ أَحَدُ؛ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»^(٢) وكان عليه حينئذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بکر وعمر رضي الله عنهما.

○ يقول: «لَغَافِلُونَ عَنْهُمَا»؛ يعني: هؤلاء الذين يتناولون أبا بکر وعمر كيف غفلوا عن هذا الحديث الذي فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٨)، والترمذي في المناقب، باب مناقب سعيد بن زيد، رقم (٣٧٥٧)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيما، باب فضائل العشرة، رقم (١٣٤) من حديث سعيد بن زيد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على حراء: «أثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم (٣٦٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

لأبي بكر بأنه صديق، وشهد لعمر بأنه شهيد؟! فإذا كان هذا هو محمد بن علي؛ وهو من أهل البيت الذي لو وُلِّي لتقرب إلى الله بقتلهم لأنهم كفره، فدل على: أن هؤلاء كذبة في دعواهم محبة أهل البيت، وأن أهل البيت يتبرؤون منهم. فالذي يحب أهل البيت هو الذي يوالي الصحابة ويوالي أهل البيت؛ أما الذي يعبد آل البيت ويسب الصحابة فهذا ليس موالياً لهم، بل هو معادٍ لهم.





﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

﴿وَقَالَ جَابِرٌ: «جَاءَ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَثْنُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَكْذَبَكُمْ وَأَجْرَأَكُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ! نَحْنُ مِنْ صَالِحِي قَوْمِنَا، وَبِحَسَبِنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِنَا»﴾^(١).

الشَّيْخُ

○ قوله: «وَقَالَ جَابِرٌ: جَاءَ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: هو زين العابدين علي بن الحسين من سلالة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال - لما أثنوا عليه -: «مَا أَكْذَبَكُمْ وَأَجْرَأَكُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ! نَحْنُ مِنْ صَالِحِي قَوْمِنَا»، لا تغلوا فينا، ولا تزيدوا في المدح، يكفينا أن نكون من صالحى قومنا.

وكان الرافضة يغلون في مدح أهل البيت حتى عبدوهم من دون الله، أما الصحابة فالرافضة غلوا في جفائهم وسبهم حتى كفروهم وفسقوهم، نعوذ بالله، وهذا عين التناقض.



(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢١٤/٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/٣٩١)، والحرث بن أبي أسامة في «المسند» (زوائد) (٩٩٤) من وجه آخر عن علي بن الحسين، بنحوه. وكذا ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٣٩٤/٢٠)، والذهبي في «السير» (٣٩٥/٤)، وابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢٦٩/٧).

تفضيل الشيعة لعليّ على النبي ﷺ

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ قَرْمٍ الضَّبِّيُّ: «كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ مِنْ أَهْلِ قِبَلَتِنَا أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْهِ بِشْرِكٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرَّافِضَةُ أَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَمْشْرِكُونَ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ مُشْرِكِينَ، وَلَوْ سَأَلْتَهُمْ: أَذْنَبَ النَّبِيُّ ﷺ؟ لَقَالُوا: نَعَمْ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَلَوْ قُلْتَ لَهُمْ: أَذْنَبَ عَلِيٌّ؟ لَقَالُوا: لَا، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ»).

الشيخ

هذه المقالة من أهل البيت شهادة على كفر الرافضة وأنهم أهل شرك وأهل كفر.

○ قوله: «أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ مِنْ أَهْلِ قِبَلَتِنَا أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْهِ بِشْرِكٍ؟»: أي: هل يُشْهَدُ على أحد من أهل القبلة بالشرك؟
○ قوله: «قَالَ: نَعَمْ، الرَّافِضَةُ أَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَمْشْرِكُونَ»: هذه شهادة رجل من أهل البيت - من عبدالله بن الحسن بن الحسن -؛ يشهد أن الرافضة مشركون.

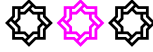
○ قوله: «وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ مُشْرِكِينَ؟»: أي كيف لا يكونون كذلك وهم يشهدون على أن النبي ﷺ مذب وعلياً غير مذب؟

ففضلوا علياً رضي الله عنه على النبي ﷺ.

لو سألتهم: أذنب النبي ﷺ؟ لقالوا: نعم.

والله - تعالى - يقول في كتابه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

فالرافضة إذن فضلوا علياً على النبي ﷺ؛ فلذلك حكم عليهم عبدالله بن الحسن بأنهم مشركون، وهو من أهل البيت؛ فهذه شهادة من أهل البيت تدل على: أن دعوى الرافضة محبة أهل البيت كذب وزور.



﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَرْزُوقِيُّ قَالَ: نَا عَبَّاسُ الدُّورِيُّ قَالَ: نَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ: «وَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ لِقُرْبَةٍ لَوْ لَا حَقَّ الْجَوَارِ»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالسند، وفيه: «... سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ»: من سلالة علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فهو من أهل البيت، فهذه شهادة من أهل البيت. وقد تقدم عنه الأثر السابق.

○ قوله: «يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ: وَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ لِقُرْبَةٍ لَوْ لَا حَقَّ الْجَوَارِ»؛ هو يرى أن قتله قربة؛ أي: دين يتقرب به إلى الله رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنه ترك قتله لأنه جار له، فالجار له حق ولو كان كافراً.

وهذا تكفير منه للرافضة؛ لأنهم يسبون الصحابة ويكفرونهم، ويفسقونهم، وهم نقلة الشريعة، وحملة الدين، فالرافضة بهذا قد كذبوا الله في تزكيتهم وعدالتهم، وهم - أيضاً - كفّروا نقلة الدين وحملة الشريعة، وكيف يوثق بدين ينقله كفار وفساق؟! وهم كذبوا الله في حفظه للقرآن، وقالوا: إن القرآن غير محفوظ؛ لأن القرآن

(١) أخرجه الدوري في «تاريخ ابن معين» (١١٦٢)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧٧/٢٧).

عندهم محرف ولم يبق إلا الثلث، حتى إن بعض الشيعة ألف كتاباً سماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)^(١)، زعم فيه أن كتاب الله محرف، - نعوذ بالله - والله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].



(١) لحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. الهالك سنة (١٣٢٠هـ) قبحه الله، وهو من كتب الشيعة الرافضة الإثني عشرية.

حب أهل البيت لأبي بكر وعمر

❦ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ جَابِرُ بْنُ رِفَاعَةَ: «سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ: لَا أَنَالِنِي اللَّهُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ أَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمَا وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمَا»^(١)).

الشَّيْخُ

جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي يقول: إنه سأل جعفر بن محمد؛ وهو جعفر الصادق - الإمام المعروف -، وهو ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، - وهو رجل صالح من أهل البيت^(٢)، وأهل البيت كلهم صالحون، ولكن الشيعة شوها تاريخهم، وأفسدوه -.

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٦)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٤٦٥، ٢٤٦٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٣٥٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٥/٥٤) بنحوه. وكذا ذكره بنحوه أيضاً المزي في «تهذيب الكمال» (٨٠/٥)، والذهبي في «السير» (٤٠٦/٤). وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٤٦١) عن آدم بن عبد الله الخثعمي - وكان من أصحاب زيد بن علي - قال: سألت زيد بن علي عن قول الله ﷻ: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، من هؤلاء؟ قال: أبو بكر وعمر، ثم قال: لا أنالني الله شفاعته جدي إن لم أوالهما.

(٢) راجع في حاله وموقف أهل السنة من نسبته للروافض: «منهاج السنة» (٤/ ٥٢-٥٤)، (٧/ ٤٤٣، ٥٣٤)، (١١/ ٨).

لما سأل جابر الجعفي جعفر الصادق عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: «لَا أَنَالَنِي اللَّهُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ أَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمَا وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمَا»: الصلاة عليهما: يعني: الدعاء لهما؛ فهو يبين أنه يتقرب إلى الله بحبهما، والدعاء لهما، فكيف بعد ذلك يأتي الرافضة ويسبون الشيخين أبا بكر وعمر ويشتمونهما؟!



قال المؤلف رحمه الله:

(وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ: «سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: أَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَكَرَهُمَا إِلَّا بِخَيْرٍ، قُلْتُ: لَعَلَّكَ تَقُولُ ذَاكَ تَقِيَّةً؟ فَقَالَ: أَنَا إِذَنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ لَمْ أَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِحُبِّهِمَا، وَلَكِنَّ قَوْمًا يَتَأَكَّلُونَ بَنِي النَّاسِ»^(١)).

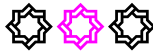
الشَّيْخُ

○ قول: الحسن بن صالح: «سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ - وهو جعفر الصادق - عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: أَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَكَرَهُمَا إِلَّا بِخَيْرٍ»: تبرأ من كل من ذكرهما بشر، إلا من ذكرهما بخير.

فقال له الحسن بن صالح: «لَعَلَّكَ تَقُولُ ذَاكَ تَقِيَّةً»: يعني: من باب المداراة.

فقال جعفر الصادق: «أَنَا إِذَنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»: أي: إن كنت كاذبًا.

○ قوله: «يَتَأَكَّلُونَ» يعني: ينالون شيئًا من الدنيا، فيكونون في شيء من المناصب عند الرافضة وأهل البدع، ويظهرون محبة أهل البيت، وهم يعادون أهل البيت، ويسبون الصحابة حتى يبقوا في مناصبهم في الدولة الرافضية وما أشبه ذلك.



(١) أخرجه الدراقطني في «فضائل الصحابة» (٦٩)، وانظر: الباب السابق.



❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ بْنِ الْحُسَيْنِ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، وَلَا صَلَّى عَلَى مَنْ لَا يَصْلِي عَلَيْهِمَا، وَنَحْنُ عَدَا بُرَاءَ مِمَّنْ جَعَلْنَا طَعْمَتَهُ»^(٢)).

الشَّيْخُ

هذا الأثر عن أبي خالد الأحمر، وهو أيضًا مخرجه من أهل البيت.

○ قوله: «قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا: الصلاة من الله أصح ما قيل فيها ما جاء عن أبي العالية أنها: ثناء الله على عبده في الملاء الأعلى^(٣)، فهي دعاء.

○ قوله: «وَلَا صَلَّى عَلَى مَنْ لَا يَصْلِي عَلَيْهِمَا»: دعاء على الرافضة ألا يصلي الله عليهم؛ لأن الرافضة لا يصلون عليهما.

(١) الصواب: عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو محمد المدني. وجاء على الصواب في الأثرين السابقين.

(٢) أخرجه الدارقطني في «فضائل الصحابة» (ص ٥٥ و ٥٧)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٣٠٢ / ٧) رقم (٢٤٧٠).

(٣) راجع (ص ١٧).

○ قوله: «وَنَحْنُ غَدًا بُرَاءٌ»: أي نحن - معشر أهل البيت - برآء ممن جعل أهل البيت طعمة له، يعني: ممن يزعم أنه يحب أهل البيت، ويسب الصحابة؛ فجعلهم كأنهم طعمة، أي: مضغة يعضغهم الناس في أفواههم، ويتأكلون بهم، وأهل البيت برآء منهم.



مَنْ فَضَّلَ آلَ الْبَيْتِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ: «مَنْ فَضَّلَنَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ سُنَّةِ جَدِّنا ﷺ وَنَحْنُ خُصَمَاؤُهُ غَدًا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ»^(١).

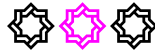
الشَّيْخُ

هذه المقالة - أيضًا - عن أهل البيت فهي عن محمد بن زين العابدين

○ قوله: «مَنْ فَضَّلَنَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» يعني: من فضل عليًّا وآل البيت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

○ قوله: «فَقَدْ بَرِئَ مِنْ سُنَّةِ جَدِّنا ﷺ»: الرسول ﷺ جدهم؛ لأن النبي ﷺ زوج عليًّا فاطمة، وأنجبت له الحسن والحسين؛ فيكون الحسن والحسين جدهما النبي ﷺ؛ ومحمد بن علي بن الحسين من هذه السلالة فيكون النبي ﷺ جده.

○ قوله: «وَنَحْنُ خُصَمَاؤُهُ غَدًا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ»: هذا يدل على أن الرافضة مفترون على الله تعالى.



(١) أورده ابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة» (٢/٧٠٦).

قال المؤلف رحمه الله:

(وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: «قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَأْتِي قَوْمٌ لَهُمْ نَبَزٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرَّافِضَةُ، أَيْنَ لَقَيْتَهُمْ فَأَقْتُلْتَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْعَلَامَةُ فِيهِمْ؟ قَالَ: «يَقْرَظُونَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ، وَيَطْعُنُونَ عَلَى السَّلَفِ»^(١)).

الشَّيْخ

في صحة هذا الأثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر^(٢)؛ لكننا نشرحه على فرض صحته.

○ قوله: «سَيَأْتِي قَوْمٌ لَهُمْ نَبَزٌ» يعني: لقب. «يُقَالُ لَهُمْ: الرَّافِضَةُ».

يخاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا يقول: «أَيْنَ لَقَيْتَهُمْ فَأَقْتُلْتَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»: وهذا صريح - لو صح - في كفر الرافضة، لكن يحتاج إلى ثبوت الحديث.

○ قوله: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْعَلَامَةُ فِيهِمْ؟» أي: ما علامتهم؟

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٧٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٨٦، ٢٨٧)، والآجري في «الشرعية» (٢٥١٧/٥ رقم ٢٠٠٨)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦١٥/٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٩/٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٥/٤٢) عن علي عليه السلام.

(٢) انظر: «العلل المتناهية» (٢٥٢) لابن الجوزي.

- قوله: «يَقْرِظُونَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ»، يعني: يشنون عليك بما ليس فيك.
- قوله: «وَيَطْعُنُونَ عَلَى السَّلَفِ» أي: يطعنون على السلف من الصحابة.



افتراق الأمة على نيف وسبعين فرقة

❏ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى نَيْفٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، شَرُّهَا فِرْقَةٌ تَنْتَحِلُ حُبَّنَا، وَتُخَالِفُ أَمْرَنَا»^(١)).

الشَّيْخُ

هذا المقال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مأخوذ من الحديث المرفوع أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(٢).

○ قوله هنا: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى نَيْفٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»:

والنَّيْفُ: العدد من ثلاثة إلى عشرة، مثل البضع، أي: يزيد على السبعين ولا يصل إلى الثمانين. والحديث المرفوع دلٌّ على أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة.

○ قوله: «شَرُّهَا فِرْقَةٌ تَنْتَحِلُ حُبَّنَا، وَتُخَالِفُ أَمْرَنَا» يعني: تزعم

وتدعي حبنا وتخالف أمرنا أهل البيت، وهم الرافضة، فدل على: أن الرافضة من شر الفرق.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٥) من طريق أبي الطفيل، عن علي، وانظر: «علل الدارقطني» (١٨٨/٤).

(٢) سبق تخريجه.

الإفراط والتفريط

﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، وَمُبْغِضٌ مُفْتَرٍ»^(١).

الشَّيْخُ

هذه المقالة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر واقع وموجود.

○ قوله: «مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَمُبْغِضٌ مُفْتَرٍ» هم: الرافضة والسبئية الذين جعلوا عليًّا معصومًا، وقالوا: إنه الإمام المعصوم؛ والمخطئة كذلك: أحبوه وأفرطوا في حبه، وهم يزعمون أن جبريل أرسله الله إلى عليٍّ، فخان وأوصل الرسالة إلى محمد، ويقولون: خان الأمين جبريل وصدها - يعني الرسالة - عن حيدرة، أي: عن علي؛ هؤلاء يزعمون: أنهم محبون، لكنهم مُفْرِطُونَ، والإفراط: هو الزيادة، فزادوا حتى جعلوه نبيًّا، والسبئية هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، وهم يزعمون أنهم يحبونه أيضًا. حتى سجدوا له، وقالوا: أنت الإله فعبدوه، فلما رأى ذلك حفر حفرةً في الأرض وخَدَّ أخذودًا، وجاء

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٢١٣٤، ٣٢١٣٦)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٦٠ رقم ١٣٧٦)، وفي «فضائل الصحابة» (٩٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨٤، ٩٨٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٣٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٨٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩٣/٤٢) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالحطب وأضرمتها نارًا، وألقاهم فيها^(١).

وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَبْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا^(٢)

و(قنبر) مولى عليٍّ، فألقاهم في النار، فلما ألقاهم قالوا: هذا هو الإله لأنه يعذب بالنار، زادوا في كفرهم - والعياذ بالله - فهلكوا؛ فهلك في علي رضي الله عنه الذين ألَّهوه، أو الذين جعلوه نبيًا، أو الذين جعلوه معصومًا.

○ قوله: «وَمُبْغِضٌ مُفْتَرٍ» هم: الخوارج والنواصب الذين كفَّروا عليًا رضي الله عنه قالوا: كفر حيث حَكَمَ الرجال في دين الله، وذلك في مسألة التحكيم.

فالخوارج أبغضوه وزادوا في بغضه حتى كفَّروه وجعلوه كافرًا. والروافض غلوا في حبه، وأفرطوا حتى عبدوه، وجعلوه إلهًا، أو نبيًا أو معصومًا، فهلك هؤلاء، وهلك هؤلاء، وهو المقصود بقوله: «يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ»، فالمراد بالرجلين: الجنس، جنس الرجل الأول: الرافضة، وجنس الرجل الثاني: الخوارج.

وهدى الله أهل الحق فلم يجعلوه إلهًا، ولم يعبدوه من دون الله، فلم يغلو في حبه كما تزعم الروافض، ولم يغلو في ظلمه، كما فعلت الخوارج؛ بل أنزلوه منزلته التي أنزله الله، التي دلت عليها النصوص بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، وتولوه

(١) قصة حرق علي لهم أخرجها ابن عبد البر في «التمهيد» (٣١٨/٥)، وكذا ذكرها الجوزجاني في «أحوال الرجال» (ص ٣٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٣١٨/٥)، والجوزجاني في «أحوال الرجال» (ص ٣٨).

وقالوا: خليفة راشد، وهو الخليفة الرابع، وهو ليس بنبي، ولكنه صحابي جليل، من الخلفاء الراشدين، ومن أهل البيت وليس بمعصوم، ومرتبته في الفضل، كمرتبته في الخلافة.

وبذلك صار الناس في علي عليه السلام ثلاث طوائف:

الأولى: غلو في حبه حتى عبدوه، وهم الرافضة.

الثانية: غلو في بغضه حتى كفروه، وهم الخوارج، والنواصب.

الثالثة: توسطوا في أمره وأنزلوه منزلته التي أنزله الله وهم، أهل السنة.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

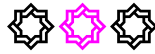
(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زِيَادِ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَيْمُونِيُّ قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ -: «يَا أَبَا الْحَسَنِ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ، فَاتَّهَمَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(١)).

الْتِمَاحُ

○ قوله: «قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ -: يَا أَبَا الْحَسَنِ»: كنية عبد الملك بن عبد الحميد.

○ قوله: «إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا، يَذْكُرُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ، فَاتَّهَمَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ» أي: اتهمه أن في صحة إسلامه؛ لأن هذا يدل على النفاق وعلى مرض في القلب، ولهذا يقول العلماء: إن حب الصحابة دين وقربة وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الطحاوية»^(٢): «وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وعصيان».

فهذه شهادة من إمام أهل السنة والجماعة بأن من يذكر أصحاب النبي بسوء ويعيبه، أن في صحة إسلامه نظرًا.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٣٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠٩/٥٩)، والأصفهاني في «الحجة» (٣٩٧/٢) عن الميموني، به.

(٢) شرح الطحاوية (٧٠٤/٢).



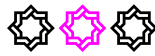
﴿ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴾

(وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرَّافِضَةُ، بُرَاءً مِنَ الْإِسْلَامِ»).

الشَّيْخُ

هذا رواه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»^(١) وفي صحته نظر؛ ولو صح، لكان دليلاً على كفر الرافضة وإنهم خارجون عن الإسلام.

○ قوله: «بُرَاءً مِنَ الْإِسْلَامِ» يعني: إنهم خارجون عن الإسلام، وهذا يحتاج إلى ثبوت، لأنه لو صح لكان دليلاً صريحاً على كفر الرافضة.



(١) «السنة» (١٢٧١). بنحوه، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥٤٧/٦).

من هم شيعة علي رضي الله عنه؟

قال المؤلف رحمه الله:

(حَدَّثَنَا الْقَاضِي ابْنُ مُطَرِّفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَاخِيلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ قَالَ: نَا حَسَّانُ^(١) بْنُ سُدَيْرٍ، عَنْ سُدَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِنُوفٍ الْبَكَالِيِّ وَهُوَ مَعَهُ [عَلَى] سَطْحٍ: يَا نُوفُ؟ تَدْرِي مَنْ شِيعَتِي؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: شِيعَتِي الذُّبْلُ الشِّفَاوُ، الْخُمْصُ الْبُطُونُ، تَعْرِفُ الرَّهْبَانِيَّةَ وَالرَّبَّانِيَّةَ فِي وُجُوهِهِمْ، رُهْبَانُ اللَّيْلِ، أَسَدٌ بِالنَّهَارِ، إِذَا جَتَّهُمُ اللَّيْلُ انْتَرَزُوا عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَارْتَدُّوا عَلَى أَطْرَافِهِمْ، يَخُورُونَ كَمَا تَخُورُ الشِّرَانُ فِي فِكَاكٍ رِقَابِهِمْ.

شِيعَتِي الَّذِينَ إِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرِفُوا، وَإِذَا خَطَبُوا لَمْ يُزَوِّجُوا، وَإِذَا مَرَضُوا لَمْ يُعَادُوا، وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا.

شِيعَتِي الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ يَتَوَاسَوْنَ، وَفِي اللَّهِ يَتَبَاذَلُونَ، دِرْهَمٌ وَفَلْسٌ وَفَلْسٌ وَثَوْبٌ وَثَوْبٌ وَإِلَّا فَلَا.

شِيعَتِي مَنْ لَمْ يَهَرَّ هَرِيرَ الْكِلَابِ، وَلَمْ يَطْمَعَ طَمَعَ الْغُرَابِ، لَا يَسْأَلُ النَّاسَ وَإِنْ مَاتَ جُوعًا، إِنْ رَأَى مُؤْمِنًا أَكْرَمَهُ، وَإِنْ رَأَى فَاسِقًا

(١) الصواب: «حنان» كما في مصادر ترجمته ومصادر التخريج.

هَجَرَهُ، هَؤُلَاءِ وَاللَّهِ يَا نَوْفُ شِيعَتِي.

شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ،
وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، إِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْبُلْدَانُ لَمْ تَخْتَلِفْ قُلُوبُهُمْ، أَمَّا
الَلَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، يَفْتَرِشُونَ جِبَاهَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى
خُدُودِهِمْ، يَجَارُونَ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ، وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءِ
نُجَبَاءِ، كِرَامُ أَبْرَارٍ أَتَقِيَاءُ.

يَا نَوْفُ؛ شِيعَتِي الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا، وَالْمَاءَ طِيبًا،
وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالِدُّعَاءَ دَنَارًا، قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا، عَلَى دِينٍ مِنْهَاجِ
عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (١).

الشَّيْخُ

هذا الأثر ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بِالسُّنْدِ، والغالب في هذه الرسالة
أنه يحذف الأسانيد للاختصار، لكن أحياناً يذكر الإسناد، وهذا
الأثر أثر مطول وغريب، ذكره عن محمد بن علي الباقر عن أبيه
قال: قال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لنوف البكالي، وهو خطاب محاورة بين علي
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبين نوف البكالي.

○ قوله: «قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِنَوْفِ الْبِكَالِيِّ وَهُوَ مَعَهُ عَلَى
سَطْحٍ: يَا نَوْفُ؛ تَدْرِي مَنْ شِيعَتِي؟»: يخاطب نوفاً البكالي، وهو
نوف ابن امرأة كعب الأحبار، وهو سؤال استفهام، وألقى السؤال
بصيغة الاستفهام؛ حتى ينتبه للجواب، فأحياناً تلقى المسألة على

(١) أخرجه ابن فاختر في «جزئه» (ص ٢١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/٣٠٥-
٣٠٦) من طريق يزيد بن محمد الثقفي، به، بنحوه. وأخرجه عبدالله بن أحمد في
«زوائد الزهد» (١١٤٤) من طريق سالم بن أبي الجعد، عن علي مختصراً.

الطلاب بصيغة الاستفهام، حتى يتشوقوا إلى فهمها. ومن ذلك:
 قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(١)؛ حتى يلقي سمعه لما يقال، فعلي رضي الله عنه قال: «يَا نَوْفُ تَدْرِي مَنْ شِيعَتِي؟» يعني: شيعتي الذين يشايعونني ويتولونني، فهم أنصاره وأتباعه الذين يوالونه وينصرونه ويتبعونه.

فقال: «لا»، فقال: هم الذين يتصفون بالصفات الآتية:

١- قوله: «الذُّبْلُ الشَّفَاؤُ» يعني: أنهم يصومون حتى تذبل شفاههم، فهم عبّاد.

○ قوله: «الْخُمْصُ الْبُطُونُ» أي: بطونهم ضامرة من الجوع؛ يعني: قد لصقت بأجوافهم؛ بسبب ترك الطعام والشراب من أجل الصوم.

٢- قوله: «تَعْرِفُ الرَّهْبَانِيَّةَ وَالرَّبَّانِيَّةَ فِي وُجُوهِهِمْ»: الرهبانية: العبادة تُعرف في وجوههم. والرّبّانية: يعني يعملون بمقتضى ربوبية الله لهم، فهم يتخذون الله ربًّا وإلهًا ومعبودًا، يؤمنون بأسمائه، وصفاته وأفعاله، وأنه يربي الخلق بنعمه، وأنه الخالق الرازق المدبر، المحيي المميت، فهم يعبدون الله، ويعملون بمقتضى الربوبية. وبذلك فقد ذكر لهم وصفين:

الوصف الأول: أنهم ذبل الشفاه، خمص البطون.

الوصف الثاني: تعرف الرهبانية والرّبّانية في وجوههم.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب في اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦)، ومسلم في الإيمان، باب، من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه، رقم (٣٠) - وهذا لفظه - من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٣- الوصف الثالث: أنهم: «رهبان بالليل، أسد بالنهار»،
فرهبان بالليل، أي: عباد بالليل يراوحن بين الجباه والأقدام، وفي
النهار أسد، جمع أسد، أي: شجعان في القتال والجهاد.

٤- الوصف الرابع: «إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ انْتَرَزُوا عَلَى أَوْسَاطِهِمْ،
وَارْتَدُّوا عَلَى أَطْرَافِهِمْ»: «انْتَرَزُوا» أي: شدوا الإزار على أوساطهم حتى
يكون أقوى لهم على العبادة وطول القيام. «وَارْتَدُّوا عَلَى أَطْرَافِهِمْ»:
أي: جعلوا الرداء على أطرافهم، مثل المحرم في الحج والعمرة.

٥- الوصف الخامس: «يَخُورُونَ كَمَا تَخُورُ الثِّيْرَانُ فِي فِكَاكٍ
رِقَابِهِمْ» الخوار: صوت البقرة، ومنه ما جاء في الحديث في التحذير
من الغلول، قال النبي ﷺ «فَلَا عَرَفْنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا
لَهُ رِغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خَوَارٌ»^(١).

والثيران: جمع ثور، والثور ذكر البقرة، أي: سيكون في الليل
ويكون لهم صوت كصوت خوار البقر والثيران -خوفًا من الله- طلبًا
في فكاك رقابهم من النار.

○ قوله: «شِيعَتِي الَّذِينَ إِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرِفُوا»: هذا وصف
آخر، و المعنى: أنهم بعيدون عن الشهرة، ليسوا معروفين، إذا
حضروا المجالس لا يعرفهم أحد لبعدهم عن الشهرة، وزهدهم في
اللباس، فهم صلحاء؛ لكنهم لا يعرفهم كثير من الناس.

○ قوله: «وَإِذَا خَطَبُوا لَمْ يُزَوِّجُوا»: فليس عندهم منصب، ولا
جاه ولا مال، إذا خطب الواحد منهم ما يُزَوِّج؛ لأن كثيرًا من الناس

(١) أخرجه البخاري في الهبة وفضلها، باب من لم يقبل الهدية لعله، رقم (٢٥٩٧)،
ومسلم في الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، رقم (١٨٣٢ / ٢٧) - وهذا لفظه - من
حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

الآن يسأل عمن يزوجه: عن ماله ومنصبه ومسكنه، فهؤلاء فقراء ليس عندهم شيء من ذلك.

○ قوله: «وَإِذَا مَرَضُوا لَمْ يُعَادُوا، وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا»: لأنهم غير معروفين.

○ ثم قال: «شِيعَتِي الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ يَتَوَاسَوْنَ، وَفِي اللَّهِ يَتَبَاذَلُونَ، دِرْهَمٌ وَفَلْسٌ وَفَلْسٌ وَتَوْبٌ وَتَوْبٌ وَإِلَّا فَلَا»: هذا أيضًا وصف آخر؛ شيعتي: أي: أنصاري، وأهل ولايتي، وأهل محبتي وأتباعي، هذا وصفهم، الذين يواسي بعضهم بعضًا في المال، ويبذلون الأموال في الله؛ كما قال ﷺ: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]؛ يبذلون درهماً وفسلاً؛ والفسل: أقل شيء مثل القرش وما شابه ذلك، فهذا يعطي درهماً وفسلاً، ويعطي هذا فلساً، وآخر فلساً وتوباً.

○ ثم قال: «شِيعَتِي مَنْ لَمْ يَهَرَّ هَرِيرَ الْكِلَابِ، وَلَمْ يَطْمَعْ طَمَعَ الْغُرَابِ» يعني: أنهم لا يبذرون، ولا يمسكون، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ فتبخل بالواجب، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] فتبذر، ولكن كن بين ذلك، وهذا من صفات هؤلاء؛ لا ينفق أحدهم الأموال في كل مجال، ولا يطمع في جمع المال كطمع الغراب.

○ ثم قال: «لَا يَسْأَلُ النَّاسَ وَإِنْ مَاتَ جُوعًا» أي: أن الواحد منهم قد يموت في بيته ولا أحد يعلم به.

ثم ذكر من أوصاف الواحد منهم قال: «إِنْ رَأَىٰ مُؤْمِنًا أَكْرَمَهُ» أي: أن من صفاتهم الكرم.

○ قال: «وَأِنْ رَأَى فَاسِقًا هَجَرَهُ»: الفاسق: مرتكب الكبيرة أو البدعة، فهم يهجرون الفاسق، ولعل هذا هو الشاهد الذي من أجله أتى بهذا الأثر الطويل.

○ ثم قال علي: «هَؤُلَاءِ، وَاللَّهِ يَا نَوْفُ شِيعَتِي» أي: هؤلاء أنصاري وأحابي وأتباعي الذين أواليهم ويوالوني.

○ ثم ذكر وصفاً آخر من أوصافهم؛ قال: «شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ»: الناس يأمنون شر هؤلاء الشيعة، فهم لا يعتدون على أحد في دم، ولا في مال، ولا في عرض.

○ قال: «وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ» أي: على إصلاح الناس وتفقد أحوالهم، فهم يحزنون على أهل المعاصي وعلى أهل البدع؛ لماذا ارتكبوا محارم الله؛ ويحزنون للفقراء، لِمَ لا يواسيهم الأغنياء.

○ قال: «وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ»: أي: متخففون من الدنيا، لا يتوسعون.

○ ثم قال: «أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ» أي: عندهم عفة عن الحرام والفساد.

○ ثم قال: «إِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْبُلْدَانُ لَمْ تَخْتَلِفْ قُلُوبُهُمْ» يعني: شيعتي وإن كانوا في بلدان متعددة لكن قلوبهم مؤتلفة، فلو كان هذا عربياً وهذا عجمياً تجد أن قلوبهم متفقة وإن تباعدت البلدان.

○ ثم ذكر من أوصافهم، فقال: «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامُهُمْ»: يعني: للصلاة والعبادة والتهجد.

○ قوله: «يَفْتَرِشُونَ جِبَاهَهُمْ» أي: يراوح بين القدمين وبين الجباه، فيصف قدمه في القيام ويفترش جبهته في السجود.

○ ثم قال: «تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ» أي: يبكون ويتضرعون وتجري دموعهم على خدودهم خوفاً من الله.

○ ثم قال: «يَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ، فِي فِكَائِكَ رِقَابِهِمْ» يعني: سيكون ويصيحون ويكون لهم جوار؛ يسألون الله أن يفك رقابهم من النار، هذا في الليل.

○ قوله: «وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ نَجَبَاءَ، كِرَامُ أَبْرَارٍ أَتْقِيَاءَ»:
حلماء: جمع حليم، والحليم: هو الذي يصفح ويعفو عمن ظلمه.
علماء: جمع عالم وعليم. ونجباء: جمع نجيب، وهو كريم الأصل الشريف. كرام: عندهم كرم وبذل. أبرار: جمع برّ. أتقياء: جمع تقي، والبرّ التقي هو الذي يوحد الله ويخلص له العبادة، ويؤدي فرائضه وينتهي عن محارمه.

○ قال: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا» أي: أنهم متخففون من الدنيا، ليس عندهم فرش ولا سرر، اتخذوا الأرض بساطًا؛ يجلسون عليها، وينامون عليها.

○ قوله: «وَالْمَاءَ طَيِّبًا» أي: لا يملكون الطيب من الأشياء، ولكن يملكون الماء، يغتسل الواحد منهم بالماء فتحصل النظافة به بدلًا من الطيب.

○ قال: «وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالْدُّعَاءَ دِثَارًا» الشعار: هو الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الثوب الذي فوقه، ومنه قول النبي ﷺ: «الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ»^(١)؛ فجعل الأنصار شعارًا يلي الجسد لأنهم أخص بالنبي ﷺ، والناس فوقهم، وهذا يدل على أن الأنصار لهم منزلة عند النبي ﷺ؛ فهؤلاء جعلوا القرآن شعارًا، أي: يبدءون بالقرآن، فيقدمون القرآن؛ لأنه كلام الله، ثم بعد ذلك الدعاء.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف، رقم (٤٣٣٠)، ومسلم في الكسوف، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، رقم (١٠٦١) من حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه.

○ قال: «**قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا**» أي: أخذوا منها بقدر حاجتهم ولم يتوسعوا فيها.

○ ثم قال - وهذه هي الطامة: «**عَلَى دِينَ مِنْهَا جِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**»: ونحن نقول: وأين منهاج النبي ﷺ؟! فهو حديث ضعيف باطل؛ لشذوذ متنه ونكارتة وضعف سنده^(١)؛ أما ضعف السند فإن في سنده نوافًا البكالي؛ وهو ابن امرأة كعب الأحبار، وكعب الأحبار هذا كان رجلًا يهوديًا فأسلم في زمن التابعين وقد تزوج امرأة ولها هذا الولد - وهو نوف البكالي - والأقرب أنهم يأخذون عن أخبار بني إسرائيل، ونوف البكالي مجهول مستور الحال، والسند الذي فيه مجهول يكون ضعيفًا، ولو فتشنا في بقية السند لوجدنا ضعفًا غيره^(٢)، لكن يكفي هذا.

وأما متنه فهو: منكر شاذ، من وجوه متعددة، وأعظم نكارة فيه: قوله: «**عَلَى دِينَ مِنْهَا جِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**»؛ فهم يتعبدون على دين عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - بعد بعثة النبي ﷺ.

والنبي ﷺ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يَتْبَعَنِي**»^(٣)، وعيسى ﷺ إذا نزل في آخر الزمان؛

(١) في إسناده: «سدير بن حكيم بن صهيب»، قد ذكر ابن عدي إفراطه في التشيع، وقد اتهمه ابن عينة بالكذب، وقال العقيلي: وكان ممن يغلو في الرافض.

(٢) في إسناده: سدير بن حكيم بن صهيب، وقد تقدم حاله.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٢٦٤٢١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٧) رقم ١٥١٥٦، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧)، والبخاري في «شرح السنة» (١/ ٢٧٠) من طريق مجالد، عن الشعبي، عن جابر أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني». =

يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية^(١)، ويكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية^(٢)، فكيف يتعبدون على دين عيسى، ويدعون منهج النبي ﷺ الذي شريعته خاتمة الشرائع!!؟

وكذلك من النكارة في هذه الصفات، أنه لا يكون موالياً لعلّي رضي الله عنه إلا من اتصف عليه بهذه الصفات، فمن ذا الذي تنطبق عليه هذه الصفات وهي لا تنطبق إلا على الصحابة؟!؟

ومعنى هذا - أيضًا - أن الذي لا يتصف بهذه الصفات لا يكون من شيعة علي، فإذا كان الرجل من أهل السنة والجماعة موالياً لعلّي بن أبي طالب ويؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويؤدي زكاته، ويحج بيت الله الحرام، ولا يتصف بهذه الصفات؛ فهو ليس من شيعة علي؟! والمعروف أن كل أهل السنة والجماعة موالون لعلّي.

= قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧٤): «وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما».

وقال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٣٤): «رجاله موثقون، إلا أن في مجالد ضعفاً». وأخرجه الخطيب في «الجامع» (١٤٨٨) من طريق الحسن، عن عمر بنحوه. والحسن روايته عن عمر مرسله، وانظر: «جامع التحصيل» (١٣٥).

(١) أخرجه البخاري في البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢٢٢٢)، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، رقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

(٢) أخرج مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً، رقم (١٥٥ / ٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم... قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم».

فعلى هذا يكون الحديث ضعيف السند منكر المتن، وليت المؤلف رحمته الله نزه كتابه عن هذا الأثر واكتفى بما ذكره؛ - مائتان وثلاثة وثلاثون أثرًا -، وهذا هو آخر الآثار في القسم الأول.

